

الشيخ محمد الغزالي

غصن باسق في شجرة الخلود

دكتور مسعود بن موسى فلوسي

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة ت: ٣٩١٧٤٧٠

دكتور مسعود بن موسى فلوسي

أستاذ محاضر بكلية العلوم الاجتماعية
والعلوم الإسلامية جامعة باتنة - الجزائر



الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى لمكتبة وهبة

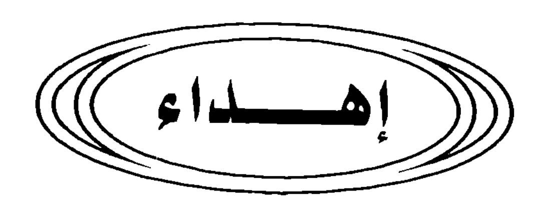
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

[هود : ١١٦]



إهــــداء

إلى روح الرجل الفذ النادر المثال، أستاذي الجليل:

الدكتور الطاهر حليس - رحمه الله

مؤسس وأول مدير للمعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الإسلامية بباتنة، الذي اغتالته أيادي الغدر والإجرام ذات مساء من أكتوبر سنة ١٩٩٤م، وهو في طريق العودة إلى بيته بعد أداء صلاة المغرب.

داعيا الله عز وجل أن يجزيه عن معهده وعن زملائه وعن طلبته وأبنائه بأحسن الجزاء، وأن يتغمد روحه الطاهرة في عليين، وأن يبوئه مقعد صدق، ويحشره مع النبيين والشهداء والصالحين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إنه عز وجل مجيب الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الذى بعثه رحمة للعالمين، محمد أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد . . .

فهذه هى الطبعة الثانية من كتابى (**الإمام محمد الغزالى .. غصن باسق فى شجرة الخلود**) ، تصدر فى القاهرة، بعد الطبعة الأولى التى صدرت فى الجزائر سنة ١٩٩٩م.

ويوافق صدور هذه الطبعة، حلول الذكرى السابعة لوفاة **الشيخ الإمام محمد الغزالى** عليه رحمة الله ورضوانه.

سبع سنوات - إذن - مرت على رحيل الإمام، وقد شهدت هذه السنوات وقوع أحداث عظيمة فى طول العالم الإسلامى وعرضه، كما تعرضت الأمة الإسلامية خلالها لتحديات ضخمة من داخل كيانها وحتى خارجها كذلك.

وقد رأينا كيف تعامل المسلمون مع تلك الأحداث والتحديات بما أضرَّ بهم فى كثير من الأحيان، وهو ما يثبت حاجة الأمة إلى العلماء الكبار ذوى البصيرة النافذة والرؤية الثاقبة، حتى يرسموا لها طريق الاستقلال الحضارى الصحيح ويقودوها إلى بر الأمان.

ولقد كان الشيخ الإمام رحمه الله، أحد الرجال الكبار الذين أكرم الله عز وجل الأمة بهم وامتن عليها بظهورهم فيها فى هذا العصر الحالك السواد، الذى أدلهمت عليها فيه الخطوب وأحاطت بها فيه النكبات من كل جانب.

عاش الشيخ الغزالى رحمه الله ورضى عنه، حياته كلها، قائما بواجب التذكير والإنذار، منتهجا فى ذلك أسلوبا تفرد به واستطاع من خلاله أن يعيد الوعى الصحيح بالإسلام إلى قلوب الملايين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وأن يبصر الأمة بما يحاك ضدها من مؤامرات وما يُعدُّ لها من حتوف.

والدارس المتمعن فى التراث الرائع الذى تركه الإمام، لا شك أنه سيقف فيه على كنوز من المعارف والنظرات العميقة والدقيقة التى فتح الله بها على الشيخ عليه رحمة الله ورضوانه، تلك المعارف والنظرات التى جعلت ملايين المسلمين يقبلون على كتب الشيخ ودروسه ومحاضراته ينهلون منها وعيا صحيحا بدينهم وإدراكا بصيرا لواقهم والتحديات التى تحيط بهم، يدل على ذلك إقبال الناشرين فى كل بلاد العالم الإسلامى على نشر كتب الشيخ وإعادة طبعها مرات ومرات، ومهما يُطبع من كل كتاب من النسخ، فإن الطلب عليه يبقى مستمرا، والرغبة فى الحصول عليه تبقى قائمة.

وليس لذلك من معنى سوى أن الأمة وجدت فى تراث الشيخ الدليل الذى يبصرها بحقيقتها ويعرض أمامها صورة حية ناطقة لواقعها وأمراضها وموقعها بين أمم العالم المعاصر.

وإنه ليؤسفنا أن نقرر مع ذلك، أن فئة من المسلمين المعاصرين، قد أخذت على عاتقها - ونيابة عن أعداء الأمة المتربصين بها من كل جانب - مهمة الطعن فى علمائنا المعاصرين، ومحاولة إثارة الغبار حول سمعتهم بل وتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات التى تعمل على هدم ما بنوه وتقويض ما أقاموه، وذلك من خلال الطعن الجارح فى إيمانهم واتهامهم بما يجعل الأمة تنفض من حولهم وتكف عن الاستماع إلى إرشاداتهم وتوجيهاتهم.

ولن تقرَّ أعين أعداء الأمة ولن يدخل السرور قلوبهم، بأفضل من هذا الذى يقوم به بعض المسلمين نيابة عنهم، فحين تفقد الأمة ثقتها بعلمائها وتنفض من

حولهم، فلا شك أنها ستخبط خبط عشواء، وستمشى - لا محالة - إلى حتفها بظلفها.

لقد تعرض الشيخ الإمام رحمه الله، أثناء حياته وبعد وفاته، إلى حملة شرسة من قبل فئة من المسلمين تدعى الالتزام بسنة الرسول ﷺ، وقد استهدفت هذه الحملة الطعن فى عقيدة الشيخ وإيمانه، واتهامه بالعمل على هدم سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، بل واتهامه بممالأة أعداء الإسلام وموافقتهم على حساب الإسلام وأحكامه. وتلك كلها تهم تحمل بين طياتها دلائل تهافتها بالنسبة لعلماء الأمة ومفكريها، ولكن قد تجد طريقها إلى قلوب العامة وذوى الثقافة الإسلامية المحدودة، فتؤثر فيهم وتجعلهم ينظرون إلى علمائهم نظرة ريبة.

والحق أن هذه الهجمة لم تستهدف الشيخ الغزالى وحده، بل لقد امتدت إلى كل عالم صادق وداعية ملتزم، وكأنها تنفيذ مخلص لخطة دقيقة حيكت فى مخابر الغرب المتربص بالإسلام، وتم العمل على إنشاء فئة جديدة من المسلمين، تقوم بأداء الدور المرسوم من حيث لا تشعر.

لست أقول هناك أن الشيخ الغزالى رحمه الله قد أصاب الحق فى كل ما كتب أو قال، فكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكنى أؤكد أن كل ما قاله الشيخ قال به من قبله من العلماء، غاية ما هنالك أن الشيخ كان يختار من أقوال القدامى ما يراه أوفق بحال المسلمين فى هذا العصر.

إن أمتنا الإسلامية تعيش اليوم منعطفا حاسما له ما بعده فإما أن تبصر واقعها وتدرك واجبها، أو تظل سادرة فى غيها مستمرة فى وضعها ولن تستطيع الأمة أن تبصر طريق الخلاص أو أن تسير فيه، إلا يوم تفقه دينها حق الفقه، ولن يُتاح لها ذلك إلا بوجود فقهاء ذوى بصيرة نافذة ورؤية ثاقبة، من أمثال الشيخ الغزالى رحمه الله.

وإذا كان الشيخ الغزالى قد آب إلى ربه فلا يزال فى الأمة من الرجال الكبار والدعاة الأفذاذ، من بإمكانهم أن يقودوا المسلمين إلى بر الأمان، ولن يتم ذلك إلا يوم تلتف الأمة حولهم وتعلن استعدادها للإستماع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم. أما إذا ظلت الأمة تنقاد لمراهقيها وذوى العاهات النفسية من أبنائها، فسيكون ذلك – لا شك – طريقها إلى مزيد من الضلال والتيه، والعياذ بالله.

وبعد، فها أنذا أقدم هذه الطبعة الجديدة من كتابى هذا الذى كتبته عن الشيخ الغزالى رحمه الله، هذا الرجل الذى أحببته وأحبه معى ملايين المسلمين الجزائريين، كما أحبه غيرهم من المسلمين فى كل مكان. ولا أدعى أنى تمكنت من رسم صورة كاملة ومحيطة بحياة الشيخ وجهاده وتراثه، ولكنه جهد المقل، الذى يكفيه أن يُعد تعبيرا صادقا عن حب عميق مستقر فى شغاف القلب.

والله ولى التوفيق والهادى إلى سواء السبيل.

د/ مسعود فلوسى

القاهرة فى ٢ فبراير ٢٠٠٣م

أول ذى الحجة ١٤٢٣ هـ

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبع هداهم واقتفى أثرهم وسار سيرهم إلى يوم الدين، والعاقبة للمتقين، وبعد :

فقد كان للعلماء - عبر التاريخ الإسلامي - دورهم البارز في إصلاح ما كان يطرأ على المجتمع من انحراف عن الدين، ومكافحة مظاهر الخلل والانحراف التي تقع في علاقة المسلمين بمقتضيات عقيدتهم المتمثلة في مدى ارتباطهم بشريعة الله عز وجل. ولم يكن هذا الدور - الذي ظل أكثرهم يؤديه بصدق وأمانة وإخلاص وفرط فيه بعضهم دون مبالاة - من قبيل الدور الذي قد يؤديه الإنسان متفضلا به دون أن يكون متعلقا بذمته، وإنما كان دورا منوطا بهم وواجبا في أعناقهم، يُسألون عنه يوم القيامة، وهذا بمقتضى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٨٧].

فالأمانة التي حمَّلها الله عز وجل للعلماء وأمرهم بأدائها؛ أمانة عظيمة وخطيرة .. كما أن المسئولية التي ناطها بأعناقهم مسؤولية كبيرة وجليلة .. إنها الأمانة التي حملها الأنبياء وبلغوها إلى الناس، وإنها المسؤولية التي عرفوا قدرها ونهضوا بتبعاتها، وقد صور النبي عليه الصلاة والسلام هذه الأمانة وهذه المسؤولية، حين قال : «إن العلماء ورثة الأنبياء» [١].

فالعلماء، «بحكم وعيهم بمضامين الوحي الإلهي، وفهمهم لأحكام الشريعة ومقاصدها، واطلاعهم على نصوص الكتاب والسنة، ومعرفتهم بشروح

---

(١) أخرجه ابن ماجة في باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

علماء السلف لها، وقدرتهم على توجيهها والاستنباط منها، وحل معضلات الحياة المتجددة على ضوئها، لهذا كله تعظم مسؤوليتهم كلما اشتدت الحاجة إليهم، وهى تشتد وتقوى بانحسار الوعى الإسلامى العام فى المجتمع ، وفقدان القيم الدينية والأخلاق المبنية عليها وضعف الأواصر بين الناس وبين الأصول الإسلامية المتمثلة بالكتاب والسنة » [١] .

وقد ظل العلماء عبر التاريخ الإسلامى يحاولون أداء هذه المهمة كما أمر الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام، يبلغون الحق ويشيعونه بين الناس، محترسين أشد الاحتراس من الوقوع فى معصية الإخلال بهذه الأمانة، ومتحسبين أشد التحسب مما يسببه إهمال القيام بهذه الأمانة من خطر ماحق يكون مآله بالنسبة إليهم وخيما، وأثره على الفرد والمجتمع خطيرا ماحقا .

ولكن أداء العلماء لهذه المهمة لم يكن دائما بالصورة المطلوبة، فكان منهم من بذل فى سبيلها كل ما يملك، من راحته ووقته وجهده وحتى نفسه إذا اقتضى الأمر، معتبرا أن كل جهد يبذله فى هذه السبيل هو جهاد فى سبيل الله عز وجل، وطريقا إلى التقرب إليه سبحانه وتعالى، متمثلين قول النبى ﷺ : « الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله » . . وكان منهم من حاول أداء هذه المهمة ما كانت خالية من المغارم والمتاعب، بعيدة عن الهموم والمنغصات والصعوبات، أما إذا احتفت بها المكاره والخطوب فإنه يتخلى عنها وينزوى على نفسه، مختليا بها بعيدا عن الناس والحياة، متذرعا إلى التملص من مسؤوليته فى نشر العلم ونصح الناس بمختلف المبررات والمعاذير والأسباب .

ولذلك تفاوت تأثيرهم فى بيئاتهم ومجتمعاتهم التى عاشوا فيها، فمنهم من استطاع أن يؤثر تأثيرا عميقا فى مجتمعه، بحيث جدد حياة الناس فيه واقترب بهم إلى التناغم مع مقتضيات العقيدة ومطالبها وبث فيهم روح الحب

(١) أكرم ضياء العمرى : قيم المجتمع الإسلامى من منظور تاريخى، جـ ١ ، ص ١٤٥ ، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر، رمضان ١٤١٤ ، كتاب الأمة رقم ٣٩ .

والأخوة والتعاون والإخلاص لله. ومنهم من ولد ونشأ وترعرع في بيئة ما، وحصَّل من العلم الكثير، ثم مات دون أن يحرك ساكنا أو يوقظ نائما أو يترك له أثرا يذكر.

وما ذلك إلا لأن العالم مهمته كمهمة النبي ﷺ، لا يمكنها أن تمارس تأثيرها أو تترك أثرها إلا بمخالطة الناس في واقعهم ومشاركتهم في حياتهم، مع احتمال ما يمكن أن يلقاه منهم من أذى، خاصة وأنه يحاول أن يصلح حالهم وينتشلهم مما قد يقعون فيه من ضلالات وانحرافات، إذ النفس الإنسانية من طبيعتها أن تنكر على من يحاول منعها مما تهوى حتى وإن عرفت أنه يبذل لها النصيحة ويريد لها الخير، ولا يتسنى لهذه النفس أن تنقاد إلا إذا تكررت عليها النصيحة وتوالى عليها الأمر والنهى، وذلك لا يتحقق إلا إذا رأى المنصوح تحقق النصيحة في ذات الناصح وحياته وسلوكه، فـ« العالم يؤثر في الناس على قدر صلاحه وعبادته وطاعته لله، فهو إسلام يمشي على رجلين، ونجم يسطع ضياؤه لينير الدروب أمام السالكين، فلا بد أن يأخذ نفسه بالحق ويقومها على الصدق ويغذيها بالورع ليكون بعمله داعيا إلى الحق قبل قوله، ولئلا يكون في مخالفته للحق حجة عليه، فيرد الناسُ كلامه، لأنهم يقولون لو كان كلامه صدقا لأخذ به نفسه » [1].

وكل هذا يقتضى من العالم أن يخالط الناس وينخرط في المجتمع، فيمارس ما يمارسه الناس ويعاني ما يعانونه ويواجه ما يواجهونه حتى يستطيع الإحساس بمشكلاتهم فيكون قدوة لهم إذا أمرهم أو نهاهم، والعالم الذى قد عرف السنة والحلال والحرام وطرق الخير والشر، مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح [2].

وهذا النوع من العلماء الذين تخلصوا من الروح الانعزالية ولم يجنحوا إلى الانغلاق والاعتزال هم الذين استطاعوا أن يعيدوا بناء ما تهدم من حصون

---

(١) المرجع نفسه ص ١٤٧ .

(٢) الإمام ابن قيم الجوزية : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص : ٩٣ .

المجتمع الإسلامى عبر التاريخ، فهم وإن « شاء لهم القدر أن يُبعدوا عن مراكز الإمامة السياسية، إلا أنهم ظلوا دائما يتبوؤون مراكز الإرشاد الدينى والأخلاقى والثقافى فى المجتمعات الإسلامية [1].

وقد شهد العصر الحديث فى العالم الإسلامى نهضة جديدة قادها علماء بارزون، شكلوا كوكبة متتابعة منذ أواخر القرن الماضى وظل امتدادهم إلى أواخر هذا القرن.

كان من هذه الكوكبة الفذة من الرجال؛ محمد بن عبد الوهاب، جمال الدين الأفغانى، محمد عبده، محمد رشيد رضا، حسن البنا، عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمى، سيد قطب، مصطفى السباعى، وغيرهم كثيرون، كلهم ساهموا فى تغيير ملامح المجتمع الإسلامى المعاصر بما أحدثوه فيه وفى حياة أبنائه من تغييرات عميقة مست مختلف المجالات فى هذا المجتمع، كما استطاعوا أن يبثوا فى أذهان الناس وقلوبهم وعيا جديدا بوظيفتهم فى الحياة وواجبهم تجاه ربهم وتجاه دينهم وتجاه أنفسهم وتجاه مجتمعهم وتجاه أمتهم.

ويأتى فى خاتمة هذه الكوكبة من الرجال العظام؛ الإمام العالم العامل الشيخ محمد الغزالى بن أحمد السقا رحمه الله، الذى ودع دنيانا فى شهر مارس من سنة ١٩٩٦م، آيبا إلى ربه عز وجل .. ودَّعَنا ولَـمَّا يتحقق أمله وأمل سلفه من العلماء والدعاة فى أن يروا هذه الأمة قوية الكيان ناهضة الأركان متينة البنيان .. لقد بذل النصيحة، وقال كلمة الحق، وصاح فى الأمة يحذرها مما يُحاك لها، ويَرسُم لها طريق فلاحها .. ولكن وإن لم يتحقق ما أراده رحمه الله، فحسبه أنه قدم النصيحة وبذل الغالى والنفيس فى سبيل تبليغها إلى من هم فى حاجة إليها، كما أن بحسبه وحسب أسلافه من العلماء العاملين أنهم استطاعوا أن يعيدوا تشكيل الوعى الإسلامى المعاصر تشكيلا جديدا، أصبحت اهتمامات

---

(١) د/ عبد المجيد النجار: المهدى بن تومرت؛ حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط ـ ، دار الغرب الإسلامى - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، ص ١١ .

المسلمين معه اهتمامات حضارية شاملة، ولم تعد كما كانت اهتمامات ضيقة محدودة منحصرة فى دائرة الذات أو القبيلة، وسيبعث الله عز وجل لهذه الأمة من يستكمل المسيرة ويواصل الجهود التى قدمها هؤلاء العلماء فى سبيل النهوض بالأمة والرقى بها إلى الدرجة التى تستحق معها أن تكون «خير أمة أخرجت للناس».

لقد كان للشيخ الغزالى رحمه الله تأثير كبير فى واقع المسلمين فى هذا العصر، فهو بجهوده الدائبة وعمله المستمر فى ميدان الدعوة إلى الله منذ أوائل الأربعينات، هذه الجهود التى لم تنحصر فى الدائرة المصرية التى ينتمى إليها، وإنما امتدت إلى سائر بقاع العالم الإسلامى التى زارها وأقام بين أهلها، إضافة إلى أن اهتماماته لم تكن اهتمامات محلية أو ظرفية، وإنما كانت تمتد لتشمل الأمة كلها وتعالج مشكلات المسلمين فى مختلف صورها ومظاهر تشكلها .. بهذه الجهود والاهتمامات استطاع الشيخ أن يتبوأ مركز الإمامة والقيادة الحضارية للأمة الإسلامية، وخاصة فى العقدين الأخيرين من هذا القرن.

فالصفات النفسية والخلقية للشيخ، والمواهب العظيمة التى أوتيها، والطريقة التى كان يتحرك بها، كل ذلك رفع مكانته وأعلى قدره فى الناس، وجعلهم يحبونه ويرتبطون به ويتهافتون على سماع دروسه ومحاضراته وقراءة كتبه على كثرتها وتنوع موضوعاتها.

ورغم هذه المكانة العالية التى تبوأها الشيخ فى عالم المسلمين المعاصر، إلا أن الدراسات التى كتبت حول فكره وجهاده فى ميدان الدعوة إلى الله عز وجل قليلة ونادرة جدا، وهو ما يدعو إلى العجب والاستغراب، فالأمم الصالحة هى التى تعرف قدر علمائها وتذهب فى تقصى أخبارهم ومآثرهم كل مذهب.

هذا ولقد سبق لى أن أعددت كتابا عن الشيخ، بعنوان: «الشيخ محمد الغزالى .. رائد منهج التفسير الموضوعى فى العصر الحديث» [1]، ثم رأيت أن

---

(١) صدر عن دار الوفاء المنصورة، ودار الصحوة – القاهرة، ٢٠٠٠م.

أفرد كتابا جديدا عن حياته وسيرته الشخصية ومواقفه المختلفة التى وقفها خلال مسيرة حياته، وعلاقاته بالناس والحياة من حوله، مستهدفًا التعريف بهذه الشخصية الفذة والعوامل التى ساهمت فى تكوينها والصفات النفسية والخلقية التى كانت تتميز بها، والتى هى موضع القدوة فيها.

لذلك أعددت هذا الكتاب الجديد، الذى قد يلاحظ القارئ الكريم كثرة النقول فيه، كما قد يلاحظ غياب التحليل والنقد .. وأنا أقول أن هذا المنهج مقصود عندى، فلم أشأ أن أكتب عن الشيخ كتابا أكاديميا جافا، وإنما أردت أن أعطى صورة حية عن حياة هذا الرجل العملاق، وأجمع كل ما ورد من حديثه هو أو حديث عارفيه عن حياته وشخصيته وآثاره. ولذلك أفسحت لكلامه وكلام أقرب تلاميذه إليه فى حياته المجال الأوسع، حتى أمكن القارئ من الاطلاع على صورة شاملة وحية عن حياته رحمه الله.

وإنى لأمل أن يكون فى ذلك عون للباحثين فى المستقبل فى فكر الشيخ وجهاده وآثاره وعلاقته بالناس والحياة.

وإنى لأرجو أن أكون بإعداد هذا الكتاب قد أديت بعض الحق الذى للشيخ علىَّ وعلى تلاميذه وأمته. سائلا الله عز وجل أن يجعل هذا العمل صدقة جارية يلحق ثوابها برصيده من الحسنات، وأن يتغمده برحمته الواسعة، ويجزيه عن الإسلام والمسلمين بأحسن الجزاء. آمين.

أخيرا لا يسعنى إلا أن أشكر كل من مدَّ لى يد العون أو شجعنى على المضى فى تأليف هذا الكتاب من زملاء وأصدقاء، سائلا الله العلى القدير أن يحسن المثوبة للجميع.

ولله الحمد فى الأول والآخر . . .

أبو أحمد

مسعود فلوسى

باتنة - فى: الجمعة ٢٤ شوال ١٤١٨ هـ / ٢٠ فبراير ١٩٩٨م

ظروف الميلاد

● الواقع المصرى فى بداية القرن العشرين :

فى بدايات هذا القرن [1] ، كانت مصر خاضعة بصورة مباشرة للسلطة البريطانية، التى كانت قد تدخلت فى شؤون مصر منذ مذبحة الإسكندرية سنة ١٨٨٢م، حيث نشأ بينها وبين العرابيين قتال عنيف أسفر عن هزيمة العرابيين ومحاكمتهم من قبل السلطات البريطانية، التى نفت عددا منهم خارج مصر، لتحكم سيطرتها بصورة واضحة بعد ذلك على الحياة المصرية.

كانت معاملة البريطانيين للشعب المصرى معاملة مهينة، وقد ساهمت حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦م فى تفجير مشاعر الشعب المصرى ضد بريطانيا. وحين نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، تأثر موقف مصر بموقف بريطانيا، التى استغلت الموانئ المصرية لمصلحتها، بل لقد استغلت بريطانيا ظروف الحرب، فأعلنت حمايتها على مصر سنة ١٩١٤م، وأصبحت تتحكم فى توجيه نظام الحكم فيها.

وقد ضاق الشعب المصرى بسياسة بريطانيا وعدائها له، مما دفعه إلى الثورة عليها، هذه الثورة التى أعلنها فى شهر مارس سنة ١٩١٩م وامتدت لتشمل سائر البلاد، وشاركت فيها كل فئات المجتمع المصرى. وقد قابلت بريطانيا ثورة المصريين بالإرهاب وإطلاق الرصاص على المظاهرات المتعددة، وحكمت على آخرين بالحبس أو الجلد أو الغرامة. ولكن ثورة الشعب لم تتوقف، حتى اضطرت بريطانيا سنة ١٩٢٢م إلى إصدار تصريح يتضمن إعلان انتهاء الحماية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة.

---

(١) لخصنا ما يتعلق بأوضاع المجتمع المصرى فى بدايات القرن العشرين عن رسالة عبد الله عوض الخباص: سيد قطب الأديب الناقد. لكونها نفس الظروف التى تتعلق بالغزالى.

أما **على الصعيد الاقتصادى**، فقد كان النظام الإقطاعى أهم ما يميز الحياة الاقتصادية فى مصر قبل الاحتلال البريطانى، ثم أخذت الطبقة المتوسطة تنمو رويدا رويدا، وأخذ الشعور الوطنى يزداد بفضل الثورة العرابية والاتصال بالحضارة الغربية، ومناداة الأصوات الوطنية الصادقة بضرورة التخلص من ربقة الإقطاع الذى يُسام الناس بسببه الخسف والبلاء .. ومن هنا فقد بدأت العلاقات الاقتصادية تتحول، فبعد أن كان المجتمع إقطاعيا أو شبه إقطاعى على الأصح، أخذ يتحول إلى مجتمع تمسك بزمامه الطبقة الوسطى فى كثير من المجالات.

ولكن الحياة الاقتصادية كانت قد تأثرت بعد ذلك بالاحتلال البريطانى، الذى كانت سياسة مندوبه السامى كرومر ومن تبعه تتجه نحو تخصيص مصر للزراعة، وجعلها بلدا زراعيا فحسب، وتركيز ثروتها الزراعية فى القطن، وإهمال الزراعات الأخرى، مما سبب متاعب اقتصادية لمصر وأوقعها فى خسائر فادحة لسنوات عديدة. وكانت الضرائب التى تفرضها الدولة على المزارعين تضيق الخناق عليهم، وتزيد من مضاعفات المأساة، حتى أن الحكومة أكرهت معظم الزراع على بيع ما لديهم من مصاغ وحلى ذهبية وماشية ودواجن. لأداء بقية المال المطلوب منهم، واضطر الكثير منهم إلى الاستدانة من المرابين بالربا الفاحش للغرض نفسه.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد كانت الحياة الزراعية يسودها نظام الإقطاع الزراعى بشكل عام، فأكثر الأراضى يمتلكها كبار الملاك، الذين تعود عليهم الأراضى بالأرباح الطائلة، فى حين كان أكثر المزارعين يكدحون فى مزارعهم من أجل لقمة العيش التى لا يحصلون عليها إلا بعد كد ومشقة. ويوجد مزارعون آخرون لا يملكون أراضى تخصهم، وإنما يعملون فى مزارع الإقطاعيين وأراضيم لقاء اللقمة فقط!

فى الجانب الاجتماعى، كان المجتمع المصرى ينقسم ثلاث طبقات: فهناك

طبقة كبار الملاك الذين يحيون حياة مترفة، بسبب الأرباح التى يحققونها. وبجانبهم طبقة الأغنياء من أصحاب الأموال الكثيرة التى يستغلونها فى عدة مجالات كالصناعة ومشاريعها المختلفة. ويقابل هؤلاء - الذين لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة من السكان - طبقة صغار الملاك الذين يكدحون من أجل لقمة العيش، وغير الملاك الذين يعملون فى الزراعة، وبعض المشاريع الصناعية، أو يمارسون أعمالا أخرى لا تعود عليهم إلا بما قل من المال الذى يعجز فى كثير من الأحيان عن سد حاجاتهم هم وعائلاتهم، أو لا يكفى لقوتهم الضرورى، وهؤلاء هم غالبية الشعب.

وقد كان لتعاليم بعض المفكرين كالأفغانى، ومحمد عبده، وتلاميذهما، أثر فى نشوء أفكار جديدة، سرت بين مثقفى مصر، الذين كان لهم دور بارز فى نشوء الطبقة الوسطى التى أخذت تنمو شيئا فشيئا، حتى استطاع أبناؤها المنتمون إليها أن يقودوا الشعب ضد المحتل بغية تحطيمه، إذ كان هؤلاء هم الذين قاموا بثورة الشعب القومية سنة ١٩١٩م، وواجهوا صلف بريطانيا وكبرياءها بكل قوة وعنف، مطالبين باستقلال بلادهم وتحريرها (١).

● **رؤيا خير :**

فى هذه الظروف، وتحديدا فى النصف الثانى من العقد الثانى من هذا القرن، وفى قرية «نكلا العنب» مركز «إيتاى البارود»، محافظة «البحيرة» .. إحدى المحافظات الكبرى بالوجه البحرى بمصر .. كان يعيش أحمد السقا، وهو شاب متدين، يفيض قلبه بحب الله عز وجل وحب رسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.

كان هذا الشاب يقضى سحابة نهاره فى الكد والكدح فى طلب الرزق فى دكانه، ويستغل أوقات فراغه فى ترتيل القرآن الكريم وتعهده بالحفظ، ثم فى

---

(١) انظر التفاصيل فى: عبد الله عوض الخباص: سيد قطب .. الأديب الناقد، طبعة شركة الشهاب - الجزائر، ص-ص ٢٧ - ٥١ . وما أحال إليه من مصادر ومراجع.

مطالعة الكتب الدينية، وبخاصة تلك التى اهتمت بتهذيب الوجدان وترقيق النفوس. وكان من أهم ما يستهويه فى قراءاته مؤلفات حجة الإسلام الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ)، وخاصة كتابه المشهور «إحياء علوم الدين» الذى كان مدمنا على قراءته.

فى ليلة من الليالى، تراءى له الإمام الغزالى - فى المنام - وأخبره أنه سيتزوج وينجب غلاما، وأشار عليه أن يسميه «الغزالى».

لم تطل المدة على هذا المنام، حتى سعى الشاب أحمد إلى خطبة فتاة من بيت متدين، من قريته ذاتها، وتزوجها بعد موافقة أهلها. كما لم يمر زمن طويل حتى كانت هذه الفتاة حبلى بأول أولادها من زوجها، وكان هذا الولد ذكرا، وقد ولد تحديدا فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٧م، فما كان من أبيه إلا أن سارع إلى تنفيذ وصية الإمام الغزالى التى أوصاه بها فى المنام، فسمى ولده «محمد الغزالى» (١).

● قرية نكلا العنب :

وقرية «نكلا العنب» - هذه التى ولد فيها الغزالى - لم تكن قرية مغمورة لا ذكر لها، بل إنها قرية كان لها تاريخ طيب، فمنها خرج المجاهد الشاعر «محمود سامى البارودى» كما أن منطقة «إيتاى البارود» كان لها فضل إنجاب جماعة كبيرة من العلماء الذين تركوا بصماتهم واضحة فى واقع المجتمع المصرى، وحتى العربى، إذ كان منهم الدعاة والقادة وشيوخ الأزهر، مثل الشيخ سليم البشرى، والشيخ إبراهيم حمروش، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ حسن البنا، والدكتور محمد البهى، والشيخ محمد المدنى، والشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ عبد الله المشد وغيرهم (٢).

---

(١) الشيخ الغزالى بقلمه، ضمن كتاب «خطب الشيخ محمد الغزالى فى شؤون الدين والحياة» جمع وتقديم: قطب عبد الحميد قطب، مكتبة رحاب - الجزائر (د.ت)، جـ ١، ص ١٣.

(٢) د/ عبد الحليم عويس: الشيخ محمد الغزالى؛ مراحل عظيمة فى حياة مجاهد عظيم. ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالى؛ صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره ط ١، دار الصحوة - القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م، ص ١٥.

• **ظروف صعبة :**

وقد برز محمد الغزالى إلى الدنيا فى ظروف صعبة جدا كان يعيشها المجتمع المصرى فى أوائل هذا القرن، وقد سبق تلخيصها، وهى ظروف لا تختلف عن تلك التى كانت تعيشها البلاد العربية والإسلامية كلها تقريبا، إذ كانت تئن تحت وطأة الاحتلال الأجنبى وتعانى مظالمه وويلاته.

ويصف الغزالى طرفا من هذه الظروف التى كانت تعيشها مصر، فيقول:

«برزت إلى الدنيا فى كبوة من تاريخ الإسلام، وأيام كئيبة كان الإنجليز فيها يحتلون مصر، كما احتلوا أقطارا فيحاء من أرض الإسلام الجريح!!

ومع الهزائم المرة التى أحرجت الآباء والأولاد، فإن المقاومة الشعبية كانت عامة. ورفْض الاستسلام للغاصب الكفور كان يعمُّ الأرجاء.

وأذكر أن قريتى الصغيرة «نكلا العنب – محافظة البحيرة» شاركت فى الثورة العامة ضد الإنجليز، وقطعت أسلاك الهاتف، وأعلنت التمرد!

وجاءت فرقة من جيش الاحتلال وعسكرت أمام أحد المساجد، واستخفى الناس فى البيوت، وقُتل أحد الفلاحين الذين لم يلتزموا بتعليمات منع التجول.

وقد عَلِق بذاكرتى ما حدث فى ذلك اليوم، وكانت أمى تحملنى على ذراعها ونحن ننظر إلى الجيش الزاحف – من فوق سطح بعيد – أظننى يومئذ فى الثالثة من عمرى، فقد ولدت فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٧، وكانت هذه الثورة سنة ١٩٢٠ للميلاد» [١].

أما الظروف العامة للعالم الإسلامى فكان يميزها السقوط النهائى للخلافة

---

(١) قصة حياة؛ مقتطفات من مذكرات الشيخ، ضمن مجلة «إسلامية المعرفة» – ماليزيا، السنة الثانية، العدد السابع رمضان ١٤١٧ هـ – يناير ١٩٩٧م، ص ١٥٥ .

الإسلامية، وما ترتب عليه من ضياع شبه كامل للمسلمين وبقائهم بلا راع ولا قائد، وفى ذلك يقول الغزالى أيضا:

«القرن الذى ولدت فيه من أسوأ القرون التى مرت بديننا الحنيف! ولم أبلغ سبع سنين حتى كان المرتد التركى مصطفى كمال قد رمى بالخلافة الإسلامية فى البحر» [1].

كان هذا الواقع الاجتماعى والحضارى الذى ولد فيه الغزالى ذا أثر كبير فى تكوين شخصيته ورسم مسار حياته، إذ بث فى نفسه الإحساس بهموم أمته والشعور بمشكلات إخوانه المسلمين الذين كان أكثرهم يعانى الأمرّين فى سبيل كسب القوت، إضافة إلى ما تعانيه أمتهم على المستوى العام من تداعى الأمم عليها واقتسامها لأراضيها وخيراتها.

* * *

(١) المرجع نفسه ص ١٥٦.

في كُتَّاب القرية

من المآثر التى لا يزال الكثير من المسلمين متمسكين بها، رغم بعدهم عن كثير من أحكام الإسلام الأخرى، وحتى بعض الأحكام الأساسية منها؛ حرصهم على تربية أبنائهم - منذ نشأتهم الأولى - على الاتصال بكتاب الله عز وجل، وذلك بإدخالهم المدارس القرآنية المعروفة بالكتاتيب، حيث تبدأ صلتهم الأولى بحروف اللغة العربية، إذ يحفظونها ويتعلمون كيفية كتابتها، ثم يتدرجون بعد ذلك فى حفظ كتاب الله عز وجل شيئا فشيئا، فمنهم من يتم حفظه، ومنهم من يتوقف فى بداية الطريق، ومنهم من يتوقف فى وسطه، وذلك تبعا لنوع التربية التى يُؤخذ بها الطفل، وتبعا لما للتعليم القرآنى من أهمية فى نظر الوالدين، وكذا تبعا لمدى قرب هذين الوالدين أو بعدهما عن الوعى الصحيح بقيمة القرآن الكريم وأهميته فى تربية المسلم وأثره فى حياته كلها، وكل ذلك مرتبط بمدى التزامهما بأحكام الإسلام فى حياتهما الخاصة والعامة، أو عدم التزامهما بها.

● أب فقير يهب ولده لله :

ومُتَرْجَمُنا : محمد الغزالى، إنما ولد ونشأ فى بيئة كهذه، أهم ما يميزها أنه وُلد لأب تقى ورع يحب الله ورسوله ويحرص على تعلم كتاب الله عز وجل وتعليمه، إذ كان من حفظة القرآن يتلوه ويتدبره، ويتعهده بالتثبيت فى صدره[1].

ولما كان رحمه الله رجلا فقيرا متدينا، فقد كان يعلق آمالا كبيرة على ولده البكر. لذلك، لم يكن غريبا أبدا، أن ينشئه على ما نشأ عليه هو وأحبه

(١) محمد المجذوب: الشيخ محمد الغزالى السقا. ضمن: محاضرات الشيخ الغزالى فى شؤون الفرد والمجتمع، جمع وإعداد: قطب عبد الحميد قطب، مكتبة رحاب - الجزائر، (د، ت) ص ١٧

وأخلص له، ألا وهو حفظ القرآن الكريم، ولذلك، شرع يهتم به ويوفر الظروف اللازمة لتربيته وتهذيبه وتعليمه، فما إن بلغ الخامسة حتى أدخله الكتاب، ليحفظ القرآن مع غيره من الصبية، ولما كان هو أيضا من الحفاظ، فقد تعاون مع فقهاء الكتاب على ألا يضيع ولدُه الوقت سُدًى (١)، «فكان يحفظ حصته المقررة على الشيخ، ويضيف إليها حصة أخرى على والده، فما إن بلغ العاشرة حتى كان قد حفظه كله» (٢).

● مشاعر الأطفال وآيات القرآن:

وبديهى أن حفظ القرآن فى مثل هذه السن، شئ آخر غير فهمه واستيعاب معانيه، فالبون بعيد بين الأمرين، ذلك أن الأطفال – فى هذه السن – عادة ما تكون لديهم ذاكرة خارقة تستوعب كل ما يُعرض عليها، ولكن لا تتوفر لديهم قدرات فكرية تمكنهم من فهم كل هذا الذى يُعرض عليهم. وعادة ما ترتبط التراكيب القرآنية فى أذهان الأطفال بملابسات معينة تتصل بخبراتهم القليلة فى هذه الحياة، وهى فى أغلبها مما يتعلق بعالم الأشياء.

ويذكر الغزالى – فى هذا المجال – بعض ما كان يحسه من مشاعر أثناء الفترة التى قضاها فى كتاب قريته، فيقول:

«لقد استطعت – كعدد كبير من الأولاد الصغار – أن أحفظ القرآن كله وأنا ابن عشر سنين ... وبديهى أن يكون المسجل فى ذاكرتى هو الشكل لا الموضوع، هو الألفاظ لا المعانى، هو الصور البادية للقرآن لا السور المفعمة بالروح والنور والقوة.

لقد نُقشت فى أذهاننا أوائل الصفحات فى المصحف الذى كنا ننقل عنه لنكتب فى ألواحنا، فسورة آل عمران فى الصفحة اليمنى بعد أسطر من تمام

---

(١) قصة حياة، مقتطفات من مذكرات الشيخ الغزالى المرجع السابق ص ١٥٧.

(٢) محمد المجذوب: الشيخ محمد الغزالى السقا. ضمن محاضرات الشيخ الغزالى المرجع السابق ص ١٨.

سورة البقرة، وسورة الأنعام مثلا فى الصفحة اليسرى، لأن ختام المائدة استغرق الصفحة اليمنى بأجمعها.

ويقترن بحفظنا للحروف وحدها؛ أن ملابسات هذا الحفظ ارتسمت هى الأخرى فى أذهاننا، أو بتعبير أصح: فى مشاعرنا.

فمع الحشد الهائل من الآيات التى حُشيت بها عقولنا، أجد فى نفسى عواطف شتى تكتنف هذا التراث المحفوظ.

هناك حزن أو فرح، أمن أو قلق، حر أو برد (!). أجل: حر أو برد، تثب إلى الذهن ذكراه حين أقرأ بعض السور، فربما وقع تعلمنا لإحدى السور فى فصل الصيف أو رقدة الظهيرة بالتحديد، والعرق يتحدر على الجباه، والجو يكتم الأنفاس، ويهيج الأعصاب، والفقيه الغضوب لا يتسامح فى عثرة لسان، ولا يقبل وقفة قصيرة حين تسميع .. وهنا تهتز العصا وتعمل عملها فى إلهاب الجلود، والأهل لا يسمعون إلى شكوى من هذه القسوة، فإن الكلمة المأثورة لديهم: عصا الفقيه من الجنة [1].

● **عصا الفقيه من الجنة:**

كما يصف الغزالى أيضا بعض الظروف التى مرت بها حياته فى الكتاب فيقول:

«لم أكن بليدا ولا نابغا، كنت متوسط الذكاء، ضئيل الجسم، قصير القامة! وكان وقع العصا على جلدى رهيبا عندما أخطئ، وربما أكرهتنى الهيْبة على التلعثم، فإذا ارتفعت العصا أسرعت إلى استعادة وعيى وتابعت القراءة، فإما نجوت، وإما ضُربت ضربة خفيفة ..!!

إن الكُتَّاب شئ مقلق، قاعة واحدة واسعة مليئة بعشرات المستويات، تضم

---

(١) نظرات فى القرآن، ط ٦ ، دار الشهاب - باتنة ، (د.ت) ص ٢٦٦ - ٢٦٧

قريبا من مائة صبى بين السادسة والسادسة عشرة، كل منهم عاكف على اللوح الذى يكتب فيه أو يقرأ منه، وهناك من يقرؤون فى المصاحف، بعدما انتهوا من مرحلة الكتاب .

وعلى بعد مائة ذراع تسمع هدير التلاوة، تقطعه بين الحين والحين استغاثة مضروب لم يحسن الأداء، يتوجع من لذع العصا . .

والآباء يوصون المعلمين بألا تأخذهم شفقة فى التعليم والتأديب، فعصا الفقيه من الجنة كما يقولون!! . . .

بقيت فى الكُتَّاب إلى سن العاشرة، فأتممت حفظ الكتاب العزيز، وعرفت مبادئ الحساب، وشيئا قليلا من قواعد الإملاء، ورأى أبى أن يقدم على مرحلة تعد عصيبة بالنسبة له، لكنها مهمة بالنسبة لى » [1] .

* * *

(١) قصة حياة : المرجع السابق ص ١٥٧ – ١٥٨ بتصرف .

في معهد الإسكندرية الديني

● **الانتقال إلى الإسكندرية :**

بمجرد أن حفظ محمد الغزالى القرآن الكريم، قرر والده أن يلحقه بالمعهد الدينى للإسكندرية، ليواصل تعليمه فى المرحلة الابتدائية، ولذلك باع دكانه الذى يرتزق منه فى قريته، ورحل إلى الإسكندرية التى اشترى فيها مكتبة بحى « كرموز » كانت تبيع الأوراق والكراريس. والروايات المترجمة، والكتب المدرسية والعلمية، والقصص الشعبية، والأسفار الدينية المختلفة.

● **مكتبة وقارئ :**

كانت تلك المكتبة هى المرتع الفكرى الأول الذى نهل منه الغزالى، وفى ذلك يقول :

« تطلعت إلى المكتبة التى نرتزق منها وكنت منهوما بالقراءة، فتركنى أبى أقرأ، وإن كان قد لاحظ فى أسف أنى آبى القراءة فى الكتب الدينية، وأوثر مطالعة الروايات الأجنبية، وربما فضلت قراءة ألف ليلة على ما يختار لى هو من كتب » (١).

وقد تحمل الشيخ أحمد السقا نفقات هذا الانتقال ومغارمه بنفس راضية مطمئنة، ولم يكن يهمه سوى أن يلحق ابنه بالمعهد. وقد تحقق له ما أراد حين ظهر اسم ولده بين أسماء مائتى طالب ناجح فى امتحان القبول الذى عقدته مشيخة معهد الإسكندرية الدينى.

● **الشيخ محمد والزى المنكور :**

كان من نتائج النجاح فى امتحان القبول أن محمد الغزالى أصبح ملزما

---

(١) قصة حياة : المرجع السابق ص ١٥٩.

بارتداء العمامة والجبة المقررة، وهو الوضع الذى ربما لم يسترح إليه وإن كان ملزما به، ولذلك يقول فى وصفه:

« يظهر أن منظرى وأنا فى هذه السن الصغيرة، كان مثيرا للضحك! مما جعلنى أتنكر لهذا الزى المفروض أمدا طويلا..

أصبحت الشيخ محمد، وأنا لم أبلغ الحلم! كنت أحب اللعب، ولكن كيف يلعب شيخ؟ كنت كثير الضحك وجزائى على ذلك طول الزجر والتوبيخ » [1].

● **نظام الدراسة فى المعهد :**

دخل محمد الغزالى – إذا – معهد الإسكندرية، سنة ١٩٢٨م، وكان عمره حينئذ إحدى عشرة سنة، لينتظم فى صفوف الطلاب، مدة تسع سنين كاملة، وكانت الدراسة فيه وفق نظام اليوم الكامل، تبدأ صباحا وتنتهى فى الأصيل، وكان منهاج الدراسة مزيجا من العلوم الدينية والمدنية، ما عدا اللغات الأجنبية التى لم تكن مقررة.

كما أن الدراسة كانت نصف داخلية، يصرف الطالب نحو ثلاثين قرشا يستعين بها على طعامه اليومى، وقد نفع الغزالى هذا أكبر النفع، عندما اضطربت أحوال أبيه الاقتصادية وقارب الإفلاس، واضطر بعد أربع سنين أن يعود إلى القرية من حيث جاء.. « وثلاثون قرشا ليست يومذاك شيئا تافها، فإن القرش الواحد كان يشترى عشر بيضات تساوى فى عصرنا الآن مائة وخمسين قرشا » [2].

وعن حالته فى معهد الإسكندرية، يقول الغزالى:

« بعد أن حفظت القرآن الكريم، انتسبت إلى المعهد الدينى بالإسكندرية،

---

(١) قصة حياة : المرجع السابق ص ١٥٩.

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٩ – ١٦٠.

أخذني والدى وتركنى هناك صبيا صغيرا فى الحادية عشرة من عمرى، وكان على أن أعيش فى تقشف شديد بعد أن زادت أعباء والدى تجاه بقية إخوتى، كنت أفترش الجرائد القديمة على الأرض مع فراش رقيق، الكتب من حولى تتناثر هنا وهناك. ولما اشتد ضغط الواقع قيض الله لى تاجرا أرمنيا كان ابنه فى حاجة إلى تعلم اللغة العربية، وهكذا استخدمت علمى ولغتى فى تعليم ابنه لغتنا مقابل مبلغ زهيد، كان يومها مبلغا محترما» [1].

● **الشيخ الصغير والأحوال العامة:**

وعلى الرغم من صغر سن محمد الغزالى فى ذلك الحين، إلا أنه مع ذلك كان يهتم بالأحوال العامة، ويكترث للمبادئ التى تقوم عليها شؤون السياسة والحكم.

وذلك ما جعله يقود مظاهرة عنيفة لطلاب معهده، انتهت بالتحقيق معه، والإفراج عنه مقابل كفالة قدرها جنيهان، دفعها أبوه وهو يلهث من الإعياء.

ثم قاد مظاهرة أخرى داخل معهده، انتهت بفصله سنة من الدراسة وكان فى ذلك الحين فى السنة الثانية الثانوية، فاضطر إلى التوقف عن الدراسة، وقرر أن يتقدم لامتحان «الشهادة الثانوية - القسم الأول» من الخارج، كل ذلك ووالده الشيخ أحمد السقا يتضور ألما ويكاد يقتله الهم مما يحصل لولده.

● **علة داهمة وهمة نادرة:**

وفى هذه الظروف، دهمت الغزالى علة فادحة طرحته على الفراش ثلاثة شهور، حتى شارف على الموت، وكان والده قد باع تموين بيته كله فى مقابل نفقات تطبيبه وعلاجه ليصح [2].

---

(١) الشيخ محمد الغزالى حياة وأثار .. شهادات ومواقف، جمع وإعداد: دار الأمة - الجزائر، ط ١، ١٩٩٧م. ص ١٢٦ .

(٢) قصة حياة ص : ١٦١ - ١٦٢ .

وبعد أن قام الغزالى من مرضه، قرر أن يدخل الامتحان، مهما كانت الظروف، وفى ذلك يقول:

«نهضت من المرض جِلْدا على عظم، وأرسلت لأصدقائى فى المعهد أن يبعثوا إلىَّ بالكراسات التى يكتبون فيها مسائل الرياضة، وبعض الكتب المقررة، وكانوا عند حسن الظن، فأنجدونى بما يعيننى على المذاكرة ..!

كان علىَّ أن أستعد للامتحان فى نحو عشرين علما، هى المقررات الرسمية للسنوات الأولى والثانية والثالثة الثانوية، وذلك وفق ما يقضى به قانون الذين يُمتحنون من منازلهم!

كان زملائى يحضرون فى معمل الطبيعة والكيمياء، وكانوا يسمعون المدرس وهو يشرح الجبر والحساب والهندسة، أما أنا فكنت ممددا على عيدان الذرة الجافة فوق سطح دارنا، أقرأ وأعانى وأستعين بالله.

إن حالتى فى المعهد كانت عادية، كنت سباقا فى علوم اللغة والأدب فقط، أما فى الفقه والتفسير وغيرهما فقد كان نفورى شديدا من كتب **نور الإيضاح**، **ومتن القدورى**، **ومجمع الأنهر على ملتقى الأبحر**، التى كانت تقدم لنا الفقه الحنفى، كما كنت ضائقا بتفسير **النسفى وأبى السعود** وغيرها.

لا بد مما ليس منه بد! وبعد عام من فصلى ذهبت مرة أخرى إلى المعهد متقدما من الخارج فى امتحان صعب، وكان زملائى يرثون لحالى، ولكنهم لا يحبون أن يجرحوا كبريائى فيسكتون مشفقين.

لا أدرى كيف أديت الامتحان بهدوء! وكرهت أن أعود إلى أبى أنتظر النتيجة فى جواره! وعشت فى مساكن المعهد حتى تم إعلان النتيجة، وكانت المفاجأة: نجحت فى هذا الامتحان الصعب، بل كنت من الأوائل فى القطر كله، والأول فى معهد الإسكندرية» [١].

---

(١) قصة حياة: ص ١٦٢.

عاد الغزالى بعد نجاحه فى هذا الامتحان إلى الدراسة مع زملائه ملتحقا بالسنة الرابعة، فلم يُضع سنة من السنوات .. ولكنه عاد والأزمات المالية تلاحق أباه، خاصة بعد أن أصبح أفراد أسرته كثيرين، مما دفع با لغزالى إلى أن يُدَرِّس لبعض الأطفال نظير أجر زهيد، محتالا على البقاء فى المعهد رغم الظروف الكالحة، حتى نال الشهادة الثانوية (١).

● **والد شفوق وأم حانية:**

هذا ولقد كان للتضحيات التى بذلها الشيخ أحمد السقا فى سبيل ولده أثرها العميق فى شخصية الغزالى من بعد، حيث كان يلاحظ بدقة جهود والده فى تربيته وتعليمه ويدرك فى نفسه أن هذه الجهود لا تنبع من فراغ، فهى إنما تنبع من حب الله ورسوله والإخلاص لدينه.

فلقد كان حرص الشيخ أحمد على تعليم ولده تعليما دينيا، وتحفيظه القرآن الكريم، شديدا. ولم يكن يتوخى من وراء ذلك أى غرض دنيوى، خاصة وأن التعليم الدينى كان ولا يزال إلى يومنا هذا غير مرغوب فيه من فئات كثيرة من الناس، وعادة ما كان المتخرجون منه مثار تجاهل الناس وازدرائهم.

ويصف الغزالى طرفا من جهاد والده، عليهما معا رحمة الله، فى تحفيظه كتاب الله عز وجل، وتنشئته له تنشئة وثيقة الصلة بالله، فيقول:

« ... أبى توفر على تعليمى القرآن بحماسة لم يدركها فتور، حتى استظهرته وأنا صبى غض العود .

وقد فعل ذلك، وهو يعلم أن المتخرجين فى المدارس المدنية قد استأثروا بغنائم الحياة وأشرف مناصبها، وأن علماء الأزهر يحيون على ما يُلقَى إليهم من فُتات الموائد، فمرتب الواحد منهم قد يبلغ ثلاثة جنيهات فى الشهر لا يزيد.

ومع ذلك، فإن الرجل باع ما يملك فى القرية ونزح إلى الإسكندرية ليكون

---

(١) المرجع نفسه ص ١٦٣.

قريبا منى وأنا أتلقى العلم الدينى فى أولى حلقات السلسلة الدراسية الطويلة للأزهر الشريف .. إن هذا الأب، مثل الألوف من المسلمين الذين وثَّقوا بالقرآن أواصرهم، ونذروا له أولادهم.

إنهم لم يربطوا حاضرهم وحسب بهذا الكتاب، بل أبقوه فى أعقابهم، فيومهم وغدهم سواء فى الزلفى إلى الله وطول التأمل فيه .. » [1].

كما يصف المعاملة الإنسانية التى كان يعامله بها أبوه هو وإخوته، فيقول:

« والدى كان شديد الحنو على أولاده، كريما فى الإنفاق عليهم، كان يكدح من أجلنا، وكنا تسعة بين ذكور وإناث .. كان يستيقظ باكرا، يقرأ بعض الأذكار وآيات القرآن الكريم، ثم يفتح الدكان ويجتهد من الفجر إلى المساء ليأتى لنا بالخيرات، وكان مسرفا علينا لا يوفر شيئا، يكسب وينفق كل ما يكسب » [2].

كما كانت أم الغزالى « سيدة بارة صالحة محسنة، تحب الخير والإحسان للناس، وكان الغزالى حين يذهب إلى قريته – بعد ذلك – تطلب منه والدته أن يحسن للجميع، وكان يتوقع دائما منها هذا الطلب عندما يذهب إلى قريته، فكان يعد أكبر مبلغ من المال لإنفاقه فى أوجه الخير والبر، أو يعطيه لأمه للإنفاق منه، ولكنها كانت دائما تكلفه أكثر مما أعد للإنفاق » [3].

لا شك أن هذه البيئة الأسرية التى نشأ فيها الغزالى، كان لها – هى الأخرى – تأثيرها العميق فى مسار حياته وفى الاهتمامات التى ملأت عليه كيانه وفكره ووجدانه، بشكل جعله يسخر حياته كلها لخدمة هذه الاهتمامات.

---

(١) نظرات فى القرآن المرجع السابق ص ٢٦٥ – ٢٦٦.

(٢) من حوار للشيخ مع مجلة « سيدتى »، نقلته عنها جريدة الشروق العربى الجزائرية عدد: ٢٥٩، من ٢٣ إلى ٣٠ أبريل ١٩٩٦م.

(٣) محمد شلبى: الشيخ الغزالى ومعركة المصحف فى العالم الإسلامى، ط ١ . دار الصحوة – القاهرة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م، ص ٢٥

● **أساتذة ومآثر :**

إضافة إلى تأثر الغزالى بجهود والده وجهاده فى سبيل تعليمه، فقد تأثر أثناء دراسته فى معهد الإسكندرية الدينى بعدد من الأساتذة المرموقين الذين درس على أيديهم، واستفاد منهم كثيرا، ويذكر بعض هؤلاء الأساتذة، فيقول : « فى معهد الإسكندرية الدينى، تأثرت بالشيخ إبراهيم الغرباوى والشيخ عبد العزيز بلال، وكانا يشتغلان بالتربية النفسية ولهما درجة عالية فى العبادة والتقوى، وكانا يمزجان الدرس برقابة الله وطلب الآخرة وعدم الفتنة بنيل الإجازات العلمية لأن للألقاب العلمية طنينا ربما ذهب معه الإخلاص المنشود فى الدين » [١] . كما تأثر أيضا بالشيخ محمد الريان، الذى يذكر عنه أنه « كلفه ذات يوم إعراب الجملة التالية : « عبدت الله » . وعلى دأب ذلك الجيل الملتزم، أجاب أن اسم الجلالة منصوب على التعظيم، فما تمالك الشيخ الريان أن بكى، وحق لإنسان مشغول القلب بحب الله أن يبكى وهو يستمع إلى ذكر مولاه معظما على لسان تلميذه .. ولا جرم أن اختزان ذهن الغزالى لهذه الذكرى منذ ذلك العهد، إنما يصور مدى تأثره بموحيات ذلك الجو المتوهج بالإشراق [٢] .

* * *

---

(١) الشيخ الغزالى بقلمه، ضمن : خطب الشيخ محمد الغزالى . جـ ١ ، ص ١٤ .

(٢) الشيخ محمد الغزالى .. حياة وآثار .. شهادات ومواقف، المرجع السابق ص ١٧٦ .

لقاء حسن البنا وصحبته

● **قـــرار العمـــــر :**

وفى السنة الأخيرة من مقامه بالإسكندرية التقى بالأستاذ الإمام حسن البنا، ويصف الغزالى هذا اللقاء فيقول :

« كنت جالسا فى مسجد عبد الرحمن بن هرمز بحى رأس التين أقرأ وردى القرآنى، وانتظرت لأصلى المغرب وأخرج، فإذا رجل يقوم بعد الصلاة يلقى درسا جامعا يتسم بالوضوح والتأثير والصدق.

قررت من يومها أن أتبعه، وأن أسير معه على درب واحد لخدمة الإسلام والمسلمين » [1].

طالت صحبة الغزالى لحسن البنا، منذ لقائهما أول مرة، حتى استشهاد الثانى سنة ١٩٤٩م، وفى خلال هذه المدة الطويلة نسبيا نهل الغزالى من حسن البنا الكثير، وتأثر به تأثرا ظل يفتخر به حتى آخر أيام حياته، فقد اتصل به اتصالا مباشرا، ورأى من دماثة خلقه وعظيم فضله، ما جعله يثق فيه ويتخذه مرشدا وقدوة، ويرتبط به غاية الارتباط، ويتأثر به كل التأثر.

● **بين تلميذ وأستاذ :**

ويصف الغزالى صلته بحسن البنا وتلمذته على يديه وما استفاده منه، فيقول :

« حسن البنا أستاذى الأول فى ميادين كثيرة، وكنت - وأنا طالب - أستمع إلى محاضراته فى القرآن الكريم، وأتأمل معه فى النظرات التى كان يرسلها، وكنت أعود إلى بيتى فألخص ما استطعت فهمه من هذه المحاضرات،

---

(١) قصة حياة : المرجع السابق ص : ١٦٤ .

حتى تجمع لدىَّ كتاب فى هذا الصدد، لكنه للأسف ضاع منى، لكن معانيه بقيت فى ذاكرتى. واستفدت من الإمام الشهيد فى طريقة التفسير التى تعتمد على المعاناة الخاصة والذوق الشخصى، وذلك لطول تدبره فى كتاب الله وشدة ارتباطه به، فقد كانت قدرته خارقة على فتح القلوب لأسرار الوحى [١].

ومما يذكره الغزالى عن أستاذه حسن البنا وخصاله الحميدة، قوله:

«حسن البنا كان صديقا لكل من يلقى من أهل الإيمان، فتغمرك بشاشته عندما تراه وتشعر كانك أصبحت صديقا له أثيرا لديه، وكان يضن بوقته على اللغو، فما تمر ثانية، ولا أقول دقيقة، إلا وهو يخدم الإسلام بكلمة أو توجيه أو عمل نافع أو دعابة لطيفة تربط القلوب.

وذاكرة حسن البنا كانت حديدية وكأنها شريط مسجل يستوعب الأسماء، والمعانى، فلو التقيت به وناقشت معه إحدى القضايا، أو ذكرت له اسم إخوتك مثلا ثم لقيته بعد ذلك ببضع سنين لبادرك بالسؤال عن إخوتك وناقشك فى القضية التى طرحتها عليه منذ سنين، واسترجع معك الحديث وكأنه تم بالأمس القريب .. والحق أن الرجل كان يحب عن إخلاص لا عن تكلف، وربما عانق عاملا يلبس بدلة الشغل الملوثة بشحوم الآلات وسوائلها، فما يحجزه شئ من ذلك عن ترجمة حبه» [٢].

ويعتبر الغزالى أن حسن البنا كان له تأثير كبير فى الحياة الإسلامية المعاصرة، فيقول: «كان حسن البنا - حيث حل - يترك وراءه أثرا صالحا، وما لقيه امرؤ فى نفسه استعداد لقبول الخير إلا وأفاد منه ما يزيده صلة بربه وفقها فى دينه، وشعورا بتبعته نحو الإسلام والمسلمين.

والرجل الذى يشتغل بتعليم الناس لا يستطيع فى أحيانه كلها أن يرسل

(١) نقله الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه «الشيخ الغزالى كما عرفته» ص ١١٠، عن مجلة «الدعوة» غرة ربيع الأول ١٤١٥ هـ.

(٢) الشيخ الغزالى بقلمه، ضمن: خطب الغزالى، جـ ١، ص: ١٤ - ١٥.

النفع، فله ساعات يخمد فيها وساعات يتألق وينير. إن الإشعاع الدائم طبيعة الكواكب وحدها. وقد كان حسن البنا - فى أفقه البعيد - من هذا الطراز الهادى بطبيعته، لأن جوهر نفسه لا يتوقف عن الإشعاع.

سل الألوف المؤلفة التى التقت به .. أو التى أشرق عليها الرجل فى مداره العتيد، ما من أحد منهم إلا وفى حياته ومشاعره وأفكاره أثر من توجيهات حسن البنا، أثر يعتز به ويغالى بقيمته، ويعتبره أثمن ما أحرز فى دنياه »[1].

● ارتباط لا ينفصم :

وقد « ظل الشيخ الغزالى محبا لحسن البنا، وفيا لبيعته، معترفا بإمامته، ذاكرا لفضله، مشيدا بجهوده البناءة والسباقة فى سبيل البعث الإسلامى، منافحا عن دعوته وسيرته إذا مسه أحد بسوء. ذكر أمامه - وهو فى المعتقل - ما كتبه العقاد فى جريدة « الأساس » عن الأستاذ البنا ووالده وأسرته، وكان كلاما سخيفا متحاملا، فقال الغزالى فى غضب : « أما والله لو كان لنا حرية التعبير، ومكنا من الرد، لاستطاعت أقلامنا الشابة أن تكسر تلك الأقلام التى شاخت فى الضلال ».

وفى الذكرى الأولى لاستشهاد الإمام البنا، أصدر الأستاذ صالح عشماوى عددا خاصا من مجلة « الدعوة »، وكتب فيه الغزالى مقالا بعنوان « غصن باسق فى شجرة الخلود »[*]، عبر فيه عن حقيقة مشاعره نحو المرشد الشهيد، الذى عاش حياته يسوق الناس إلى الله، ويحشدهم ألوفا ألوفا فى ساحة الإسلام. وفى أكثر من مناسبة كتب عنه بمثل هذه الحرارة »[2].

* * *

---

(١) نقله الدكتور القرضاوى فى كتابه : الشيخ الغزالى كما عرفته، ص : ٢٥ .

(*) أثبت الغزالى هذا المقال فى كتابه « تأملات فى الدين والحياة ».

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦ .

فى كلية أصول الدين بالأزهر

فى سنة ١٩٣٨م، التحق الغزالى بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف.

● **حادث طريف :**

وقد حصل له فى أول يوم من التحاقه بهذه الكلية حادث طريف دل على خصائصه النفسية، القائمة على حب الصراحة وبغض النفاق، والاشمئزاز من تمجيد الغرب والتغنى بأمجاده الحضارية الزائفة. ذلك أن عميد كلية أصول الدين جمع الطلبة الجدد فى مسجد «الخازنداره» فى حفل عام للتعارف واستقبال العام الجديد، وتوثيق العُرى بين الطلاب وهيئة التدريس. وهنا وقعت حادثة كان بطلها الطالب الجديد محمد الغزالى، ونترك وصف ما حدث للغزالى نفسه، إذ يقول :

«حدث فى هذا الحفل أمر ذو بال، فقد كان من بين من تحدثوا الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة والأخلاق بالكلية؛ وجرى على لسانه ثناء حار على المجتمع الفرنسى، وتنويه بما يسوده من أمانة ونظام، وأهاب بنا أن نتمسك بهذه الخلال!!

وغاظنى ما سمعت، فانتفضت قائما أصيح : أى خلال يا أستاذ؟ هؤلاء تقدموا فى اللصوصية، اللص عندنا يسرق آنية من بيت، أو حافظة من جيب، أو ثمرة من حقل، وهؤلاء يسرقون الشعوب تحت الشمس، ويختلسون العقائد من القلوب!! أى خلال تعنى يا أستاذ نلتمسها من هؤلاء المعتدين على إخواننا فى أقطار المغرب – وكانت كلها محتلة –؟

ولماذا لم تذكرنا بسلفنا العظيم؟

وانطلقت بطريقة همجية اضطرب بها نظام الحفل، ثم أمسك بى بعض المشرفين، وقادونى إلى عميد الكلية الشيخ عبد المجيد اللبان، فرأى شابا فى

العشرين أفقده الحماس وعيه، فقال لى بصوت وديع: أقعد يا ولد!! فجلست أمامه، وكلف شيخا آخر بالتحدث إلى الطلاب الذين بدا أنهم متعاطفون معى، بل بدا أن أكثر المدرسين لم يستريحوا إلى توجيه الدكتور محمد يوسف موسى وأنهم يؤيدون موقفى..!

لم يعاقبنى عميد الكلية، مكتفيا بإسداء بعض النصائح، وصرفنى بعد انتهاء الحفل» (١).

سارت الحياة بالغزالى وزملائه فى الكلية بعد ذلك على عادتها، يتلقون الدروس ويجتازون الامتحانات.

● الطالب المجد والصحفى الناجح:

بيد أنه كان هناك فى الحياة العامة صراع شديد بين القصر الملكى والأحزاب السياسية التى كانت تموج بها الحياة المصرية فى تلك الأيام. وقد كان طبيعيا أن تنشأ فى كلية أصول الدين شعبة للإخوان المسلمين، وأن يكون الغزالى واحدا من أعضائها النشطين. وقد لاحظ الأستاذ البنا نشاط الغزالى وسعيه الدائب فى خدمة الدعوة، فشجعه وأتاح له مساحة يكتب فيها فى مجلة (الإخوان المسلمين)، وقد «ظهر أول مقال له وهو طالب فى السنة الثالثة فى الكلية .. وقد كان الشيخ البنا معجبا بكتابة الشيخ الغزالى، وكان يشجعه ويقول له: اكتب دائما وروح القدس يؤيدك، والله معك» (٢).

وهكذا ظل الغزالى - خلال سنى دراسته الأربعة فى الأزهر - ينشغل بدراسته أحيانا وبالعمل فى شُعَب جماعة الإخوان تارة، حتى تخرج من الكلية سنة ١٩٤١م، بعد جهد جهيد، ميزه الفقر المدقع والبلاء الموصول، وفى ذلك يقول:

---

(١) قصة حياة: المرجع السابق ص: ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) د/ عبد الحليم عويس: الشيخ الغزالى؛ مراحل عظيمة فى حياة مجاهد عظيم المرجع السابق ص ١٦.

«لا أدرى كيف حصلت على شهادتى العالية؟ إنه لولا عون الله ما تم ذلك!

لم أكن متقدما فى ترتيب الناجحين، فهل أحزننى أنى لم أكن من العشرة الأوائل؟ كلا! إننى ما تأخرت عن بلادة أو تقصير، كانت الأحوال التى تكتنفنى رديئة، لا أذكر أننى ملكت كتابا طول السنوات الأربع، وأنَّى لى ذلك؟

وعندما عُرض علينا شرح النووى لصحيح مسلم بنصف جنيه مقسَّطا على عشرة شهور، هززت رأسى بأسا، وقلت: ما معى يكفى للأطعمة والملابس.. واختفيت دون أن يشعر بى أحد» (١).

● **تأثير العلماء:**

فى كلية أصول الدين بالأزهر وخلال سنى دراسته الجامعية، استفاد الغزالى من شيوخه وأساتذته الذين تلقى العلم على أيديهم فى كلية أصول الدين، وكثير منهم كان من العلماء البارزين المرموقين فى كثير من العلوم الشرعية، وتركوا آثارا بارزة فى الفكر الإسلامى الحديث والمعاصر.

وعلى رأس هؤلاء الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله شيخ الأزهر الأسبق، الذى يقول عنه الغزالى، وهو يعدد من تأثر بهم من الشيوخ:

«وقد تأثرت بالشيخ محمود شلتوت الذى أصبح فيما بعد شيخا للأزهر، إذ كان مدرسا للتفسير، وله قدرة ملحوظة فى هذا المجال، إلى جانب رسوخ قدمه فى مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالا، وقد كان رحمه الله شخصية عالمية بارزة يلتف حولها الكثيرون» (٢).

كما استفاد الغزالى أيضا من الأستاذ الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز الذى أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من الدراسات القرآنية التى تنحو منحى التفسير الموضوعى، ومنها رسالته لنيل شهادة الدكتوراه من الصوربون «دستور

---

(١) قصة حياة: المرجع السابق ص: ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) الغزالى بقلمه، ضمن خطب الشيخ الغزالى فى شؤون الدين والحياة المرجع السابق جـ١ . ص: ١٤.

الأخلاق فى القرآن »، ومنها أيضا كتابه الفذ « النبأ العظيم » الذى أفاد منه الغزالى كثيرا، واعترف لصاحبه بفضل الريادة فى منهج التفسير الموضوعى للسور القرآنية [1].

ولم يقف تأثر الغزالى بالشيخ دراز عند حدود التوجه الفكرى فحسب، بل لقد ترسم طريقته ذاتها حين أقبل على ممارسة التفسير الموضوعى للسور القرآنية، وذلك من حيث العناية بالوحدة الموضوعية للسورة [2].

ومن الأساتذة الذين تأثر بهم الغزالى أيضا، من بين شيوخه فى الأزهر؛ الشيخ عبد العظيم الزرقانى صاحب الكتاب المشهور « مناهل العرفان فى علوم القرآن »، ويصف الغزالى هذا التأثر، فيقول:

« تأثرت بالشيخ عبد العظيم الزرقانى، الذى كان مدرسا بكلية أصول الدين، وهو صاحب كتاب « مناهل العرفان فى علوم القرآن »، وكان عالما يجمع بين العلم والأدب، وعباراته فى كتابه المذكور تدل أنه راسخ القدم فى البيان وحسن الديباجة ونقاء العرض » [3].

كما أن من بين شيوخه الذين درس على أيديهم، ولا بد وأن يكون قد تأثر بهم الشيخ الإمام محمد أبو زهرة، الفقيه المعروف، الذى كتب عددا كبيرا من الدراسات القيمة فى علوم الشريعة، وقد درس للغزالى وزملائه كتابه « محاضرات فى النصرانية » كما ذكر الغزالى نفسه [4].

وإلى جانب هؤلاء الأساتذة الذين تأثر بهم الغزالى تأثرا مباشرا، فإنه فى

---

(١) تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل، ط ٣، دار الشروق – القاهرة، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م، ص ١٢٩ .

(٢) نحو تفسير موضوعى لسور القرآن، ط ٢، دار الشروق – القاهرة، ١٤١٣هـ، جـ١، ص ٥ .

(٣) الشيخ الغزالى بقلمه، ضمن خطبه فى شؤون الدين والحياة المرجع السابق ١ / ١٤ .

(٤) انظر تقديمه لكتاب « محاضرات فى النصرانية » طبعة شركة الشهاب – الجزائر.

أثناء دراسته فى كلية أصول الدين، كان من بين الأساتذة فيها «الدكتور محمد أحمد الغمراوى، والشيخ أمين الخولى، والدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ عبد الوهاب خلاف، والشيخ محمد الخضر حسين، والدكتور محمد البهى، والدكتور محمد عبد الله ماضى .. والدكتور محمد يوسف موسى، والشيخ المجاهد الغيور محمد الأودن .. وآخرون» [1]، وكل هؤلاء كانت له بهم صلات متنوعة، أفادت فى تشكيل رؤاه الفكرية وبنائه العقلى والثقافى.

* * *

---

(١) قصة حياة: المرجع السابق ص: ١٦٧ - ١٦٨.

في حقل الإمامة

تخرج الغزالى من كلية أصول الدين سنة ١٩٤١م، وكان عليه أن يواصل دراسته التخصصية التى تدوم عامين، حتى ينال «العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد». ولكنه رأى أن شهادته العالية تمكنه من الحصول على وظيفة. وكان أن أعلنت وزارة الأوقاف عن مسابقة بين خريجى الأزهر لشغل وظائف «الإمامة والخطابة والتدريس» الخالية بمساجدها.

● **مسابقة التوظيف:**

انتهز الغزالى الفرصة ولم يفوتها، وتقدم للمسابقة مع مئات كثيرة من «العلماء العاطلين»، كما سماهم، وكانت تحريرية وشفوية.

ومن طبيعة الامتحانات الشفوية أنها عادة ما تكون سببا فى رسوب الكثير من الطلبة، رغم نباهتهم وتفوقهم، وذلك نتيجة عدم صبرهم على استفزازات الممتحنين. وقد واجهت الغزالى فى هذا الامتحان حادثة من هذا القبيل، كادت تعصف بنجاحه فى هذه المسابقة لولا لطف الله، يصف هذه الحادثة فيقول:

«فى الامتحان الشفوى، وقعت بينى وبين أعضاء اللجنة مجادلة حادة، بدأت بعمل منى كان طائشا .. كان أحد الأعضاء يسألنى فى القرآن الكريم، وكنت أحفظه جيدا، وأجبت عن كل ما سئلت عنه، والرجل يتابعنى فى مصحف كبير، وينتقل بى من صفحة إلى صفحة وأنا ماضٍ فى التلاوة.

وردَّنى فى كلمة، فتوقفت ثم مددت بصرى إلى المصحف الذى معه، فقال لى بدهشة: ماذا تفعل؟ قلت: أريد أن أستوثق هل أخطأت حقا؟ فأنا أحفظ جيدا ..!

وشتمنى رئيس اللجنة، وكان الأستاذ أحمد حسين، أخا الدكتور طه حسين، وهو يومئذ مفتى الأوقاف.

وجاء دور الأستاذ أمين الخولى، الذى طلب منى تفسير آيات قرأتها، وأجبت فخطأنى، وذكرت رأيا آخر فى التفسير فخطّأنى، فقلت وأنا أضبط أعصابى : وددت لو عرفت الحق، فقد ذكرت كل ما أعرف! قال : ذاك فى قاعة الدرس، لا فى لجنة الامتحان.

وتدخل مدير المساجد الشيخ سيد زهران قائلا للشيخ أمين : لقد اعترف الطالب بعجزه، فدُلَّه على الجواب! فقال مرة أخرى : ليس هنا..

فقلت بنزق : لا جواب إلا ما قلت، وأتحدّى إذا كان هناك جواب آخر!

وعاد الشيخ أحمد حسين إلى توبيخى، أما الأستاذ أمين الخولى فأدار ظهره معرضا عنى ومنهيا المناقشة.

ولكن سؤالا وُجِّه إلىَّ من مدير المساجد : ألْقِ الخطبة التى أعددتها. فقلت : اقترح أى موضوع أتحدث فيه، وقمت فتحدثت فى موضوع اقترحه، وانصرفت..

وظهرت النتيجة بعد أسبوعين، وكنت الخامس بين الناجحين، وتم ذلك بما يشبه خوارق العادات » [١].

إثر نجاحه هذا فى هذه المسابقة، تم تعيين الشيخ الغزالى، إماما وخطيبا ومدرسا بمسجد « عَزَبان » بالعتبة الخضراء، وكان هذا المسجد صغيرا محدود المساحة، لكن موقعه فى قلب القاهرة، وفى سوق تزدحم بالناس سحابة النهار وزُلَفا من الليل. وهو حظ لم يلق مثله أحد من زملائه [٢].

● **الصلاة بالملك فاروق :**

ومن طرائف الأحداث أن الغزالى – وفى أول عهده بالإمامة فى هذا

---

(١) قصة حياة : المرجع السابق ص : ١٧٧ – ١٧٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٧٨ .

المسجد – كلفه مدير المساجد أن يؤم جمعة يحضرها الملك فاروق، وأمره أن يستعد لهذا الأمر ويعد له العدة، ولكن الغزالى – وعلى سجيته – لم يعر الأمر اهتماما كبيرا، ما دام الأمر يتعلق بالصلاة، فلم يكلف نفسه عناء التزين للملك، مما أوقع مدير المساجد فى الحرج. يحدثنا الغزالى عن هذه الحادثة، فيقول:

« كان مدير المساجد حسن الظن بى منذ أن شارك فى اختبارى، فاستدعانى إلى مكتبه وكلفنى بالاستعداد لصلاة الجمعة بالملك فاروق، وأمرنى بإعداد الخطبة المناسبة، وأفهمنى أن ذلك فى افتتاح مسجد بحى « المنيل » .

وفى يوم الخميس كنت بوزارة الأوقاف، وأخذ الرجل الخطبة وراجعها، وذهب بها إلى قصر عابدين فأقرت، واتصل بى من القصر تلفونيا يطلب منى الاستعداد لإلقاء الخطبة غدا! ثم قال: وللحيطة، تعال إلىَّ فى البيت نذهب إلى المسجد معا . . .

وفى الصباح كنت عنده جالسا فى حجرة الاستقبال أنتظر دخوله بعدما فتح الخادم لى . . . ودخل المدير ونظر إلىَّ، فكاد يصعق، وأخذ يجمجم بكلمات لم أتبينها وهو يتميز من الغيظ!: يا أستاذ تجئ للصلاة بجلالة الملك فى هذه الجبة البالية وهذا الجلباب الرخيص؟!

وشعرت بحرج بالغ، وتملكنى الخجل، ثم غلبتنى طبيعتى الضاحكة، فقلت: الجبة حسنة، أما الجلباب، فأنا لا ألبس ما يرتديه الشيوخ من نسيج براق لماع، ثم لا تنس أنى ألقاك بهذه الثياب، وأنت والملك سواء . . .!

فقال: الرسميات يا . . .!!

وأخذ الرجل يفكر بسرعة ليخرج من هذه الورطة، وأرسل إلى مفتش مساجد قريب فى مثل جسمى، واستعار منه ملابس أخرى فاخرة، وأكرهنى على ارتدائها، وكانت أطول منى قليلا، فعلمنى كيف أحافظ على سمتى داخلها . . .!

وانتهت الصلاة بخير، وكان شديد القلق، إلى أن انصرف صاحب الجلالة فاقتادنى إلى البيت وهو يسب الظروف التى عرفته بى! ويحمد الله أن تم الأمر بستر! وأنا أواجه هذا كله بالضحك، وأقول: أما من وسيلة للهرب بهذه الملابس؟!» [١].

● **خطيب ناجح:**

ولأن الغزالى كان يحب عمله، ويبذل جهودا بالغة فى إتقانه، فقد استطاع فى ظرف وجيز أن يجعل هذا المسجد الذى عين فيه قبلة يؤمها المصلون ويتوافدون إليه، إذ «لم يمض شهر حتى كان جزء كبير من ميدان العتبة يُفرش بالحُصُر، وتُنقل له الخطبة بالمكبرات» [٢].

* * *

---

(١) قصة حياة: المرجع السابق ص: ١٧٩ - ١٨٠ .
(٢) المرجع نفسه ص : ١٧٨ .

الـــزواج

بعد حصوله على الوظيفة. فكر الغزالى فى الزواج، ورغم الفقر الذى كان يعـانى منه هو وأسـرته، إلا أن ذلك لـم يمنعـه من الإقـدام على هذا المشـروع المكلف.

● **عقدة حلها الأستاذ البنا :**

ولذلك خطب فتاة اختارها، فمنعه والدها الذى كان يشتغل فى وزارة العدل، وكان يطمع فى زوج أغنى منه، خاصة بعد أن علم أن مرتبه لا يزيد على ستة جنيهات، يعطى أباه نصفها ليعول به أمه وإخوته الصغار.

ولم يوافق والد الفتاة على تزويجه منها، إلا بعد أن تدخل الأستاذ البنا، وأقنع الرجل أن الغزالى أفضل من غيره. وبذلك تم الزواج.

وفى ذلك يقول رحمه الله :

« مع تسلمى للعمل الحكومى، تم زواجى، وكان الأستاذ حسن البنا قد تدخل فى المسألة التى بدأت معقدة، فإن والد الفتاة التى اخترتها كان يطمع فى زوج أغنى منى .. إنه من قريتنا، وإن كان موظفا بوزارة العدل فى القاهرة، وعلم أن مرتبى ستة جنيهات، أعطى أبى نصفها تقريبا ..!

لكن الأستاذ المرشد أقنع الرجل بأنى أفضل من غيرى، والمستقبل بيد الله، وسيكون خيرا..

وتزوجت، وسألنى الأستاذ المرشد : ماذا فعلت مع فلان - يعنى صهرى -؟ فقلت : دخلت بابنته. قال عاتبا : لِمَ لم تدعُنى .. وتمثل بقول الشاعر، وهو يبتسم :

وإذا تكـون كريهـة أُدْعى لها   وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

فقلت : لم تكن هناك وليمة . اكتفينا بأشربة حلوة، تناولها بعض الزملاء، وأوسع لى الرجل غرفة فى بيته، والحمد لله . فدعا لنا بالبركة » [١] .

● **زواج مبارك :**

كان هذا الزواج مباركا، ميزه التفاهم بين الزوجين، وساده الهدوء والتعاون على متاعب الحياة، وقد توج بتسعة أطفال عاش منهم سبعة فى حياة الغزالى، ولدان، وخمس بنات، كلهم جامعيون .

وقد عرف الغزالى قدر زوجته، وأحس بفضلها فى قبولها الزواج منه على فقرة وقلة ذات يده، ولذلك عمل ما فى وسعه كى يعوضها ما فاتها من أسباب النعيم . وفى ذلك يقول :

« لقد عشت مع زوجتى ثلاثين سنة كأسعد زوجين فى الدنيا، وكافأتها على رضاها بفقرى، فأسكنتها الغرف، وأذقتها الترف، وجعلتها تدوس الحرير والذهب . . وأنجبت منها تسعة من الولد، استودعت ربى اثنين، وبقى لى سبع من الإناث والذكور، ثم فارقت الدنيا على غير انتظار، فبكيتها من أعماقى . . رحمها الله رحمة واسعة، ورفع درجتها فى عليين » [٢] .

وحين توفيت الزوجة، سنة ١٩٨٠ ، بكاها الغزالى بكاء مرا، معترفا بطيبتها وبحسن عشرتها، وما لاقاه معها من خيرات وبركات .

وقد وصف اليوم الذى توفيت فيه زوجته، فقال : « من أسوأ الأيام التى مرت بى؛ اليوم الذى ماتت فيه زوجتى، فقد كان يوما مقبضا للصدر، ولولا الإيمان بالله، لانفطر القلب من الحزن . لقد تركت وحشة فى صدرى وبيتى بعدما رحلت، وشعرت بأنى سأبقى وحدى » [٣] .

---

(١) قصة حياة : المرجع السابق ص : ١٨٠ . (٢) المرجع نفسه ص : ١٨١ .
(٣) من حديث للشيخ إلى مجلة سيدتى . انظر : الشيخ محمد الغزالى : حياة وآثار . . شهادات ومواقف، ص : ١٢٩ .

فى صفوف الإخوان المسلمين

● **طالب يقود زملاءه :**

رأينا من قبل أن الغزالى كان قد تعرف على حسن البنا قبل أن يأتى للدراسة فى القاهرة، وأنه اندمج فى صفوف الإخوان، وكان يقوم ببعض المهمات فى هذا الإطار، وهو طالب فى كلية أصول الدين.

والحق أن نشاط الغزالى قد تكثف فى صفوف الإخوان، بعد تسلمه لوظيفته كإمام فى مسجد العتبة الخضراء، وهو ما يؤكده إذ يقول :

« فى هذا المسجد، وفيما تلاه من ميادين عمل، كانت لى صفة مزدوجة، فأنا من رجال الإخوان المسلمين، وأنا من علماء الوزارة، ولم أكترث أو أشعر بحرج ما فى المزج بين الصفتين : الرسمية والشعبية.

وانضم إلى ذلك أنى أنتسب إلى تخصص الدعوة والإرشاد، فضممت صفة ثالثة، صفة طالب يستطيع القيادة لزملائه » [1].

وقد حدث أن الغزالى، حين كان يزاول تخصص الدعوة والإرشاد للحصول على درجة التخصص فى التدريس، إلى جانب عمله فى الخطابة والإمامة، أنشأ اتحادا لإعادة التشريع الإسلامى، وسار فى هذا الاتحاد خطوات كبيرة، دون أن يستشير المرشد الأستاذ حسن البنا، وفى ذلك يقول :

« لما انتظمت فى تخصص الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين، عنَّ لى أن أؤلف اتحادا لإعادة التشريع الإسلامى، يزاحم الاتحادات الطلابية الأخرى، ويظهر أن الأرض كانت ممهدة، فسرعان ما اكتسحنا الساحات الأخرى، وأخذنا نوزع ألوف المنشورات لنبلغ غايتنا !.

طلبنا مقابلة رئيس الوزراء، وكان مصطفى باشا النحاس، للتفاهم معه،

---

(١) قصة حياة : المرجع السابق ص : ١٧٩

فحدد لنا الرجل موعدا ضُحى أحد الأيام، ودخلت أتقدم زملائى. فرأيت الباشا متجهما ...

فقلت له: إنك تحكم بلدا يُصدر تراخيص الزنا، ويفتح حانات الخمور، ويحل ما حرم الله!...

وقدمت له مطالبنا، فأخذها ورمى بها فى وجهى، وكان معه الشيخ محمد البنا، وكيل الوزارة للشؤون الدينية، فقال بأدب جم: مهلا يا رفعت باشا، إنهم يطلبون بعْض الإصلاحات الاجتماعية التى تفكر فيها والتى سبق أن كلمتنى عنها، وأخذ ورقة المطالب وانسحب إلى غرفة أخرى.

وبعد جدال ممل انصرفنا، وعلم الأستاذ المرشد بما وقع، فاستدعانى ولامنى على تأليف الاتحاد، وعلى السير به إلى هذه المرحلة، وأفهمنى أن منهج الإخوان وحده هو الموصل للهدف المنشود، وإن طال المدى، ومن الخير أن أكرس جهودى كلها له، وتم الوفاق على ذلك، وأنهينا التشكيل الذى صنعناه».

● **سكرتير مجلة «الإخوان»**:

يواصل الغزالى حديثه قائلا:

«استأنفت العمل ناشطا راغبا فى ميدان الدعوة، وسرنى أن الأستاذ المرشد العام جعلنى سكرتيرا لمجلة الإخوان المسلمين، فكنت أكتب كثيرا، تارة بتوقيعى، وتارات بتوقيعات أخرى، وكنت أتردد على مكتبى بانتظام، وأجمع بين عملى فى المسجد وعملى فى التحرير» [1].

وجمْع الغزالى للوصفين الشعبى والرسمى - بحكم منصبه وانتمائه لجماعة الإخوان - كان يتيح له أن يتكلم فى مختلف المحافل والمساجد. وقد كان يجتهد إذا تحدث فى أمر ما أن يستوفى عناصره العلمية، وأن يربطه بالمناسبات

---

(١) قصة حياة: ص ١٨٢ - ١٨٣.

العابرة على نحو معقول، وأن يجرد كلامه من أى زلفى للحاكمين، وأن يضمنه تصريحا أو تلميحا ما ينصف به دينه ويسترضى ربه [١].

● **مواجهة المظالم الاقتصادية:**

كان الغزالى يكتب فى مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية، فى باب ثابت تحت عنوان «خواطر حرة»، ويكتب فى التاريخ تحت عنوان «صحائف المجد»، وكان يخوض من خلال هذه الكتابات معركة ضد الظلم الاجتماعى، والامتيازات الطبقية، والفوارق الاقتصادية الفاحشة.

وقد ظهر له فى هذه الفترة كتابه البكر «الإسلام والأوضاع الاقتصادية»، وهو أول ما دخل به ميدان التأليف، وهو فى مقتبل شبابه.

ثم ظهر له بعد ذلك كتابه الثانى فى نفس الاتجاه: «الإسلام والمناهج الاشتراكية». وكتب جملة مقالات فى مجلة (الإخوان)، ضمها فيما بعد كتابه «الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين».

وكان الشهيد سيد قطب - قبل الانتماء إلى جماعة الإخوان - قد أصدر مجلة (الفكر الجديد)، وهى مجلة ثورية تُعنى بالمسألة الاجتماعية، وتستلهم الإسلام، ولم تستمر أكثر من بضعة أشهر، وكان الغزالى أحد كتابها [٢].

● **محنة ديسمبر ١٩٤٨ :**

ظل الغزالى على هذه الحال، من العمل الدائب فى حقل الإمامة والخطابة والكتابة، حتى «جاءت محنة ديسمبر ١٩٤٨م، حين صدر قرار حل جماعة الإخوان، ومصادرة ممتلكاتها، والتنكيل بأعضائها، واعتقال عدد كبير منهم، وانتهى الأمر باغتيال الحكومة جهرة لمؤسس الجماعة ومرشدها الأول الإمام حسن البنا» [٣].

---

(١) المرجع نفسه ص: ١٨٧ .

(٢) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته المرجع السابق ص ١١ - ١٤ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٤ .

وقد كان الغزالى «واحدا من عدد محدود من قادة الجماعة الذين أوصاهم الشيخ البنا – قبل استشهاده – بحمل أمانة قيادة الإخوان»[1].

ولم تمر هذه المحنة دون أن يكتوى الغزالى – مع ألوف من أفراد الجماعة – بنار الاعتقال والتعذيب، حيث تم اعتقاله ووضعه فى معتقل الطور بصحراء سيناء، أين قضى قرابة العام.

ويروى الغزالى أطوار الاعتقال، وكيف كان يفكر فى ذلك الحين، فيقول:

«تذكرت ليلة أخرجت من سجن الدرب الأحمر، وفى معصمى قيود الحديد، ووضعت مع عشرات من أمثالى فى سيارة بضاعة، وكعوب البنادق تدق بين أكتافنا حتى لا نحدث جلبة يستيقظ عليها أهل القاهرة النائمون...!

لقد رفضت ليلتئذ أن أقاد صامتا إلى مصير مجهول، فشققت الصمت السائد بالتكبير العالى، وأهبت بمن معى أن نزعج النيام بهتافنا، مهما انهال علينا من ضرب وسب لكن القاهرة كانت يسوسها حفنة من الطغاة الفجرة الذين يسرقون الحكم من ذويه ثم يلعبون به كيف يشاؤون»[2].

● **قائد المعتقلين:**

فى المعتقل أدى الغزالى دورا بارزا فى توعية المعتقلين وتوجيههم وقيادتهم، حيث كان يؤمهم فى الصلوات، ويخطبهم فى الجمعة، ويدرسهم فى الحلقات، صحبة أخيه ورفيق دربه الشيخ السيد سابق. وكان الغزالى يلقى محاضرات فى موقف الإسلام من استبداد الحكام، كانت نواة لكتاب أصدره بعد ذلك، وهو «الإسلام والاستبداد السياسى».

وبعد استدعاء الأستاذ البهى الخولى إلى القاهرة من المعتقل لمحاكمته فى

---

(١) د/ محمد عمارة: الشيخ محمد الغزالى؛ الموقع الفكرى والمعارك الفكرية، ط: ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ١٤.

(٢) الإسلام والاستبداد السياسى، ط ٢، دار الكتب الحديثة – القاهرة، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١م، ص ٦.

قضية أخرى فى إطار النظام الخاص، اختار الإخوان الغزالى أميرا عليهم فى المعتقل، برغم أن فى المعتقلين من هو أكبر منه سنا. فكان الغزالى يطالب بحقوق المعتقلين، ويعمل على استخلاصها لهم من حكام المعتقل وقد قاد مرة مظاهرة هادرة أرغم بها حكام المعتقل على أن يسلموا للمعتقلين المقررات الجافة من الأطعمة ليتولوا هم طبخها وتوزيعها بمعرفتهم[1].

لم يكن وجود الغزالى فى المعتقل، كوجود أى معتقل آخر، يرى أنه مقبوض عليه ومقيد عن أى تصرف أو تفكير فى شئ آخر، بل كان يفكر فى زملائه وأوضاع أمته تفكيرا يشغله عن التفكير فى نفسه وأسرته. ومما يرويه الشيخ عن مشاعره ورؤاه وهو داخل المعتقل، قوله:

«كنت أرسل الطرف، فأقرأ فى الوجوه معانى شتى .. إنهم جميعا مختطفون .. هذا تاجر مختطف من ماله، فهو لا يدرى عنه شيئا .. وهذا موظف مختطف من عمله وأوقف مرتبه كذلك .. وكلاهما محزون الفؤاد، لأنه لا يعرف أين زوجته؟ وأين أولاده؟ .. فى المآقى عبرات منعها التجمل أن تسيل، فهى جامدة لا ينتهى ما يبعثها ولا ينقضى ما يحبسها .. وإذا شغلتهم أنفسهم عن أهليهم، وانحصروا فى مشاكل حاضرهم عن ماضيهم، غمرهم شعور المذلة بأنهم قلة، وأن ثمن حياة الواحد منهم بضعة مليمات، هى ثمن الرصاصة التى يقتل بها .. هكذا قيل لنا فى الطور!!

ورأيت رجالا نبلاء يتخلفون عن صلاة الجماعة، لأن الخروق كثرت فى الأسمال التى يرتدونها، وشيوخا معذبين، حكى لى أحدهم أن أبناءه وأزواج بناته اعتقلوا جميعا. كأن الخطة الموضوعة الا يكون فى البيت رجل»[2].

لقد كان الغزالى يدرك – وهو فى معتقل الطور – أن ما حل بالإخوان المسلمين، كان لهم بعض التسبب فيه، لأنهم لم يحسنوا استغلال الظروف التى

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته المرجع السابق ص ١٦.

(٢) الإسلام والاستبداد السياسى المرجع السابق ص ٥.

أتيحت لهم. وقد أحزنه أنهم لا يعترفون بخطئهم ويرون أنهم على صواب وأن ما أحاط بهم محض ابتلاء لا يد لهم فيه، وفى هذا يقول:

« كان ظنى أن الإخوان بعد مقتل مرشدهم وحل جماعتهم فى ظل استبداد مسعور، سوف يستفيدون من التجربة، ويستبقون فى مصر ضمانات الكرامة الإنسانية، ومعالم الحريات العامة، أفذلك وقع؟ كلا، لقد مشى الأمر فى طريق آخر.

وقد أحزننى وأنا فى « الطور » أن الإخوان عموما يرفضون أى اتهام لسياستهم، وقد قلت: إنه بعد هزيمة « أحد » وقع اللوم على البعض من الصحابة، فلماذا لا نفتش فى مسالكنا الخاصة والعامة، فقد يكون بها ما يستدعى التغيير وما يفرض تعديل الخطة؟ ... لكن هذا التفكير لم يلق ترحيبا » [1].

● اللسان الناطق باسم الدعوة:

بعد خروج الإخوان من المعتقل أواخر سنة ١٩٤٩م، أصبح الغزالى « هو اللسان الأول الناطق باسم الدعوة إلى الإسلام، والمحامى الأول عن حرماته ومفاهيمه.

فهو يسطر المقالات الممتعة فى مجلة « المباحث » التى استأجرها الإخوان، لتعبر عن رسالتهم، ويؤلف الكتب التى تخاطب عقل المسلم وقلبه، وتعمل عملها فى إيقاظ الوعى الإسلامى العام.

وهو يقف بالمرصاد لكل متطاول على قيم الإسلام وأحكامه، ليرسل عليه شواظا من نار، مسلحا بقلم لا يصدأ، ولا يفل، ولا يستكين » [2].

فى هذه الفترة صدر له عدد من الكتب المهمة، كان أشهرها كتاب « من هنا نعلم »، وهو كتاب فى الرد على كتاب « من هنا نبدأ » للشيخ خالد محمد

---

(١) قصة حياة: المرجع السابق ص: ١٨٨ .

(٢) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته المرجع السابق ص ١٧ .

خالد، الذى كان صديقا للغزالى من قبل. كما صدر له كتاب آخر فى الرد على كتاب ألفه أحد الأقباط يتحامل فيه على الإسلام، وكان كتاب الغزالى بعنوان «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام» ألفه بتكليف من الأستاذ حسن الهضيبى، مرشد الإخوان حينئذ.

لقد كان لكتب الغزالى فى تلك المرحلة الحرجة من تاريخ مصر فى عهد الملكية، دور هام فى إيقاظ العقول، وتنبيه القلوب، وإذكاء المشاعر، وتهيئتها للثورة على الأوضاع الظالمة[1].

● علاقة الغزالى بالهضيبى:

وما دمنا بصدد الحديث عن نضال الغزالى فى صفوف الإخوان المسلمين، فلا بد من أن نبرز علاقته بالأستاذ حسن الهضيبى رحمه الله، الذى خلف الإمام الشهيد حسن البنا فى قيادة الجماعة، باعتباره مرشدا عاما لها.

كانت هذه العلاقة طيبة فى أول أمرها، فقد كان الهضيبى يصطحب الغزالى معه فى رحلاته الدعوية إلى الأقاليم، ويكلفه ببعض الكتابات الدعوية. وقد ظلت هذه العلاقة حسنة، حتى ظهرت ثورة ٢٣ يوليو، وعجزت عن احتواء الإخوان الذين وقفوا إلى جوارها وشدوا أزرها وحموا ظهرها، فلجأت إلى محاولة الإيقاع بين قادة الجماعة، حتى يسوء ظن بعضهم ببعض، واستطاع جمال عبد الناصر أن يستغل بعض المواقف للاصطياد فى الماء العكر. وهكذا استطاع أن يوقع بين قيادة النظام الخاص وقيادة الجماعة، حتى أدى ذلك إلى احتلال مجموعة من الشباب المتحمس المركز العام، والتمرد على قرارات القيادة المبايَعة. كما استطاع أن يوغر صدور جماعة من القادة القدامى، حتى وقفوا مع هذا الشباب الثائر ضد قيادته، وكان من هؤلاء أربعة معروفون من خيرة الإخوان جهادا وسابقة وخدمة للدعوة، ومحبة لدى جماهير الإخوان، كان منهم الشيخ محمد الغزالى.

---

(١) المرجع نفسه ص: ١٨ - ١٩.

وفى هذا الجو الملبد بغيوم الفتنة المحبوكة، صدر قرار القيادة بفصل الأعضاء الأربعة من الجماعة. وبهذا بلغت الفتنة هدفها، وحققت مآربها.

كان ذلك سببا إلى أن يهيج الغزالى ويغضب، فجعل يكتب عن سياسة الهضيبى، منتقدا هذه السياسة بعنف، وقد ظهر بعض ما كتبه فى مجلة «الدعوة»، وفى كتابيه «فى موكب الدعوة» و«من معالم الحق».

وقد كان خلاف الشيخ الغزالى مع الأستاذ الهضيبى وقرار فصله من الجماعة، سببا فى نجاته من الاعتقال أوائل سنة ١٩٥٤م، وأواخرها.

ومع هذا حين تبين له طغيان عبد الناصر، وسوء موقفه من الإسلام، ومن دعوة الإخوان، وسمع ما سمع من التنكيل والتعذيب الذى تجرع مرارته إخوانه فى السجون والمعتقلات، وعن صلابة الأستاذ الهضيبى وثباته فى وجه الجبابرة، وأنه لم يُحْن لهم رأسا، ولم يوطئ لهم ظهرا، غيَّر موقفه من المرشد الهضيبى ونوه بموقفه، وأشاد بإيمانه ورجولته، وحين أفرج عنه، سارع بالذهاب إلى منزله، ليهنئه ويصافحه بحرارة وإخلاص، وقد قابله المرشد بنفس الحرارة وروح الأخوة»[١].

وبذلك ارتفع ما بين الرجلين من خصام ونفور وعادت العلاقة بينهما كما كان ينبغى أن تكون.

* * *

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته المرجع السابق ص ٣٧ – ٤٣.

جهـــاد الدعــوة

● **الخطيب الداعيـــة :**

بعد فصل الشيخ الغزالى من جماعة الإخوان المسلمين، تفرغ للدعوة والتأليف، ولم يكن أمامه من سبيل سوى أن يستغل وظيفته فى وزارة الأوقاف فى خدمة الإسلام والدعوة إليه، وفى ذلك يقول:

«قررت أن أتفرد بالعمل للدعوة، على النحو الذى أختاره، وبالطريقة التى أحسن، وأمامى ميدانان فسيحان: ميدان التأليف، وقد وضع الله لى القبول فيه. وميدان المساجد، وأنا قادر على إلقاء الدروس والخطب، وعلى توجيه ألوف الأئمة إلى الغاية الأرشد، والنهج الأمثل»[١].

وكان يمكن للغزالى، وهو يشغل وظيفة إدارية بصفته مفتشا للمساجد فى وزارة الأوقاف، أن يكتفى بوظيفته تلك ويكفى نفسه عناء الدعوة والإرشاد، ولكن الرجل أبى إلا أن يبذل فى سبيل الله ما يستطيع من جهد، وفى ذلك يقول:

«مذ عملت فى السلك الإدارى، وأنا أرفض الاكتفاء به، وأركض ركضا إلى المساجد والأندية والكليات، أتحدث عن الإسلام، أذود عنه المهاجمين، وأكشف كامنه للمتوسمين، وأتعرض للمدح والقدح والتكريم والإهانة»[٢].

● **إصلاح نظام المساجد :**

وقد خلا، ذات فترة – منصب مدير المساجد، فكان الغزالى يقوم بمهامه. وقد استغل وكالته على هذا المنصب فى خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية،

(١) قصة حياة: المرجع السابق ص: ١٩٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٩٦.

حيث عمل هو وأخوه الشيخ السيد سابق، مجتهدين فى ربط الناس بالمسجد، وإحسان التوجيهات الثقافية التى تصدر عنه.

وكان من بين ما أدخلاه على نظام المساجد؛ إنشاء جمعية أهلية لكل مسجد تتعاون مع الإمام فى تحسين أدائه المادى والروحى. ولما اتُّهما بأنهما يريدان إعادة تنظيم الإخوان، حوَّلا اسم الجمعية إلى «مجلس المسجد». كما وضعا مناهج وكتبا يُدرِّسها الإمام طوال الأسبوع، وكراسات للتحضير، تُدوَّن فيها المادة العلمية المقروءة أو المخطوبة.

لكن حدث - فى هذه الأثناء - ما لم يكن فى الحسبان، حيث تبنى وزير الأوقاف - فى ذلك الحين - فكرة أن توكل المساجد إلى جمعيات شعبية تديرها، وتُسأل عنها، وتمنحها الوزارة الإعانة الكافية، وتكون هذه الجمعيات تحت رقابة وزارة الشؤون الاجتماعية.

وأدرك الغزالى أن الهدف هو ترسيخ العلمانية والحياد بالدين عن التدخل فى شؤون الدولة، فقاد حركة هائلة شملت المساجد فى القطر كله، وتم وضع المشروع فى الرفوف [١].

لم تكن الطريق أمام الغزالى مفروشة بالورود، بل كانت مليئة بالأشواك، حيث صودرت بعض كتبه وتعرض للمحاكمة بسبب بعضها الآخر [٢]. ولكنه احتسب كل ذلك عند الله.

لم يكن الغزالى فى هذه الأثناء غافلا عما كان يحدث لإخوانه، من قهر وتقتيل وتعذيب وتغييب. ولكن لأنه لم يكن بوسعه أن يفعل لهم شيئا، فقد طوى قلبه على الأسى لهم، والبكاء لما يلقون[٣].

* * *

(١) قصة حياة: ص: ١٩٣ - ١٩٥.
(٢) المرجع نفسه ص: ١٩٩ - ٢٠٠
(٣) المرجع نفسه ص: ١٩٧.

في صفوف الاتحاد الاشتراكي

● **استغلال الفرص وعدم اكتساب الأعداء:**

كان من منهج الغزالي في الدعوة، أن لا يكتسب الأعداء، بل يرعى الود ما أمكن، وكان يدرك أن وظيفة الدعوة هي إيقاظ ما انطوى من معالم الفطرة في نفوس الناس. ولذلك كان لا يتردد في أن يغشى أي مجتمع أو تجمع أو جماعة، ليدعو إلى الله عز وجل، فلم يكن يستوحش من الأسماء السائدة أو العناوين الشائعة للمذاهب الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، بل من نقطة التلاقي بين الفطرة التي عرفها بالوحي، وعرفها غيره بالتجربة أو بالفلسفة أو بالعلم، من هذه النقطة كان يبدأ دعوته وهو متمكن مستريح ..

لذلك رأيناه يقبل ما رفضه غيره من كلمات الديمقراطية أو الاشتراكية مثلا، وكان يعرض من الدين النواحي المقابلة أو المماثلة، فإذا نجح في إبراز الحقيقة الإسلامية انتقل بمن يخاطب إلى آفاق أوسع تمس العقيدة والعبادة وسائر شعب الإيمان.

● **الانخراط في الاتحاد الاشتراكي :**

لذلك، لم يجد حرجا في التفكير في دخول الاتحاد الاشتراكي، يتخذ من منبره وسيلة يبلغ بها دعوته. وقد دخل هذا الاتحاد فعلا، وحاول من طريقه خدمة الإسلام ونشر الدعوة[1].

ويصف الشيخ أطوار هذه التجربة التي أقدم عليها ونتائجها، فيقول :

« دخلت الاتحاد الاشتراكي، وكانت تجربة شاقة، لا عهد لي بمثلها، فهناك لجنة أساسية ينتخب الجمهور أعضاءها بطريق القوائم في كل وزارة، أو حي، أو

---

(١) قصة حياة: ص: ٢٠٠ – ٢٠٢ .

مصنع .. إلخ، ثم يجتمع مندوبو اللجان الأساسية فى كل قسم لينتخبوا لجنة القسم أو المركز، ثم يجتمع مندوبو المراكز أو الأقسام لينتخبوا لجنة المحافظة، ثم تجتمع لجان المحافظات لتختار ضعف الأعضاء المطلوبين للجنة المركزية، فيُختار نصفهم لعضوية اللجنة المركزية، ومن اللجنة المركزية تكون اللجنة التنفيذية التى تدير شؤون الدولة تقريبا، لأن الوزراء منها، أو خاضعون لها.

ومن السهل إدراك أن هذه السلالم الطويلة صُنعت هكذا حتى لا يصل إلى القمة إلا أهل الثقة.

والواقع أن هذا التنظيم صورة لتنظيم الحزب الشيوعى فى أى بلد اشتراكى، فالقمة تصنع القاعدة أكثر مما تصنع القاعدة القمة..!

وقد رأيت أنى فى المركز أشاهد أناسا لا أدرى كيف نبتوا، فلا يكاد يعرفهم أحد! يمشون معنا ليصلوا بقدرة قادر إلى مستوى المحافظة، ثم يتم تصعيدهم إلى اللجنة المركزية، بطريق الاختيار الصريح من أعلى!!

وشاء الله أن أصعد هذه الدرجات، مستوى بعد مستوى، حتى بلغت اللجنة المركزية، فاختار المسؤولون أسماء ارتضوها، ورُدَّ اسمى لأنه لا يوثق به!..

وأخذت أعمل مكانى، أحاول خدمة دينى .. كان الجو موبوءا، فالشيوعيون رتبوا صفوفهم لقيادة البلد، وغيرهم بين متملق يتسكع على أبواب الرؤساء، أو أنانى لا تحركه إلا مآربه المكشوفة، وإذا جاء وقت صلاة فما يتحرك إلا قليل»[١].

ظل الغزالى مرابطا فى موقعه، كموظف فى وزارة الأوقاف، وواعظ بالأزهر الشريف، وعضو فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى، يعمل دون كلل أو ملل على نصرة الإسلام وقضاياه العادلة.

وقد حدث مرة فى أحد المؤتمرات أن حاول قادة الاتحاد الاشتراكى تمرير

---

(١) قصة حياة: ص: ٢٠٣ – ٢٠٤.

قانون جديد للأحوال الشخصية، دون أن يطلع عليه الأعضاء. هنا ثارت ثائرة الغزالى وأعلن رفضه لما يحدث، وانسحب من المؤتمر. مما جعل القيادة تعيد تنظيم لجنة الأسرة، وتضم إليها الشيخ الغزالى. وأمكن حجز الشر عن أن يتسرب إلى كيان الأسرة المسلمة ونظامها إلى حين [1].

● **فى مؤتمر القوى الشعبية:**

فى سنة ١٩٦٢م، شارك الغزالى فى المؤتمر الكبير للقوى الشعبية، الذى عقده عبد الناصر، «وتحدث فيه الغزالى خارج الخط العام للمؤتمر، مناديا بضرورة استقلال الأمة فى تشريعها، فلا تكون عالة على غيرها، وهذا هو الاستقلال الحقيقى، وبوجوب تميزها فى تقاليدها وأزيائها - أزياء الرجال والنساء - فلا تكون مجرد نسخة مشوهة للغرب فى أفكاره وتقاليده.

وهنا ثارت ثائرة الشيوعيين والمنحلين، وأعداء الإسلام المتسترين بالثورة، والمحتمين بحماها.

وكتب رسام الكاريكاتير الملحد المعروف صلاح جاهين، المحرر بالأهرام، ما كتب من سخرية بالشيخ وكلامه، وما يرمز إليه من بقاء الأزهر والإخوان، وكان صوت الغزالى المنادى بالإسلام، وصوت الأستاذ خالد المنادى بالحرية، هما البرهان الحق على أن مصر لم تمت، وأن فى الزوايا خبايا، وأن للحق رجالا.

نشر صلاح جاهين المعروف بانتمائه الشيوعى ١٤ رسما ساخرا، تحت عنوان «تأملات كاريكاتورية فى المسألة الغزالية»، إن دلت على شئ، فإنما تدل على أن كلمة الغزالى قلبت موازينهم، وأصابت منهم مقتلا، وهو فرد، وهم ألوف معهم الدولة والسلطان، والصحافة والإعلام..

ولقد غاظ الجماهير المسلمة أن يتعرض شيخها وإمامها الغزالى لهذه السخريات من صحفى ملحد اثيم، فخرجت يوم الجمعة (١/٦/١٩٦٢م) من

---

(١) قصة حياة: ص: ٢٠٤.

الجامع الأزهر فى صورة مظاهرة شعبية غاضبة مزمجرة، ضمت عشرات الألوف، وقد اتجهت الجموع الصاخبة إلى دار الأهرام القديمة تعلن احتجاجها وسخطها، وقد حاولوا أن يحملوا الشيخ الغزالى معهم على الأعناق فرفض رفضا حاسما.

لقد سخر الشيوعى جاهين من عمامة الغزالى، ولكن الشيخ وقف فى المؤتمر فى اليوم التالى يقول جهرة: إن تحت هذه العمامة رأس مفكر، كان يحارب الظلم والإقطاع، أيام كان أمثال هذا الكاتب قوادين لفاروق!...

وخرج الشيخ من المعركة مرفوع الهامة، محفوظ الكرامة، مرعيا بتأييد الله وحب الشعب »(١).

استمرت جلسات المؤتمر بعد ذلك بصورة عادية، ولما تقرر تأليف لجنة لوضع التقرير المطلوب عن الميثاق المقترح، همس الغزالى فى أذن صديقه السيد سابق أن العمل الحقيقى قد بدأ، فإن المهم أن يوضع تقرير تبرز فيه الصبغة الإسلامية لمصر، ويخسر التيار اليسارى.

واستمات الشيخ السيد سابق، مع عدد من أولى الإخلاص والغيرة فى وضع التقرير كما ينبغى، وأمكن تقليم أظافر الشيوعيين، ووُضع التقرير المطلوب. الذى لم يكن عبد الناصر راضيا عنه، ولذلك لم يجد صعوبة فى طيه وإهمال إرادة المؤتمر، وفرْض ما يريده هو على المصريين (٢).

* * *

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته المرجع السابق ص: ٥٠ - ٥١.
(٢) قصة حياة، المرجع السابق ص: ٢١٠ - ٢١١.

متاعب جديدة

انتهى المؤتمر الكبير، وخرج الغزالى منه مستريح القلب، ولم يلحقه من موقفه فيه ضر عاجل.

● التجريد من وظيفة مدير المساجد :

لكن أعداءه وأعداء الإسلام، لم يفوِّتوا له ما فعل دون أن يلحقوا به الأذى، لقد تربصوا به عدة شهور، حتى جاء إلى الأوقاف وزير جديد، جرده من وظيفته كمدير للمساجد، ورجع به القهقرى خمسة عشر عاما فى سلم الوظائف، وعينه فى وظيفته القديمة كمفتش للمساجد، وتم نقله من مكتبه الخاص إلى مكتب به بعض الموظفين والموظفات [1].

● المنع من الخطابة فى الأزهر :

لم يكن ذلك كافيا ليشفى غيظ أعداء الغزالى منه، بل ضموا إليه منعه من الخطابة فى الجامع الأزهر، كما تحفظت الشرطة على طبع بعض كتبه، وتمت مصادرة بعضها الآخر.

كما تم تبليغه بأن حظرا قد صدر ضده، يقضى بمنعه من الظهور فى الإذاعات كلها مسموعة أو مرئية.

يقول الغزالى واصفا هذه الضائقة التى حلت به، وكيف أخرجه الله منها :

« المقلق فى هذا الوضع أنى كنت بدأت بناء مسكن لى فى الجيزة، وسأضطر لعدم الوفاء بما التزمت به، ثم إن نفقاتى أنا ستقل بعد أن جف أغلب المنابع.

---

(١) قصة حياة : ص : ٢١١ .

وانزلت بالله حاجتى، وكتمت مخاوفى فى أعماقى، ولم تزل ابتسامتى عن فمى أمام أهلى وأصدقائى، وكل يوم يمر يتناقص معه رصيدى، ويتسلل القلق إلى فؤادى، بيد أنى أعلل النفس بالأمل، وأرقب من الله الفرج.

وذهب الوزير الذى آذانى، وجاء آخر، لم يلبث غير قليل حتى أرسل إلىّ، فصعدت إلى مكتبه، قال لى باقتضاب: دولة الكويت أرسلت تطلبك لتقضى شهر رمضان بها فى الدعوة والوعظ، ألديك مانع؟ قلت: لا، فأمر باتخاذ إجراءات السفر.

عدت من الكويت، وقد قضيت شهرا مباركا، أبيح لى فيه ما كان محظورا علىّ فى القاهرة، حاضرت فى المساجد الكبرى، وتحدثت إلى أمهات الصحف، وسجلت دروسا كثيرة فى التلفاز والإذاعة، وتعاقدت مع الناشرين على طبع عشرة من مؤلفاتى..

عدت من الكويت، وكنت قبل سفرى شديد الوجل من الأزمات الزاحفة علىّ، وكنت أحفظ حديثا عن رمضان أنه شهر «يُزاد رزق المؤمن فيه»، فسرنى أن جعلنى ربى فى عداد أولئك المؤمنين المعانين، ووفَّيت بالتزاماتى كلها، ومنحت قُصَّادى ما ألفوا نيله منى، ولم يشعر ذو سلطة أنى محتاج إلى بابه، فلله الحمد والمنة»[1].

- **العودة إلى الخطابة والمنع منها مرة أخرى:**

عاد الغزالى بعد ذلك إلى الخطابة فى مسجد عمر مكرم بميدان التحرير، وما إن سمع الناس بذلك حتى توافدوا على المسجد الذى كان يغص بهم، مما كان يضطرهم إلى الصلاة فى الميدان المحيط به.

لذلك رأت مصالح الداخلية فى ذلك الحين أن تعترض على عودته إلى الخطابة، مما جعل بعض أصدقائه ينصحون بتركها من تلقاء نفسه، بدلا من

---

(١) قصة حياة: ص: ٢١٣ - ٢١٤.

إحراج رؤسائه، فاستجاب للنصيحة، وكتب يعتذر عن الخطابة، ورأى أن يحاضر في المساجد الأهلية، والأندية العامة، وأن يشتغل بالكتابة التي هي هواه الأصيل[1].

لم تكن المتاعب قد انتهت بهذا الشكل، فإن ما يخبئه الغيب كان أشد وأنكى، ليس على الغزالي وحده، وإنما على الإسلاميين في مصر بصفة عامة، وأفراد جماعة الإخوان بصفة خاصة.

إذ أحس أعداء الإسلام أن المصريين متمسكون بدينهم، راغبون في الظهور بشعائره، وفي أن يُحكموا بشرائعه. وكان جمال عبد الناصر - الذي كان يحكم مصر بالشيوعية -- قد زار موسكو في هذه الأثناء، وهناك قيل له: إن ترك الجماعات الإسلامية خصوصا الإخوان المسلمون، ينشطون على هذا النحو، سوف يدمر مستقبل الاشتراكية، فأسرع جمال - وهو لا يزال في موسكو - بإعلان الحرب على الإخوان المسلمين، وإنذارهم بالويل والثبور وعظائم الأمور.

● **اعتقال ثم تسريح :**

وقد تم في ليلة واحدة اعتقال ما يزيد على ثمانية عشر ألفا من العاملين في الحقل الإسلامي، وكان الغزالي واحدا من هذه الآلاف.

وسبب اعتقال الغزالي، أنه طلب إلى الإذاعة، وأُبلغ أن الرئيس عبد الناصر قد أمر بتشويه صورة الإخوان وتحذير المواطنين من التعامل معهم أو الثقة بهم، وطلب منه أن يقوم بهذا العمل باعتباره واجبا وطنيا. ولكنه رفض ذلك. وقد بقي الشيخ في المعتقل مدة عشرة أيام، إلى حين عودة عبد الناصر من مؤتمر في المغرب، حيث أمر بإطلاق سراحه[2].

وقد كان لخروج الغزالي من السجن وبقائه حرا طليقا، أثر بارز في الحفاظ

---

(١) قصة حياة: ص: ٢١٤.

(٢) المرجع نفسه ص ٢١٤ - ٢١٦.

على ما تبقى من صوت الإسلام فى الواقع المصرى، حيث «بقى الغزالى فى الساحة يتحدث عن الإسلام، ويبلغ رسالته وإن لم تكن له الحرية الكاملة، ولكن صوته كان مسموعا، وكاد يكون هو الصوت الإسلامى الوحيد البين، الذى يجأر بالدعوة إلى الله ... وكان هو الشمعة الهادية فى تلك الفترة الحالكة الظلمات، وكان لسان هذه الشمعة يهتز ويتأرجح ويوشك أن ينطفئ، كلما هبت الريح من يمين وشمال، لولا أن لله مشيئة وحكمة أن يظل نورها مضيئا، حتى تبزغ شمس الحرية يوما»[1].

وقد «وقف الشيخ الغزالى مع المخلصين لحماية الأزهر من التردى، وكان يحاضر فيه شبه محتسب، ووضع يده فى يد الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله - عميد كلية أصول الدين فى ذلك الحين - فتعاونا على إنقاذ الأزهر»[2].

* * *

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) د/ عبد الحليم عويس: الشيخ الغزالى؛ مراحل عظيمة فى حياة مجاهد عظيم، المرجع السابق ص ١٧ .

العلاقة مع عبد الناصر

«كان الغزالى – لطول حربه – للملكية الفاسدة، والإقطاع المتسلط، والظلم المتجبر – شديد الحفاوة بالثورة المصرية، ثورة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، عظيم الترحيب بها والمناصرة لها، وخصوصا أنها أنجزت بعض ما نادى به، مثل تحديد الملكيات الكبيرة.

وكذلك كان الإخوان المسلمون جميعا، فهم الذين ساندوها من أول يوم، وسجدوا لله شكرا بانتصارها، وكانوا حراسها على المنشآت الأجنبية والوطنية التى يخشى أن يفكر خصوم الثورة فى الاعتداء عليها، وكانوا يعتبرون الثورة منهم ولهم، وأن من قادتها من كانوا من الإخوان بالفعل، أو من أصدقاء الدعوة عن بعد، ومن تتلمذ على علماء كبار يوالون الإخوان كالعلامة الشيخ الأودن، ولا غرو أن وقفوا جميعا بجوارها، وحموا ظهرها، وحشدوا قوى الشعب لمساندتها، والرد على المشككين فيها» (١).

لذلك لم يكن غريبا – أن يساند الغزالى – وهو عضو قيادى فى الإخوان المسلمين – هذه الثورة وأن يقف إلى جانب قادتها منافحا مدافعا، خاصة وأن هؤلاء القادة كانت تربطهم بالإخوان المسلمين صلات وثيقة، بل لقد أعلن بعضهم الوفاء لحسن البنا وخطه الأصيل، كما حدث من عبد الناصر. لذلك لم يكن عجيبا أن يهتف الغزالى للثورة وزعيمها فى مؤتمر «مسجد شركس» الذى عقد فى نوفمبر ١٩٥٤م. ويبرر الغزالى موقفه هذا، فيقول:

«كان الإخوان يؤيدون الثورة .. الثورة قامت فاعتقد الناس أنها من الإخوان، أو أن الذين قاموا بها عناصر إخوانية فى الجيش .. وللتاريخ أذكر – وأنا أحد شهود عيان – أن جمال عبد الناصر ذهب بعد قيام الثورة إلى قبر حسن

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص ٤٧ .

البنا. فقد بايع الضباط «الإخوان المسلمين»، وأذكر أن الذى أخذ البيعة منهم إما الشيخ سيد سابق أو الشيخ صالح عشماوى، وأعتقد جازما أنه الشيخ سيد سابق»[1].

لكن الذى حدث بعد ذلك أن العلاقة الطيبة التى كانت تربط بين الإخوان والضباط الأحرار، وعبد الناصر خاصة، قد بدأت تختل وتتراجع إلى النقيض، وذلك حين «بدا عبد الناصر وكأنه يريد الانفراد بالسلطة وحده والابتعاد عن فكر الإخوان بشكل نهائى»[2].

انكشف للإخوان «أن عبد الناصر يريد الثورة لنفسه ولحسابه فقط، وأنه يضمر شرا للحركة الإسلامية، ولكل قوة تقف فى طريقه ... وهذا ما جعل الأستاذ الهضيبى يتوجس شرا من عبد الناصر، ولكن الشيخ الغزالى كان حسن الظن به، بناء على ظواهر رآها منه أو سمعها عنه ...

ومن ناحية أخرى، كان الغزالى – مع فريق من الإخوان القدامى – يتخوفون أن يدخل الإخوان مع الثورة فى معركة غير متكافئة، معركة مع حكومة عسكرية عاتية تملك الجيش والشرطة والقوات المسلحة، ولا تبالى بما تريق من دماء فى سبيل بقائها واستمرار حكمها، وأن من الخير للإسلام ولمصر وللإخوان، أن يكونوا أكثر ليونة مع الثورة وقائدها الذى لم يتخذ – فى رأيهم – بعد موقفا صريحا ضد الإسلام»[3].

وكان ما كان بعد ذلك من الفتنة التى نشبت فى صفوف الإخوان المسلمين أنفسهم، وانتهت بفصل الغزالى وآخرين معه من الجماعة، وكانت فتنة مكنت عبد الناصر من رقاب الكثير من الإخوان فبطش بهم دونما شفقة ولا رحمة.

لقد كان للمحن التى عاناها الإخوان المسلمون على يد عبد الناصر وأعوانه

---

(١) من حديث له إلى مجلة الوسط، عدد: ٢١٦، بتاريخ: ١٨ – ٣ – ١٩٩٦م.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص ٤٧ .

أبلغ الأثر في اكتشاف الغزالي لحقيقة الأمر، وتفطنه إلى اللعبة الرخيصة التي وجهت إلى الإسلام ودعاته في أرض الكنانة. وهو ما جعله بعد ذلك يوجه أصابع النقد إلى عبد الناصر ونظامه. حيث وجه في عدد من كتبه انتقادات لاذعة إلى عبد الناصر وكشف الكثير من التلاعبات التي اقترفت في حق الإسلام والمسلمين على يده أو أيدي أعوانه.

ويمكن أن نفهم موقف الغزالي من عبد الناصر وحيرته في الانقلاب الرهيب الذي حدث في حياته ومواقفه، من خلال قوله:

« الحق أني حائر في فهم جمال عبد الناصر، لقد كنت - كما يعلم الناس - من جماعة الإخوان المسلمين، وأقرر أن جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين بايعا في ليلة واحدة على نصرة الإسلام ورفع لوائه، وقدكنت قريبا من مشهد مثير وقف فيه جمال عبد الناصر أمام قبر حسن البنا، يقول: نحن على العهد، وسنستأنف المسيرة.

كان ذلك عقب قيام الثورة بأشهر قلائل.

وقد وضع كتاب مسلمون كبار مقدمات للرسائل التي كانت تصدر تحت عنوان « اخترنا لك » أمضاها جمال عبد الناصر، وفيها أشرف ما يؤكده زعيم مسلم نحو أمته ودينه.

لا أدري ما حدث بعد ذلك . .

إنه تغير رهيب في فكر الرجل ومسيرته، جعله في كل نزاع بين الإسلام وطرف آخر ينضم إلى الطرف الآخر:

- انضم إلى الهند في خصومتها المرة ضد باكستان المسلمة.

- انضم إلى الحبشة في عدوانها الصارخ على أرتريا.

- انضم إلى تنجانيقا وأغضى عن المذبحة الشنعاء التي أوقعتها بشعب زنجبار المسلم، ورحب آخر ترحيب بنيريري الذي يتظاهر بالاشتراكية وهو قسيس كاثوليكي.

- انضم إلى القبارصة اليونان فى نزاعهم مع القبارصة المسلمين وجعل الأزهر يستقبل مكاريوس عدو الكيان الإسلامى للأتراك .

- كان أسدا هصورا فى قتال اليمن، وحملا وديعا فى قتال اليهود، حتى جعل اليهود - وهم أحقر مقاتل فى العالمين - يزعمون أنهم لا يقهرون فى حرب .

- وقد ساند « البعث العربى » الحاقد على الإسلام، ورفض مساندة أى تجمع إسلامى، واخترع حكاية القومية العربية لتكون بديلا عن العقيدة الإسلامية »[١] .

وفى عدد من كتبه، فصول يكشف فيها الغزالى عن فضائح نظام عبد الناصر ومواقفه المخزية تجاه الإسلام والدعوة الإسلامية .

ففى كتابه « كفاح دين » كشف اللثام عن الخطط المبيتة لضرب كل تحرك للإسلام، والاستعانة على ذلك بأبناء المسلمين أنفسهم، وذكر فيه إحصاء بالمساجد التى هدمها رجال الثورة بدعوى تجميل القاهرة، ولم يبنوا بدائل لها . . وسلط الضوء على ما تقوم به أجهزة الإعلام من تخريب للعقول والضمائر . .

وفى كتابه « قذائف الحق » وضع النقاط على الحروف، وفضح المؤامرات التى دبرت - ولا زالت تدبر - للإسلام عامة، ولدعوة الإخوان خاصة، باعتبارهم القوة المتحركة والمحركة للإسلام، وسجل فى كتابه « الوثيقة الرهيبة » التى أعدها زكريا محى الدين وشمس بدران ورجالهما، ووقع عليها عبد الناصر، للقضاء على الإخوان، وعلى الروافد التى تمدهم من سائر التيارات والقوى الدينية فى مصر . .

وفى هذا الكتاب عرض الغزالى لعبد الناصر فى أكثر من موضع، وخصوصا فى فصل « الدعوة الإسلامية والحكام الخونة » فقد ذكره مع أتاتورك وسوكارنو

---

(١) نقله الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه : الشيخ الغزالى كما عرفته، ص ٤٩ .

وسوهارتو وغيرهم ممن استخدمتهم القوى المعادية للإسلام من صهيونية وصليبية وشيوعية.

وأنكر على عبد الناصر أن يستخدم الأزهر - أكبر جامعة إسلامية - ليستقبل الداعر المنحل سوكارنو ويمنحه أعلى شهاداته العلمية وهى «العالمية» الفخرية فى العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين» [١].

والحق أن كل هذا الذى كتبه الغزالى عن عبد الناصر إنما نشر بعد وفاة عبد الناصر لا قبلها، فكتاب «قذائف الحق» إنما نشر سنة ١٩٧٣م، أما كتابه «كفاح دين» فقد منع من الانتشار، حيث صادرته وزارة الداخلية قبل أن يصل إلى الجمهور [٢]، أما فى حياة عبد الناصر فيبدو أن العلاقة التى كانت تربط الغزالى به قد بقيت طيبة، رغم موقف الغزالى فى مؤتمر القوى الشعبية سنة ١٩٦٢م، ورغم مناهضته لمشاريع عبد الناصر ووقوفه فى وجهها، وكذلك رغم عدم انضوائه مع المتملقين والمرائين والمتزلفين من العلماء. حتى أن عبد الناصر قد أمر بإطلاق سراح الغزالى دون غيره فى حملة الاعتقالات التى مست الإخوان المسلمين سنة ١٩٦٥م.

صحيح أن الغزالى قد تعرض - فى هذه الفترة - للمضايقات من قبل نظام عبد الناصر، إلا أن ذلك كان نتيجة مواقفه الصريحة فى قول الحق والدفاع عنه، ولم تصل إلى درجة يعلن معها العداء للنظام، وإنما كان يحاول دائما أن يبقى على صلات الود والاحترام بينه وبين رجال الدولة، وذلك ما أفاده فى المحافظة على كلمته مسموعة من قبل الجميع.

وقد سجل الغزالى فى مذكراته كلاما عن عبد الناصر يحمل أكثر من دلالة، ويكشف عن تقدير الشيخ للرجال، فهو إنما ينظر إلى أعمالهم لا إلى أشخاصهم، يقول:

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص ٤٨.

(٢) قصة حياة ص ٢١٣.

«إن جمال عبد الناصر لم يكسب معركة قط، إلا المعركة التى أدارها ضد إخوانه، وضد الإسلام، وضد كرامات الناس!!

فى هذه المعركة قدر على تخريب آلاف البيوت، وسجن الألوف من الأبرياء، واستطاع أن يدفن فى أرض اليمن مائة ألف مسلم، عدا الذين قتلوا سرا وعلنا فى مصر!!..

إن الرجل انقطعت علاقته بالإسلام من أمد بعيد، وأظن ذلك يرجع إلى صداقته مع تيتو وسوكارنو ونهرو وغيرهم، فقد حسب أن أولئك الرهط من الرؤساء على درجة عالية من الثقافة والمكانة، فأحب التشبه بهم والنسج على منوالهم.

ولم تكن لديه حصيلة من المعرفة واليقين تنأى به عنهم، فألحد مثلهم ليكون عظيما هو الآخر!!

ولعل مما أعانه على مروقه شيوخ الأزهر الذين ازدلفوا عنده طلاب دنيا .. ولو كان فيهم من يهاب الله لتماسك الإيمان قليلا فى نفس هذا البائس ..

إننى أعتبر أن جمال عبد الناصر مات سنة ١٩٦٧م، وإذا كان قد تأخر سنتين عن ترك هذه الدنيا، فإنه على أية حال ورَّث العرب عارا تسود له الوجوه، وورث اليهود نصرا لم يحلموا به يوما، وورَّث المسلمين مشكلات أعقد من ذنب الضب» (١).

* * *

(١) قصة حياة، ص: ٢٢١ – ٢٢٤، بتصرف .

جهاد أوائل السبعينات

● **جهود وكيل الوزارة :**

بعد وفاة عبد الناصر، ومجئ السادات مكانه، أعاد هذا الأخير الاعتبار للشيخ الغزالى، وأمر الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف بتكليفه بسلطات وكيل الوزارة، وقد صدر قرار هذا الأخير بذلك فى ١٨ يوليو ١٩٧١م [١].

لم يفوت الغزالى فرصة حصوله على هذه الثقة، ليستثمرها فى خدمة الدعوة، فكان يشتغل دون كلل أو ممل، وأدخل الكثير من الإصلاحات على مجالات تكوين الأئمة وتدريبهم، وزود المساجد بالمكتبات، وكان ينتقل إلى الأقاليم فيجتمع برجال الدعوة شهريا، وكانت الوزارة تنظم فى كل عام مسابقة فى عدة كتب مختارة .. إلخ .

● **بناء نفسية المقاتل المصرى سنة ١٩٧٣ :**

ولم يكتف الغزالى بهذه الجهود الضخمة التى كان يبذلها فى إطار عمله الرسمى بوزارة الأوقاف، بل كان يضم إليها جهودا إضافية كثيرة، لعل أهمها فى تلك الفترة ما قام به بعد حرب ١٩٦٧م، رفقة الشيخ حافظ سلامة، إذ كوّنا معا فريق عمل فى الدعوة يجوب أرجاء مصر ليلتقى بالجنود يثبت الهمم ويزرع الإيمان فى النفوس الهابطة، ويصول ويجول يحرض المؤمنين على القتال.

وقد كان لجهوده تلك أثرها البارز فى تحقيق النصر على اليهود فى حرب العاشر من رمضان سنة ١٩٧٣م، إذ استطاع هو ورفقاؤه من شيوخ الأزهر ورجاله، ومنهم الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله، أن يعيدوا بناء نفسية المقاتل المصرى بناء إسلاميا، وأن يبثوا فى شرايينه الدماء التى كانت تحتاجها

---

(١) محمد شلبى : الشيخ الغزالى ومعركة المصحف فى العالم الإسلامى المرجع السابق ص ٢٥ .

معركة الأمة مع أعدائها ومنتهكى حرماتها، وغاصبى أرضها، ومهددى أمنها[1].

● **خطيب جامع عمرو بن العاص:**

ولما جاء الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله إلى وزارة الأوقاف لم يتردد فى تكليف الشيخ الغزالى بالخطابة فى جامع عمرو بن العاص الذى كان قد فقد صبغته الدينية كمسجد، وقبل الغزالى بالمهمة، وبدأ الكفاح الصعب، فإذا بالمسجد يتضاعف رواده، وبعد أن كانوا بضع عشرات لا تصح صلاة الجمعة بهم – فى بعض المذاهب – أصبحوا مئات، ثم آلافا، وقدَّرت وزارة الداخلية المصلين فى بعض الجمع بثلاثين ألفا [2].

كانت خطب الغزالى تصب – فى أكثرها – فى دائرة التفسير الموضوعى المقرون بالنظر إلى الواقع، لذلك كان «فى هذه الخطب، كما فى مقالات الشيخ وكتبه، نقد لبعض الأوضاع، وكشف لبعض المخبوء من المكايد والتآمر على الإسلام وأمته. وهذا لم يرض السياسة المصرية، وحُذِّر الشيخ من هذا التوجه الذى يلتزمه. ولكن الشيخ استمر فى طريقه الذى رسمه لنفسه، ولم يصغ لما نصحه به رئيسه الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للأوقاف والشؤون الدينية، فكان لا بد أن يوقف هذا النشاط، ويُعزل الشيخ عن الخطابة فى المسجد، وأن يوضع فى القائمة السوداء» [3].

---

(١) د/ طه جابر العلوانى: شيخنا الغزالى وصفحات من حياته، إسلامية المعرفة، المرجع السابق ص: ١٥.

– انظر أيضا: د/ علاء محمد الغزالى: السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالى، ضمن كتاب العطاء الفكرى للشيخ محمد الغزالى (حلقة دراسية)، تحرير: د/فتحى حسن ملكاوى، ط: ١، المعهد العالمى للفكر الإسلامى – عمان – (الأردن)، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م، ص: ١٨٩ – ١٩٠.

(٢) قصة حياة، المرجع السابق ص: ٢٢٥ – ٢٢٨.

(٣) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، المرجع السابق ص: ٥٢.

● **فى قائمة المغضوب عليهم:**

والذى زاد الطين بلة، وجعل الغزالى يوضع فى قائمة المغضوب عليهم، أنه حين أراد السادات تغيير قانون الأحوال الشخصية، فيما سمى بقانون « جيهان »، وقف الغزالى فى وجهه، إذ ألقى محاضرة فى نهاية الموسم الثقافى لجامعة القاهرة، ندد فيه بما يحدث، ثم حرض الجماهير فى خطبته بجامع عمرو بن العاص، فخرجت فى مظاهرة شعبية عارمة، مما دفع السادات وزوجته إلى التراجع عن المشروع [١].

وقد ظل الغزالى يصلى بالناس ويخطب الجمعة فى جامع عمرو بن العاص، ولكنه غاب ذات مرة عن الخطبة، واستبدل بخطيب آخر، وشاع فى الناس أن الشيخ قد قبض عليه وأودع السجن، مما دفع بهم إلى الخروج فى مظاهرة عارمة يطالبون فيها بعودته.

وقد كتبت «الأهرام» فى عدد يوم السبت ٢٧ أبريل ١٩٧٤م، تقول:

«نظم عدد من الذين تعودوا صلاة الجمعة فى جامع عمرو بن العاص فى مصر القديمة، مسيرة من المسجد بعد صلاة الجمعة – أمس – اتجهت إلى مجلس الشعب.

وكان الشيخ الغزالى قد تعود إلقاء خطبة الجمعة فى هذا المسجد، ولكنه تغيب عن إلقائها أمس، مما جعل بعض المصلين يتصورون أنه قد ألقى القبض عليه، فنظموا مظاهرتهم...

والواقع أن الشيخ الغزالى ليس مقبوضا عليه، ولهذا نصح رجال الشرطة المتظاهرين بالتفرق، وطلبوا إليهم عدم الانقياد وراء الشائعات الكاذبة التى تستهدف إثارة الجماهير. وقد استجابت أغلبية المتظاهرين لنداء الشرطة، فيما عدا عدد محدود تم تفريقهم.

---

(١) د/ عبد الحليم عويس: الشيخ الغزالى؛ مراحل عظيمة فى حياة مجاهد عظيم، المرجع السابق ص ١٦.

وكانت وزارة الأوقاف قد رأت أن تعهد إلى غير الشيخ الغزالى بإلقاء خطبة الجمعة أمس، حتى يتضح الموقف بالنسبة له، إذ إن « صالح سرية » المتهم الأول فى قضية التنظيم المشبوه ذكر فى التحقيق معه أنه اتصل بالشيخ الغزالى.

ولم تقم النيابة بعد بسماع أقوال الشيخ الغزالى فى هذا الشأن، ومن هنا رأت وزارة الأوقاف أن توفد خطيبا آخر إلى المسجد بصفة مؤقتة » [1].

يقول الأستاذ محمد شلبى معلقا على هذا الخبر الذى أوردته الأهرام:

« حدثنى أحد الذين كانوا يصلون فى مسجد عمرو بن العاص فى هذا اليوم، أن الخطيب الذى كلف بدلا من الشيخ الغزالى، كان العالم العامل والشيخ الفاضل،الفقيه الحجة صاحب كتاب « فقه السنة » الشيخ سيد سابق، وهو من الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين، وهو زميل وصديق الإمام الغزالى .

ولم تكن المظاهرة بهذه الصورة الباهتة التى صاغت بها الأهرام خبرها، ولكنها كانت مظاهرة شعبية إن دلت على شئ، فإنما تدل على مدى ما يتمتع به الإمام الغزالى من حب الجماهير له، وإقبالها عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »[2].

* * *

(١) نقلا عن: محمد شلبى: الشيخ الغزالى ومعركة المصحف فى العالم الإسلامى، ص: ١٣٥ – ١٣٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣٦ .

جهود الدعوة خارج مصر

بعد أن سُحبت من الشيَخ اختصاصاته فى وظائف الدعوة، وجد نفسه على « حصير » – دون مكتب – فى « سندرة » ملحقة بمسجد صلاح الدين بالقاهرة، فجلس على الحصير يشتغل بالتأليف [(١)].

● فى جوار الحرم المكى:

ولما رأى الشيخ أن الحكومة أصبحت تضيق به ذرعا، وأن عليه أن يبحث عن مكان آخر، قبل العرض الذى جاءه من جامعة أم القرى للتدريس بها، ورحب بمجاورة الحرم الشريف، تاركا الميدان فى مصر رغما عنه[(٢)].

فى السعودية قدم الشيخ الغزالى « للدعوة الكثير، فقد كان له برنامج يومى فى المذياع يحبه الناس، كما كان يشارك فى التلفاز، وفى الصحف، فضلا عن جهوده فى تربية طلابه فى جامعة أم القرى، لا سيما طلاب الدراسات العليا، بالإضافة إلى معاونته للمسئولين عن الجامعة وإسهاماته فى مجالس الجامعات الأخرى، ومع أجهزة الدعوة المختلفة بالمملكة »[(٣)].

● فى مصر من جديد:

وبعد سبع سنوات قضاها الغزالى بالمملكة السعودية، توسط الأستاذ الدكتور زكريا البرى، وكان وزيرا للأوقاف، لدى السادات، وأقنعه برفع الغبن الواقع على الشيخ الغزالى، فأصدر السادات يوم ٨ مارس ١٩٨١م، قرارا جمهوريا بتعيينه وكيلا لوزارة الأوقاف لشؤون الدعوة الإسلامية [(٤)].

---

(١) د/ محمد عمارة: الشيخ محمد الغزالى؛ الموقع الفكرى والمعارك الفكرية، المرجع السابق ص: ١٥.

(٢) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، المرجع السابق ص: ٥٢.

(٣) د/ عبد الحليم عويس: الشيخ الغزالى؛ مراحل عظيمة فى حياة مجاهد، المرجع السابق ص: ١٨.

(٤) قصة حياة، المرجع السابق ص : ٢٢٨ . =

ولكن الغزالى ما إن تسلم منصبه، حتى تركه بعد يومين اثنين لا غير، إذ آثر أن يستقبل من المنصب، بعدما عرف أنه لم يكن سوى وسيلة لتدجينه وكسب تأييده واتقاء جانبه [١].

● **فى قطر والكويت وغيرهما :**

التحق الغزالى بعد ذلك أستاذا فى كلية الشريعة بجامعة قطر، حيث «كان يمضى نصف عام كل سنة، فكان له دور كبير فى تطوير كلية الشريعة، وفى تخريج أجيال صالحة منها، وفى نشر الوعى الإسلامى فى أجهزة الإعلام وفى المساجد والمنتديات، وكان يعامل كضيف لدى حكومة دولة قطر، ويحظى باحترام ويُستشار فى كثير من الأمور.

ولفترة طويلة دأبت دولة الكويت - كذلك - على دعوته خلال شهر رمضان من كل سنة، حيث كان يشارك فى بعث الوعى الإسلامى، ويلقى المحاضرات ويشارك وزارة الأوقاف بالكويت فى كل ما تطلبه منه.

وقد كان الشيخ يُدعى دائما إلى المؤتمرات الشبابية والطلابية فى أوربا وأمريكا، وكان له دور رائد فى أكثر المؤتمرات، وكان يُعزى إليه فضل نجاح كثير من تلك المؤتمرات، ويمثل مواقع رئيسة فى إدارتها الفكرية»[٢].

* * *

= - انظر كذلك: محمد شلبى: الشيخ الغزالى ومعركة المصحف فى العالم الإسلامى، المرجع السابق ص: ٢٥.

(١) قصة حياة، المرجع السابق ص: ٢٢٩.

(٢) د/ عبد الحليم عويس: الشيخ الغزالى؛ مراحل عظيمة فى حياة مجاهد عظيم، المرجع السابق ص: ١٩.

العلاقة مع السادات

الحقيقة أن علاقة الغزالى بالسادات تعود إلى عهد قديم، وليست بنت الفترة التى تولى فيها السادات رئاسة الجمهورية المصرية.

● القائمقام والعلماء :

ولعل أول انطلاقة لهذه العلاقة، ترجع إلى العهد الذى كان فيه السادات قائمقاما، أى نائبا عن الرئيس، وقد بدأت علاقة الغزالى به حين تم الإعلان عن افتتاح السادات لأحد المساجد، وكان الغزالى ملزما بالحضور باعتباره ممثلا لوزارة الأوقاف وقائما بأعمال مدير المساجد. يقول الغزالى واصفا هذا اللقاء:

«كان منصب مدير المساجد خاليا، فكنت أقوم بأعماله - بصفتى وكيلا - حتى يجئ من يحتله. وذات يوم عرفنا أن القائمقام أنور السادات سيفتتح أحد المساجد الأهلية يوم الجمعة وعلينا أن نستعد ...!

وذهب أنا وأخى الشيخ السيد سابق إلى المسجد، وهناك تبين لنا أن خطيب الجمعة سيكون السادات نفسه، فاستغربت لأن المسجد يتبع الجمعية الشرعية، وللقوم تقاليد معينة فى زى الخطيب..

وفيما أنا أفكر دخل السيد أنور، مرتديا عباءة عربية، وعلى رأسه عمامة لها ذنب يغطى قفاه، كأنه من رجال الجمعية القدامى!...

وألقى الخطبة باللغة العامية حينا، وبالعربية المشوهة حينا، ثم انتهى منها، وتقدم للصلاة ونحن خلفه، قرأ فى الركعة الأولى سورة الماعون، فاضطرب، وقدم وأخر ثم ختمها على أى نحو! ولطف الله فى الركعة الثانية، وسلم من الصلاة، ونظر إلينا من عَل، وكأنه يقول: ما أنتم؟ إذا وُجدت بطل وجودُكم!!

ولم أكن أعرف الرجل من قبل. مبلغ ما أسمع عنه أن الأستاذ حسن البنا

كان يرسل إلى بيته بعض المساعدات عندما يقع فى ورطة، لكنه الآن - فيما أحسست - يجمع بين الكِبر والجهل!!

وهمست إلى صديق معى: إن الخطأ فى العبادات، أو الهزل فى أدائها، حسابه عند الله...

وددت لو قلت للرجل: لماذا تصلى بالعلماء، وأنت لا تحسن الخطبة ولا الإمامة؟. ولكنى سكت لأنى كرهت أن أفصل من الأوقاف بعدما فصلت من الإخوان»[1].

● فى مؤتمر القوى الشعبية :

اللقاء بين الرجلين تجدد مرة أخرى فى مؤتمر القوى الشعبية الآنف الذكر، وذلك أن المؤتمر افتتحه عبد الناصر، وكان الأمين العام هو أنور السادات. ولما حدث ما حدث بعد تدخل الشيخ الغزالى وتجرؤ الصحف والصحافيين عليه، كما سبق القول، طلب أعضاء المؤتمر إن يُسمح للشيخ بالتدخل مرة أخرى. ولأن الرئيس عبد الناصر كان قد انصرف، فقد افتتح الجلسة أنور السادات ودعا الشيخ إلى الحديث بناء على طلب المؤتمرين، وهنا قام الغزالى ليشن حربا شعواء على الصحافيين والجرائد التى اتهمته وأهانته، مما دعا السادات إلى محاولة إيقافه عن الكلام بدعوى تجاوزه الوقت، يقول الغزالى :

«الذى أذكره أن الرئيس السادات حاول ثنى زمامى وتذكيرى بأنى تجاوزت الوقت، فرفضت السماع له، وشفيت مما نالنى ونال المؤمنين معى»[2].

والذى حدث بدقة أن الغزالى حين وصل إلى قوله: «إن تحت هذه العمامة رأسا مفكرا، كان يحارب الظلم والإقطاع أيام كان أمثال هذا الكاتب - ويقصد به الشيوعى صلاح جاهين - قوادا لفاروق». هنا طرق السادات بالمطرقة، وقال:

---

(١) قصة حياة، المرجع السابق ص: ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) المرجع نفسه ص: ٢٠٨ - ٢٠٩.

«كفى .. كفاية يا شيخ غزالى!»، فرد عليه الغزالى ساخطا: «دعنى أتكلم»[1].

وقد علق الغزالى بعد ذلك على طى السلطة لتقرير المؤتمر وتجاهلها له، وموقف السادات من ذلك، قائلا:

«لم يجد جمال صعوبة فى طى التقرير وإهمال إرادة المؤتمر، وفرض ما يريده هو على المصريين...!

أما أنور السادات فهو صوت سيده! كان أقل وأذل من أن ينأى عن هوى زعيمه قيد أنملة! بل كان معروفا بأنه الرجل الذى يسلى ويسرى، ويسارع فى مرضاة سيده»[2].

● **السادات يتهم الغزالى بالفتنة:**

وبعد أن عارض الغزالى مشروع قانون جيهان، وتم إبعاده من الخطابة فى جامع عمرو بن العاص، وانتقاله إلى المملكة العربية السعودية. «وفى أحد اجتماعات الرئيس السادات، سأله رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، عن سر التفريط فى الشيخ الغزالى ليغادر مصر، ويحرم جمهوره منه، وتقريب الضعفاء أو المنافقين. هنا ثارت ثائرة السادات، وهاجم الشيخ الغزالى، واتهمه بأنه من دعاة الفتنة «الطائفية»، وما كان الشيخ يوما من هؤلاء ولا يكون»[3].

كما هاجم السادات الشيخ الغزالى «بضراوة، ونسب إليه من الجمود وحب الظهور ما لا يتصل بالأستاذ فى شئ، وكان ذلك على ملأ من الأشهاد، حيث أذيع حديث الرئيس فى التليفزيون والإذاعات المصرية، ونشرته

---

(١) محمود شلبى: الشيخ الغزالى ومعركة المصحف فى العالم الإسلامى، ص: ٧٩ – ٨٠.

(٢) قصة حياة، المرجع السابق ص: ٢١١.

(٣) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص: ٥٢.

الصحف اليومية، وتبرع بعضها بالتعليق المؤلم للأستاذ مجاراة للرئيس وتزلفا لـــــه»[١].

● **الغزالى يتحدى :**

هذا الموقف من السادات، جعل الشيخ يشهر سلاح التحدى ويرسل إليه من السعودية رسالة يتحداه فيها أن يثبت عليه شيئا مما يقول.

وقد جاء فى هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، حفظه الله ..، السلام عليكم ورحمة الله تبارك وتعالى، وبعد:

فقد استمعت إلى العبارات التى تناولتمونى بها فى مؤتمر «الطلاب»، كانت عبارات قاسية، فيها أنى مستغل للدين، وطالب زعامة، ومثير فتنة، ومستجد لعواطف المؤمنين.

وقد استغرب الناس فى «مكة المكرمة» هذا الذى حدث كله، ورأوا أن الأمر يحتاج إلى استجلاء ومراجعة، فرأيت أن أتوجه إلى سيادتكم بهذا الخطاب المفتوح:

١ - إننى أعمل فى ميدان الدعوة من عشرات السنين، فقد التحقت بوزارة الأوقاف عام ١٩٤٢م إماما وخطيبا ومدرسا، وقبل ذلك ببضع سنين كنت أدعو إلى الله على بصيرة مع أنشط الجماعات الإسلامية، أى أننى أشتغل بالدعوة من أربعين عاما تقريبا، كنت خلالها - علم الله - صادق النية والوجهة.

٢ - آخر ما قمت به فى القاهرة؛ دفاعى عن قوانين الأسرة الإسلامية فى كلمة مسجلة عامرة بالإقناع والإحصاءات والأدلة الدامغة. ولكن المسؤولين

---

(١) د/ محمد رجب البيومى: شجون وذكريات عن الشيخ الغزالى. ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالى .. حياة وآثار، شهادات ومواقف، ص: ١٩٩

الذين استمعوا إليها تناولونى بالسوء واعتبرونى مسؤولا عن المظاهرة التى خرجت من الأزهر إلى مجلس الشعب لإجهاض القانون المقترح من وزارة الشؤون الاجتماعية بهذا الصدد، ونسبوا إلىَّ عبارات لم أتفوه بها .. وقد كتبت إلى سيادتكم كى تتعرفوا إلى الموضوع .. ولكن هؤلاء المسؤولين حالوا بينى وبين سيادتكم.

٣ - نتيجة للحيلولة بينى وبين سيادتكم، تم إبعادى عن منصبى «المدير العام للمساجد» وعن إلقائى الخطبة فى مسجد عمرو بن العاص، وتم رميى فى «سندرة» مسجد صلاح الدين بلا عمل ولا كرامة لولا أننى أعتز بالله .. ثم قالوا للصحف: إن ما حدث يرجع إلى صلتى بقضية الفنية العسكرية .. وبديهى أنه لا يوجد ما يربطنى بهذه القضايا وأمثالها .. ولكن إبعادى عن الدعوة كان غرضا مبيتا، لا لشئ إلا لأنىٰ رفضت التفريط فى حقائق الإسلام وشرائعه.

٤ - إن عملى للدعوة الإسلامية خلال أربعين سنة مسجل فى عشرات الكتب التى ألفتها، ومئات البحوث والدروس التى تذاع فى عواصم العالم العربى، وآلاف الخطب التى ألقيتها فى المساجد والمجامع العامة .. وهو عمل يتسم بالوضوح والتجرد والفكر النقى والشعور الصادق .. أما وظائفى التى قمت بها فى الجهاز الحكومى فهى معروفة، ولم يقع أنى رقيت استثناء، أو منحنى وزير شيئا .. بل كان إخلاصى للإسلام سبب الأزورار عنى .. إلى أن شعرت آخر الأمر بأن وجودى فى القاهرة سوف ينتهى بكارثة، فاستجبت للعرض الكريم الذى جاءنى من السعودية، وعملت أستاذا بكلية الشريعة بمكة المكرمة.

٥ - فى عام ١٩٧٥م، أفضيت بحديث إلى مجلة «الاعتصام» قلت فيه أننى مستعد للتضحية بمرتبى الكبير فى الجامعة السعودية وبمنصبى العلمى بها، إذا عدت للعمل فى مسجد عمرو بن العاص، وإلى توجيه الدعوة بوزارة

الأوقاف، أى إلى عملى الأول. ونشر الحديث، ورفضت الوزارة أن تتصل بى أو ترد على تساؤلاتى لأعود إلى عملى .. والواقع أنى عرضت هذه التضحية، لأن رعاية الإسلام فى القاهرة جهد يهتم به المخلصون فى العالم الإسلامى كله .. وقد كتبت إلى الوزيرين الشيخين: الذهبى والشعراوى، أنى مستعد للعمل بالوزارة فى منصب الوكالة الذى يخلو ببلوغ السن القانونية .. وهذا تنازل منى لا بد من شرحه لإخراس المهتمين بقضية «الفلوس» والحصول عليها، فنشروا فى الصحف كلاما سقيما عن المال الذى آخذه فى السعودية، وهم يعلمون أنى عرضت التنازل عنه كتابة، وأن البحث عن المال لم يشغلنى فى شبابى، فكيف يشغلنى الآن عن واجباتى؟ وردى عليهم: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

٦ – إننى أتقاضى مرتبا يساوى مرتبات خمسة عشر «وكيل وزارة» فى مصر .. ومنصبى «رئيس قسم الدعوة وأصول الدين» هو أحظى عندى من منصب وزير فى مصر .. ومع ذلك فقد عرضت التنازل عن هذا كله لأخدم الدعوة الإسلامية فى مسجد عمرو بن العاص وفى مساجد الوزارة التى عملت بها أكثر من ثلث قرن .. ولكن المبهورين بقضية «الفلوس» والحصول عليها أرادوا إظهارى وكأننى ذهبت إلى السعودية جريا وراء المال وزهدا فى حراسة الإسلام بالقاهرة.

٧ – لقد منعتنى يا سيادة الرئيس من الخطابة فى مسجد عمرو بن العاص، وكان يصلى معى فى هذا المسجد ثلاثون ألفا على الأقل، فماذا كانت نتيجة المنع؟ .. استطاع الشيوعيون فى الفراغ الدينى السائد أن يفعلوا ما فعلوا .. وعجيب يا سيادة الرئيس أن تحارب الشيوعية وتخاصم فى الوقت نفسه التجمع الدينى الذى يقضى عليها، ثم تريد القضاء علىَّ أدبيا بهذه الطريقة التى تناولتنى بها، والتى لا أواجهها إلا بـ «حسبنا الله ونعم الوكيل».

٨ – إننى أصارحك بأن الحفاظ على الشريعة الإسلامية هدف لا تنساه

جماهير المؤمنين .. ومنها شرائع الأسرة التى يحاول بعض الناس اقتلاعها .. والتى أثاروك علىَّ من أجل دفاعى الشديد عنها .. ولكنى آمل أن تغير موقفك بما يرضى الله ورسوله.

٩ – وأخيرا؛ أعلن أننى سأنسى الشتم الذى وجه إلىَّ، داعيا لك أن توفق فى جعل مصر الإسلامية تؤدى دورها التاريخى فى رد العدوان وحماية الإيمان »[١].

وقد أرسل الغزالى برسالة مماثلة إلى مجلة الاعتصام القاهرية، نشرت تحت عنوان: « إيضاح من الشيخ محمد الغزالى »[٢]، وهى تتضمن نفس ما تضمنته رسالته إلى الرئيس، ولكن الخطاب فيها موجه إلى الرأى العام.

ورغم هذا الذى جرى من السادات فى حق الغزالى، إلا أن العلاقة بينهما عادت إلى الارتباط من جديد، وذلك حين عين السادات الغزالى فى منصب وكيل الوزارة لشؤون الأوقاف، كما سبق أن ذكرنا.

● السادات فى نظر الغزالى:

يقول الغزالى، متحدثا عن مجريات هذه القضية ونهايتها، وما تبع ذلك من أحداث أفضت فى النهاية إلى انفتاح دائرة الصراع بين السادات والإسلاميين فى مصر، وانتهت باغتيال السادات من قبل أحد هؤلاء:

« فى أيامى الأخيرة، رأى الأستاذ الدكتور زكريا البرى أن يكشف الحيف النازل بى، وأن يجعلنى وكيلا لوزارة الأوقاف، وقدر على إقناع أنور السادات بذلك...

---

(١) نقلا عن: محمد شلبى الشيخ الغزالى ومعركة المصحف فى العالم الإسلامى، ص: ٨٣ – ٨٦.

(٢) مجلة « الاعتصام »، عدد فبراير ١٩٧٧م.

وسألنى أحد الناس: لمن سيكون ولاؤك؟ قلت: لله بداهة. قال: وكلت بمدح الحكام وتسويغ سياستهم؟ قلت: ليس هذا عملى، أنا أعمل للإسلام وحده. قال: إنك تعرف السادات وتنقد سياسته! قلت: ولم أتغير!. فمضى عنى يائسا..

ولما بدأت تسلم عملى، كان الأمر أعجل مما أتصور، فقد واجهنى اختبار لم أر معه بدا من ترك منصبى، مع حرصى على أن أبقى فيه لأخدم ربى ودينى. لقد تركته بعد يومين اثنين على طريقة « ما سلم حتى ودع »...

وما هى إلا أيام حتى كان النشاط الإسلامى كله فى مهب عاصفة هوجاء تركته شذر مذر..

وقال لى أحد العارفين بالسياسة: كان لا بد أن يقع هذا الدمار فى دوائر العمل الدينى، فإن الرئيس السادات عاد من أمريكا بغير الوجه الذى ذهب به! قلت: كيف؟ قال: إن اليهود يطلبون أن تكون العلاقات بينهم وبين مصر طبيعية، لا عداء ولا جفاء! ويقضى هذا بتغيير مفاهيم دينية وتاريخية، وتحوير أوضاع اجتماعية واقتصادية!.

وما دام التيار الإسلامى فى مصر قويا ناميا مهيمنا على الشباب، ومؤثرا فى مجرى الأمور على النحو المشهود فى مصر، فمعنى ذلك كله أن معاهدة « مخيم داود » التى فصلت مصر عن العرب قد فشلت، وأن أيام السادات معدودة بعد هذا الفشل!!

قلت: كأن الرجل بضرب الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية يريد توكيد وجوده، واستبقاء حياته، وإشعار بنى إسرائيل - ومن ورائهم أمريكا - بأنه قوى جدير بثقتهم. قال: ذلك ما يقصد، وهذا سر صياحه: أنا صاحب القرار، أنا وحدى!! أنا سأعلمكم كيف تحترمون الحكام!! .. وهو سر حلفه بعدما اعتقل رئيسا للإخوان: والله لن أرحمه! .. وسر تعليقه على حبس الشيخ

الذى ندد بكثرة استراحاته، فقال بعدما أمر بسجنه : إنه مرمى فى السجن كالكلب !! . .

الملاحظ على السادات أنه تحت عنوان كراهية العيب ألغى الرقابة الإدارية فى مصر، وغض الطرف عن فضائح مالية . .

وتحت عنوان تقاليد القرية، غشى أحفالا راقصة يسهل فيها تقبيل النساء وكسر التقاليد القروية والمدنية! والمعروف أن امرأته من أسرة مالطية هاجرت إلى مصر أخيرا، وقيل إنها اعتنقت الإسلام . . والأمر عندى موضع ريبة . . إنه رجل غريب الأطوار ندع حسابه إلى الله . . . » [1].

* * *

(١) قصة حياة، ص : ٢٢٨ – ٢٣٠ .

فى الجزائر ومع الشعب الجزائرى

● صلة مستمرة :

كانت صلة الشيخ الغزالى بالجزائر مستمرة، وهو فى مصر وفى السعودية وفى قطر، إذ كان شبه مواظب على حضور ملتقيات الفكر الإسلامى التى كانت تعقدها وزارة الشؤون الدينية كل سنة، حيث كانت له بها صولات وجولات فيما يلقيه فيها من محاضرات أو ما يتقدم به من تعقيبات، أو فيما يقفه فيها من مواقف مشهودة ومذكورة.

وفى أحد هذه الملتقيات فى أوائل الثمانينيات، أبرق إلى الشيخ ابنُه، بالا يعود إلى مصر، لأن الرئيس السادات كان قد أصدر قرارا برميه فى السجن، نتيجة تصريحات أدلى بها منتقدا السياسة المصرية التى أفضت إلى هزيمة ١٩٦٧ . وكان قد حضر فى ختام أعمال ذلك الملتقى الرئيس الشاذلى بن جديد، فأبلغه الأستاذ عبد الرحمن شيبان، وزير الشؤون الدينية فى ذلك العهد الخبر، فسلم ابن جديد على الشيخ الغزالى ورحب به داعية فى الجزائر [١].

● الغزالى فى الجزائر :

كانت الجهود - آنذاك - متتابعة لفتح جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وقد أصدر الرئيس ابن جديد مرسوما بإنشاء هذه الجامعة، وكان حريصا أشد الحرص على أن يكون الشيخ محمد الغزالى أستاذا فيها. وكان هذا الأخير أستاذا فى جامعة قطر بالدوحة، «ولما عرض الأمر على المعنىّ اعتذر لأول وهلة بسبب التزامه مع دولة قطر. فقال له الرئيس الشاذلى - بحضور السيد عبد الرحمن شيبان - بأن الشعب الجزائرى ينتظر الحدث العظيم فى

---

(١) د/ عمار الطالبى : الشيخ الغزالى كما عرفته فى الجزائر. ضمن : مجلة إسلامية المعرفة، المرجع السابق، ص: ٤٩ - ٥١ .

التاريخ المحدد، وأقسم له بأن الجامعة الإسلامية لن تفتح أبوابها بدون أن يكون هو مشرفا علميا على رأسها، وحمله المسؤولية أمام الله على هذا التأخير، مطمْئنا إياه فى نفس الوقت بأن موضوع التزامه مع دولة قطر سيتولاه هو شخصيا مع أميرها الذى يحب الجزائر ويحب الخير للإسلام والمسلمين .. فأطرق الشيخ لحظة مستغرقا فى التفكير، وقبل أن يتلفظ بأى كلمة باغته الوزير شيبان بسؤال دقيق يتطلب إجابة واحدة محددة وواضحة عما إذا كان الإسلام والدعوة والشباب فى حاجة إليه فى قطر أكثر منه فى الجزائر؟ فما كان من الشيخ إلا أن يجيب بكل صراحة بأنها الجزائر. وكان ذلك بمثابة الجواب بقبول المهمة»[١].

تم استئذان أمير قطر فى تحويل الشيخ الغزالى إلى الجزائر، فوافق على ذلك. وشاء الله أن يحضر الشيخ الغزالى إلى حفل افتتاح الجامعة بمدينة قسنطينة، فى بداية السنة الجامعية الأولى بهذه الجامعة، فى سبتمبر ١٩٨٤م، وكان حفلا كبيرا حضره رئيس الدولة وعدد كبير من المسؤولين، وسفراء الدول الإسلامية. وتم تعيين الشيخ رئيسا للمجلس العلمى للجامعة.

● مهام متعددة :

اختار الشيخ أن يدرس تفسير القرآن الكريم، وصار فى الجامعة موجها وأستاذا، ومفتيا، يزوره الناس للفتوى فى الجامعة، وفى بيته.

وكان من أهم أعماله العامة التى اضطلع بها؛ الدعوة إلى الله عز وجل وتحليل قضايا المسلمين، ونقد ما يعانون من أمراض ومآس. كما كان يلقى من خلال شاشة التليفزيون حديثا أسبوعيا ينتظره الناس فى مختلف أرجاء البلاد الواسعة بشغف كبير، ولا يفوتون مشاهدته والاستماع إليه إلا لضرورة قاهرة. وكان يلقى فى قسنطينة كل يوم جمعة تقريبا درسا فى أحد مساجدها الجامعة،

---

(١) مقدمة الناشر لكتاب: الشيخ محمد الغزالى؛ حياة وآثار .. شهادات ومواقف، ص: ٤ .

وغالبا ما يكون فى التفسير الموضوعى لسورة من السور، ينزلها على أوضاع المسلمين قديما وحديثا.

وكان يفعل هذا أيضا فى جولات يُدعى فيها إلى ولايات أخرى فى الجزائر غير ولاية قسنطينة، حيث كان الناس يتنافسون على دعوته لإلقاء درس أو موعظة أو محاضرة. وكان لا يرد دعوة وإن شق عليه السفر أحيانا، وهو فى شيخوخته تحسبه شابا فى عزمه وتوكله، ينتقل أحيانا بالسيارة مسافات بعيدة، وأخرى بالطائرة ثم بالسيارة، وهو فى ذلك كله يشعر بسعادة غامرة فى دعوته إلى الله، وفى لقائه مع المؤمنين شبابا وشيوخا، نساء ورجالا [١].

وقد « كان مسكنه أينما حل فى الجزائر أشبه بعيادة الطبيب المشهور يؤمه الناس للاستشفاء، فيقدم لكل سائل ما يناسب قدر عقله من الدواء، لقد أدرك بثاقب عقله ذهنية الإنسان الجزائرى ذات القابلية للغرس والنماء، فكان يتعامل معها تعامل الزارع المجرب بالصقل والتعهد حتى أتت أكلها بإذن ربها »[٢].

● ملتقيات الفكر الإسلامى :

ولم يكن الشيخ يُفوِّت فرصة حضور ملتقيات الفكر الإسلامى خلال عمله بالجزائر، وكانت له فيها مواقف معروفة، منها موقفه فى أحد الملتقيات التى انعقدت فى أواخر الثمانينات من الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى حفظه الله، عندما وقف هذا الأخير « يتحدث عن ضرورة اشتغال الدعاة بالتربية والتوجية، وترْك السياسة لأربابها، ويكفى الحكام أو الساسة ما يعانون من متاعب الحكم وآفات السياسة .. إلى آخر ما قال حول هذا الموضوع، مما أثار الحاضرين فى الملتقى وأقلقهم.

---

(١) د/ عمار الطالبى : الشيخ الغزالى كما عرفته فى الجزائر. مجلة إسلامية المعرفة، المرجع السابق، ص: ٤٩ - ٥١.

(٢) د/ عبد الرزاق قسوم : دمعة جزائرية على الشيخ محمد الغزالى، ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالى .. حياة وآثار، شهادات ومواقف، ص: ٢٣٧ .

وكان الرئيس الجزائرى الشاذلى بن جديد حاضرا فى ذلك الوقت، وشعر المشاركون بالحرج، هنا طلب الشيخ الغزالى الكلمة، وصعد إلى المنصة، وأثْنى على صديقه الشيخ البوطى، ولكنه خطَّأه فى توجهه، وقال أن العالم المسلم لا يسعه أن يسكت عن باطل، أو يغمض عن ظلم، أو يتغاضى عن المنكرات من حوله، وأكبرها تعطيل الحكم بما أنزل الله، وأن الإسلام لا يعرف الفصل بين الحكم والعلم، وأن المسلمين إنما أصيبوا وهزموا يوم فصلوا بين الأمرين .. إلى آخر ما قاله رحمه الله.

وبذلك وضع الشيخ الحق فى نصابه، وأتى الأمر من بابه، واستراح الجميع لتعليق الشيخ، ومنهم ابن جديد نفسه»[1].

● اضطرابات الجامعة ورحيل الغزالى:

قضى الغزالى فى الجزائر خمس سنوات على هذه الحال، يجد ويجتهد ويتعاون مع أهل الخير فى الدعوة إلى الله وتوعية المؤمنين بنشر الفكر الإسلامى الصحيح. حتى جاءت سنة ١٩٧٩م، وبدأت الاضطرابات تغزو الجامعة الإسلامية، وتصاعد النزاع بين أفراد الجماعات الإسلامية المختلفة داخل الجامعة كل منهم يريد بسط سيطرته عليه، وكان لا بد أن يصيب الغزالى بعض الشرر المتطاير من هذه النزاعات، بل إن البعض تطاول عليه بالاتهام والافتراء.

وكان الشيخ فى ذلك الوقت قد تعب لما أصابه من جلطة فى دمه، كما أصابه وصب وضير من اختلاف وتنازع هذه الجماعات خارج الجامعة وداخلها. وفى هذه الأثناء كانت قد زارت الشيخ إحدى بناته، وشعرت بما فيه أبوها من ضيق وقلق، وما أصابه من جلطة فى دمه، فألحَّت عليه فى العودة إلى القاهرة، وإن كان فى نفسه عازما على المضى فى سبيل المناضلة والدعوة، فكتب خطابا

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، المرجع السابق ص: ٢٧٠ .

لوزير التعليم العالى يعتذر فيه عن الاستمرار. ورغم إلحاح السلطات الجزائرية على الشيخ بالاستمرار، إلا أنه أصر على الاعتذار[1].

● **حب الجزائريين للغزالى :**

كان الغزالى قد تبوأ مكانة جليلة فى نفوس الجزائريين، لم يتبوأها من قبل إلا قليل من الرجال الذين يدين لهم هذا الشعب بالفضل كابن باديس والإبراهيمى، حيث «ألتفت حول الشيخ الملايين وتجمع فى خطبه الألوف وبدأوا يعلقون صوره فى الحوانيت والبيوت، ويتلمسون أخباره فى التلفاز، ويتابعونه فى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة»[2].

وقد بادل الشيخ الغزالى الشعب الجزائرى الحب، فكان يبذل غاية جهده وأقصى طاقته فى سبيل توعيته وترقية فهمه للإسلام الصحيح. ومن خدماته الجليلة التى قدمها رحمه الله للشعب الجزائرى، أنه سمح بإعادة طبع كل كتبه تقريبا، مع التنازل عن تقاضى حقوقه المادية، تيسيرا لاقتنائها على القارئ الجزائرى الذى وجد فيه ما يرويه من الثقافة الإسلامية الأصلية المعروضة فى قالب علمى أدبى أصيل.

وقد ظل الشيخ الغزالى يعبر عن حبه للجزائر وشعبها الأبى الأصيل، حتى آخر أيام حياته، وخاصة بعد أن نشبت نار الفتنة وشب الحريق فى الكيان الجزائرى، إذ بعث بخطاب نشرته معظم الصحف الجزائرية، وكان تحت عنوان «الشعب الجزائرى لن يضل الطريق»، ومما تضمنه هذا الخطاب قول الشيخ :

«عندما يتصدع بناء قائم، فإن إعادته إلى قوته وتماسكه تحتاج إلى مهندس خبير يعرف الدعائم والشرفات فى أصل البناء ويعرف ما عراها من عطب،

---

(١) د/ عمار الطالبى : الشيخ الغزالى كما عرفته بالجزائر، إسلامية المعرفة، المرجع السابق، ص : ٥٢ – ٥٥.

(٢) د/ علاء محمد الغزالى : السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالى، المرجع السابق ص : ١٩٤.

ويعرف كيف يعود بالبناء إلى حالته الأولى .. ونحن واثقون من أن الشعب الجزائرى لن يضل الطريق ولن يخطئ الهدف، سيبقى يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويتشبث بلغته العربية وأدبه العريق، وسيتغلب على العقبات التى اعترضته ويجمع صفوفه لصنع مستقبل أفضل وأخوة أوثق .. والنجاة من المحن تحتاج إلى أمرين: صدق الإيمان وصلاح الرأى، واعتقادى أن الشعب الجزائرى الذى عرفناه يتوفر لديه الأمران معا، وسوف يخرج من الفتن التى تنازعه ليستأنف مسيرته فى خدمة الإسلام مع سائر الشعوب الإسلامية التى ترفع راية التوحيد » [1].

● التكريم على أعلى مستوى:

وقبل مغادرة الشيخ للجزائر - بعد خمس سنوات من العمل الدؤوب - كرَّمه رئيس الجمهورية السيد الشاذلى بن جديد بتقليده أعلى وسام فى الجمهورية، مكافأة له على جهوده المتواصلة فى خدمة الدعوة بالجزائر، وعرفانا بفضله على الجزائر وعلى الشعب الجزائرى.

وقد جاء نص إسداء الوسام للشيخ الغزالى الذى وقعه الرئيس الشاذلى بن جديد، كما يلى:

«نحن الشاذلى بن جديد، رئيس الجمهورية، صدر مصف الاستحقاق الوطنى، نقلد الشيخ العلامة محمد الغزالى وسام الأثير من مصف الاستحقاق الوطنى، إكبارا لجهوده الجليلة والمستمرة فى نشر العلم والمعرفة الإسلامية، وإشادة بدوره فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديرا لعمله الدؤوب المتواصل فى إشعاع الشريعة الإسلامية السمحاء والدفاع عن قيمها الأصيلة، وتنويها بمساهمته الفعالة فى ترسيخ البحث العلمى خاصة أثناء

---

(١) جريدة البصائر، السلسلة الثالثة، العدد: ٢٦، ليوم: ١٠ مايو ١٩٩٣م.

وجوده بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وفى إطار ملتقيات الفكر الإسلامى .

حرر بالجزائر فى: ٢٦ شوال عام ١٤٠٩ هـ، الموافق ٣١ مايو ١٩٨٩م

الشاذلى بن جديد [١] .

• أثر الغزالى فى الجزائر:

هـذا ويمكننا أن نلخص الدور الرائد الذى استطاع أن يؤديه الشيخ الغزالى فى الجزائر، ولن نجد فى هذا الشأن أبلغ من الكلمة التى كتبها الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم العميد الأسبق لكلية أصول الدين بجامعة الجزائر، إذ يقول:

«قل عنه إن شئت: هو الغيث الفكرى الذى ساقه الله إلى العقل الجزائرى، حينما بدأ الجدب يدب إليه، فحول قحطه إلى خصوبة، وجفاءه إلى نمـاء.

وقل عنه: إنه حلقة الوصل المفقودة بين حركة ابن باديس وميلاد جيل الصحوة الإسلامية التى هى من غرس علماء هذه الحركة، فكان المنهج الحقيقى للمد الإسلامى المتنامى فى الجزائر، تحت تأثير مدرسة التعليم الأصلى وملتقيات الفكر الإسلامى الجزائرى.

لقد أطل محمد الغزالى على الجزائر، وهى تموج وسط صراع فكرى مصيرى دائر بين التعريب والتغريب، وبين الأصالة والتفسخ، فالقى بثقله الفكرى داعيا ومرشدا ومدرسا تسانده ثلة من العلماء صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لدفع مسيرة التأصيل والتعريب إلى الأمام، فكانت الصحوة الفكرية ممثلة فى جيل جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية وكواكبها المضيئة المرتفعة فى سماء

---

(١) كتاب الشيخ محمد الغزالى: حياة وآثار .. شهادات ومواقف، الوجه الأخير من الغلاف.

الوسط والشرق والغرب الجزائرى مجسدة فى المعاهد الإسلامية العليا، وكانت اليقظة الشعبية الإسلامية التى أخرجت الإنسان من ظلمات الجاهلية الحديثة لتعيده إلى نور المسجد وثقافة الحلقة وقيم التضامن والأخوة الإسلامية .

لقد جاء الشيخ الغزالى إلى الجزائر تسبقه هالة من الإكبار، ويشد أزره رصيد من الجهاد الفكرى .. فاستقبلته العقول الضمأى، واحتضنته القلوب الحيرى، لتخط معه مسيرة العمل الإسلامى الرشيد، القائم على منهج العلم الدقيق وخطة الفقه العميق» [١] .

* * *

---

(١) د/ عبد الرزاق قسوم : نزيف قلم جزائرى، ص : ١٥١ ـ ١٥٢ .

مع المعهد العالمى
للفكر الإسلامى بالقاهرة

• زيارة العلوانى :

قبل أن يغادر الشيخ الغزالى قسنطينة، كان قد زاره فيها الأستاذ الدكتور طه جابر فياض العلوانى، رئيس المعهد العالمى للفكر الإسلامى بواشنطن، وعرض عليه أن يرأس المجلس العلمى للمعهد بالقاهرة، وأن يهيئ له المعهد - فى حدود إمكاناته المتواضعة - أسباب البقاء فى القاهرة، فهش الغزالى للفكرة وأعجب بها. وتم التفاهم بين الرجلين على جدول زمنى يعود فيه الشيخ إلى مصر، ليكون رئيس المجلس العلمى لمكتب المعهد فيها، وواحدا من أبرز مستشاريه وموجهى مسيرته.

• رئيس المجلس العلمى للمعهد :

بعد عودة الغزالى إلى مصر، باشر مهامه فى رئاسة المجلس، الذى كان يضم لفيفا من كبار مفكرى مصر فى العصر الحاضر، وهم الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد، والأستاذ المستشار طارق البشرى، والأستاذ الدكتور محمد عمارة، والأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتى، والأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، والأستاذ الدكتور جمال الدين عطية، ثم انضم إليه الأستاذ الدكتور سيد دسوقى حسن، والأستاذ الدكتور على جمعة، والأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيرى، والأستاذة الدكتورة زهيرة عابدين، يضاف إلى هؤلاء مجموعة من الأساتذة الخبراء الذين للمجلس أن يدعوهم للاستماع إلى آرائهم إذا ماعرضت أمور تحتاج إلى خبرات أو تخصصات إضافية.

وكان هذا المجلس يجتمع شهريا، أو كلما دعت الحاجة، فى مكتب الشيخ الغزالى، الذى يقع تحت منزله، وقد كانت تلك المرحلة مرحلة إنتاج خصب على

مستوى الندوات والمحاضرات والبحوث، وكان الشيخ واسطة العقد فى كل تلك النشاطات، قَلَّ أن يتخلف عن ندوة أو محاضرة أو لقاء.

● دراسات قيمة:

وفى هذه المرحلة أعد الشيخ دراساته القيمة فى كيفية التعامل مع القرآن، وكيفية التعامل مع التراث الإسلامى، وقضايا الفنون وموقف الإسلام منها، وكثير من القضايا الأخرى. وصدر له عدد من الكتب المهمة، هى: كيف نتعامل مع القرآن، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل، نحو تفسير موضوعى لسور القرآن.

● تسجيل الخبرات الحياتية:

وفى خلال هذه المرحلة أيضا، أتيح للشيخ الغزالى تسجيل أهم خبراته خلال حياته الحافلة بالعطاء، حيث جمع المعهد كتب الشيخ وقدمت لمجموعة من أفضل المفكرين لدراستها أولا، ليقوموا بمحاورة الشيخ فى أفكاره، ويتتبعوا مسيرة حياته العلمية والفكرية، ويبرزوا جوانب مختلفة من مقومات شخصيته ومكوناتها. وكان من بين من حاوروا الشيخ: الأستاذ المستشار طارق البشرى، والأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، والأستاذ الدكتور محمد كمال إمام، والأستاذ الدكتور جمال الدين عطية، والأستاذ الدكتور محمد عمارة، والأستاذة صافيناز كاظم. وقد أربت هذه التسجيلات المصورة على خمس عشرة ساعة، وتولت بالتحليل والحوار أهم جوانب حياة الشيخ الحافلة [1].

* * *

---

(١) طه جابر العلوانى: شيخنا محمد الغزالى وصفحات من حياته، مجلة إسلامية المعرفة، المرجع السابق ص: ١٠ - ١٢

زوبعة الشهادة
فى مقتل فرج فودة

فى سنة ١٩٩٣م، دعى الشيخ الغزالى إلى الشهادة فى محكمة أمن الدولة المصرية بناء على طلب الدفاع، فى محاكمة أفراد الجماعة المتهمة باغتيال الدكتور فرج فودة. وقد ذهب الشيخ الغزالى إلى المحكمة فى الموعد المحدد ليجيب عن أسئلة يوجهها إليه الدفاع. ونظرا لمكانة الشيخ وسنه، أمر له رئيس المحكمة بكرسى ليجيب وهو جالس، على غير ما جرت عليه العادة بأن يجيب الشاهد واقفا.

● **فحوى الشهادة:**

وقد دار الاستجواب حول طبيعة الإسلام وكونه دينا ودولة، وأن من ينكر ذلك يعتبر مرتدا، وأن واجب الدولة أن تقيم عليه الحد باعتبارها السلطة المخولة بذلك، وأن الأفراد إذا قاموا بذلك يكونون قد افتأتوا على الدولة والسلطة .. أما ما يقومون به فى هذا الإطار فهو الواجب الذى كان ينبغى أن تقوم به الدولة[١].

وكان معنى هذه الشهادة أن الشيخ يقر قتل الدكتور فرج فودة، باعتباره مرتدا عن الدين وكافرا بتعاليمه وقيمه. ومعروف أن الدكتور فرج فودة كان يجاهر بآرائه المنكرة لكثير من الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة، ولا يبالى بما كان لها من آثار فى واقع المجتمع المصرى.

● **ردود فعل عنيفة:**

بعد شهادة الشيخ فى المحكمة ونشر تفاصيلها على أعمدة الصحف والمجلات، «زلزلت الأرض زلزالها .. وثارت ثائرة خصوم الفكر الإسلامى، وكل

---

(١) انظر النص الكامل للشهادة فى كتاب «محاكمة المرتدين»، للأستاذ أحمد السيوفى، وفى كتاب «الشيخ الغزالى كما عرفته»، للدكتور يوسف القرضاوى.

الحاقدين على الإسلام، والخائفين منه، والمبغضين له، وتكالبت الأقلام المسعورة والمأجورة على الشيخ الجليل، وانتهزها الشيوعيون المهزومون، والمتغربون المقهورون، والعلمانيون الموتورون، انتهزوها فرصة لينهشوا من لحم الشيخ ... وسالت أنهار الصحف بالكلام عن الشهادة والشاهد، ولم يعبأ الشيخ بما قيل ويقال .. حتى بعض الأقباط دخل المعركة، وهاجم الشيخ بوقاحة وسلاطة، مع أنهم كانوا من قبل لا يجترئون على أن يمسوا بكلمة علماء الإسلام!

وذهب وزير مسؤول إلى الشيخ فى بيته، ملحا فى الضغط عليه، ليصدر تصريحا أو بيانا، أو يكتب كلمة - أو نحو ذلك مما يروق له - يفسر به موقفه بما يشبه التراجع عما قاله فى الشهادة.

ولكن الشيخ أبى إلا أن يثبت على موقفه، وظل كالصخرة العاتية التى تحطمت عليها كل تلك المحاولات، ولم تجد فتيلا.

ولما ألح هذا المسؤول على الشيخ وكرر عليه القول مرة بعد مرة، قال له فى صراحة وجلاء: أنا لم أكتب مقالا فى صحيفة، ولا ألقيت خطبة فى جامع، ولا محاضرة فى جمعية، ولكنى استدعيت للشهادة أمام محكمة، فشهدت بما أعتقد أنه الحق الذى أدين الله به وألقاه عليه، فإذا كان فى شهادتى بعض الغموض، فلتدعنى المحكمة مرة أخرى، وأنا أشرح لها موقفى. وبهذا حسم الأمر، ولم يعد هناك مجال للقيل والقال» [1].

- **دور الصحافة فى تأجيج الزوبعة:**

الذى حدث بعد ذلك أن الصحافة لم تصمت، بل راحت تحمل على الشيخ حملات مسعورة، وراح بعضها يسائل الشيخ ويحاول أن يستصدر منه كلاما يحتمل التأويل ويمكن الانقلاب به عليه، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل.

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص: ٢٧٤ - ٢٧٥ .

وفى حوار معه، استغرب الشيخ رد الفعل الذى جوبهت به شهادته، واعتبر أن الذين قاموا ضد هذه الشهادة متأثرون بمقولة الاستعمار العالمى بأن الشريعة ماتت.

يقول الشيخ:

«استغربت رد الفعل، لأنى فى شهادتى قررت وجهة النظر الإسلامية التى يعرفها علماء الأزهر جميعا ولا يخالف أحدهم فى جزئية منها..

القضية؛ أن الاستعمار العالمى جاء يحمل جذور الصليبية القديمة فى هجومه على الإسلام، وبدأ يستعمر الحكومات والشعوب، وألغى كل ما يتصل بشؤون الدولة، ألغى الحدود، وألغى القصاص، وتدخل فى التربية والتعليم وتشعبت تدخلاته حتى استطاع أن يصنع جيلا من الأمة الإسلامية لا يعرف دينه ولا يحسن العمل به. ولعل هذا هو السبب فى أننى عندما قلت أن الحكم الإسلامى لا بد منه، وأن الشريعة الإسلامية لا بد منها، استغربوا هذا لأنهم فهموا أن الشريعة ماتت وأنه لا عودة لها ولا حياة بعد ذلك» [١].

كما استنكر الشيخ إخراج الشهادة من أروقة المحكمة إلى الشارع، وقال فى ذلك:

« كنت أشهد أمام محكمة، ولم أكن أفتى فى الشارع. لم أكن جالسا فى بيتى أصدر فتاوى، أنا كنت أمام محكمة أجيب عن الأسئلة التى توجه إلىّ، وأنا شاهد فى قضية معينة أمام المحكمة، فما الذى يجعل شهادتى من نطاقها لكى تتحول إلى قضية رأى عام، ولماذا؟!» [٢].

واتهم الصحافة بالتزوير لأنها نسيت القضية الأصلية للشهادة، وأثارت لتغطيتها قضية هامشية، فرجال الصحافة كما يقول الشيخ « زوروها، بأن نسوا

---

(١) من حوار للشيخ مع مجلة «المجلة» انظر كتاب: الشيخ محمد الغزالى .. حياة وآثار. شهادات ومواقف، ص: ٧٦.

(٢) المرجع نفسه ص: ٨٠ .

القضية الأصلية، وأنشأوا قضايا أخرى . . القضية التى تحدثت فيها لمدة ساعة إلا خمس دقائق من زمن الشهادة هى أحكام الإسلام هل تموت أم تبقى؟ هذه هى الشهادة . . هل حد الرجم أو حد الجلد التى أوجبتها الآيات القرآنية، هل مثل هذه الأحكام تعطل فى المجتمع؟ هل إذا قال الله : «السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »؟ هل هذه الآية تشطب أو تعطل فى المجتمع؟ ظللت ساعة فى هذا الموضوع، فما معنى أن الساعة تتلاشى من أذهان المتحدثين أو المعلقين، ويتوقفون فقط عند التساؤل الأخير» [١].

ورغم ما خلفته هذه الشهادة من ردود فعل كثيرة، وما أسالته من حبر على أعمدة الصحف والمجلات، ورغم المحاولات التى بذلها بعض الناس لحمل الشيخ على الرجوع عن شهادته، إلا أنه ظل ثابتا عليها ولم يتردد فى تأكيدها كلما سئل عنها، متمسكًا بالحق الذى عرفه واعتقده، وتلك خصلة من خصال الشيخ الإيمانية التى تميز بها طيلة حياته - رحمه الله - .

* * *

---

(١) المرجع نفسه ص: ٨١ .

راحة الكادح الصبور

● **جوائز وتكريمات :**

خلال هذه السنوات الأخيرة من عمر الشيخ، « كرمته كثير من الدول العربية والإسلامية، فقد حصل على جائزة الدولة التقديرية من جمهورية مصر العربية، كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية فى مجال خدمة الإسلام، وعلى أرفع وسام فى موريتانيا، وأرفع وسام فى الجزائر، بالإضافة لكثير من الجوائز التقديرية، كما كرمته السعودية وقطر والسودان .

وفى نهاية ١٩٩٠م، حصل على جائزة دولية من باكستان، تقديرا لجهوده فى الدعوة الإسلامية . كما منحته ماليزيا فى سنة ١٩٩٦م وسامها الأول، بالإضافة لكثير من جوائز الدولة التقديرية ونياشينها .

ومما يُذكر أن الإمام الكبير، لم تزده كل هذه الأوسمة إلا تواضعا وذلا لله وحده، فعندما تسلم جائزة الملك فيصل العالمية، ردد قوله تعالى : ﴿**رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ**﴾ [القصص : ١٧] » (١) .

والحق أن الغزالى « لم يسْع لجائزة، بل كان حصوله على الجوائز تشريفا للجوائز نفسها، وارتفاعا بمستواها » (٢) .

● **جهود يعجز عنها الشباب :**

وقد ظل الغزالى ثابتا على مواقفه، دائبا فى جهوده، يعمل دون كلل أو ملل، يستجيب لأى دعوة أو طلب لخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية .

وقد قام فى الفترة الأخيرة من عمره بجهود يعجز عنها الشباب . وكان منها

---

(١) د/ علاء محمد الغزالى : السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالى، المرجع السابق ص : ١٨٥ .

(٢) د/عبد الحليم عويس : الشيخ الغزالى؛ مراحل عظيمة فى حياة مجاهد عظيم، المرجع السابق ص : ١٢ .

سفره إلى البوسنة والهرسك ومشاركته لأهلها فى محنتهم وأحزانهم ووقوفه إلى جانبهم فيما واجهوه من هجمات صليبية حاقدة، حيث «قام – هناك – بدور أشبه بما قام به فى حرب رمضان، رغم سنه الكبيرة وصحته البالية، وعند عودته شارك فى المؤتمرات التى عقدت لمناصرة الشعب المنكوب، ولم يدخر جهدا إلا وقدمه لهم سرا وعلانية. وكان يتناول المتقاعسين عن نصرتهم بالنقد والتوبيخ، ويلفت أنظار الغافلين التائهين. وآخر ما قدمه لهم مشروع دستور لدولتهم الناشئة يتفق مع الشريعة الإسلامية.

ولم ينسَ أن يذكر دور الشيشان، ويلوِّح بمجازر الروس فى بلادهم، ويحرض المسلمين على القتال ويثبتهم بالمحاضرات أو المقالات التى تبعث الحماس والحياة فى النفوس الميتة» [١].

وفى نوفمبر ١٩٩٥م، سافر الشيخ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ممثلا لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وليقول كلمة الأمة الإسلامية فى احتفالات هيئة الأمم المتحدة بعيدها الخمسين [٢].

● السفر إلى الرياض والاستسلام لقضاء الله :

وكان آخر جهد قام به الشيخ الغزالى، هو سفره إلى الرياض فى المملكة العربية السعودية، للمشاركة فى مهرجان الجنادرية الثقافى، وفى اليوم الرابع من أعمال هذا المهرجان، وخلال استعداده للتعقيب على إحدى المحاضرات، جاء قضاء الله بقبض روحه الطاهرة، حيث أصيب بنوبة قلبية نقل إثرها إلى المستشفى، أين لفظ أنفاسه الأخيرة وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها عز وجل، مساء يوم السبت ٩ مارس ١٩٩٦م، وتم نقل جثمانه إلى المدينة المنورة، حيث

---

(١) د/ علاء محمد الغزالى : السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالى، المرجع السابق ص: ١٩٥.

(٢) د/ طه جابر العلوانى : عالم فقدناه؛ الشيخ محمد الغزالى رحمه الله، مجلة إسلامية المعرفة – ماليزيا، السنة الأولى، عدد ٤، ذو القعدة ١٤١٦ هـ – أبريل ١٩٩٦م، ص: ١١.

دفن فى مقبرة البقيع بالمدينة المنورة، وقبره فى موضع متميز، قريب جدا من قبر الإمام مالك، بينه وبين قبر الإمام نافع أحد القراء السبعة، رضى الله عنهم جميعا » (١).

وقد صور أحد المشاركين فى مهرجان الجنادرية اللحظات الأخيرة من حياة الشيخ، وكان جالسا على مقربة منه، فقال :

« كنا نجلس فى الصفوف الأولى لا تفصلنا عنه – أى الغزالى – سوى خطوات معدودات، وقد لحظنا قبل دقائق من الحدث أن الشيخ يرفع رأسه إلى الخلف ثم يستعيد وضعه مرة أخرى، ولقد اعتقدنا للوهلة الأولى أنه يتحدث مع أحد الجالسين خلفه، ولكننا أدركنا بعد ذلك أنه كان يقاوم الآلام، فقد شهق فجأة وأصيب بإغماءه هب على إثرها الجميع نحوه.

ومرت الثوانى بطيئة على الحضور فى المقاعد الخلفية وهو يتابعون التجمهر، حيث كان الشيخ الغزالى جالسا دون أن يعرف أحد ما حدث إلى أن قطع الدكتور فهمى السماوى حالة التساؤل والترقب بطلب الطبيب، أى طبيب يوجد فى القاعة، ليدخل بعدها مجموعة من الأطباء – وُجِدوا مصادفة بين الحاضرين – فى صراع مرير مع الموت، ورغم أن الوجوم والترقب سادا أجواء القاعة، فإن الهلع بدا واضحا على وجوه المتحلقين حول الغزالى، حيث كان مسجى فى دائرة طوَّقها أربعة أطباء فى محاولات يائسة بذلوا خلالها أقصى ما يمكنهم من الإسعافات الأولية، تنفس صناعى، وتدليك متواصل لعضلة القلب، ولكن حشرجة الموت كانت واضحة أمام العيان » (*).

● المملكة السعودية وتكريم الفقيد :

وقد كان للمملكة العربية السعودية دور بارز فى إكرام الغزالى فى وفاته غاية التكريم، حيث « إنها لم تكتف برعاية الراحل رحمه الله وتجهيز طائرة خاصة

---

(١) د/ يوسف القرضاوى : وأخيرا هوى النجم. مجلة المجتمع الكويتية.

(*) نقله الدكتور عبد الرحمن العدوى فى كتابه لمسة وفاء إلى الإمام محمد الغزالى ص : ٢٢ – ٢٣.

تنقله من الرياض إلى المدينة، مع كل المتطلبات الأخرى، بل اهتمت كل الاهتمام بأسرته، رجالا ونساء، أبناء وأصهارا، فأرسلت لهم طائرة ملكية خاصة، وكلفت السفارة بالقاهرة ... بالعناية بهم وتوديعهم، وتسهيل إجراءاتهم حتى فى داخل مطار القاهرة » [1].

● **الخبر ودويه الهائل فى العالم الإسلامى:**

وقد كان لخبر وفاة الشيخ دوى هائل فى أرجاء العالم الإسلامى كله، بل وحتى خارجه، لم يحظ بمثله الملوك والرؤساء، إذ بكاه الملايين، ونعتْه وكالات الأنباء ووسائل الإعلام العالمية، وأقيمت لتأبينه الندوات والمؤتمرات فى الجامعات والمراكز العلمية والثقافية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى. وكتب عشرات بل مئات الأعلام مقالات وقصائد غطت صفحات كاملة فى الصحف بالعالمين العربى والإسلامى، بعضها نشر فى عدد من الحلقات فى صحف عربية، بل فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ... «وقد ظهر هذا الأمر أكبر من أن يكون نعيا أو تأبينا أو حزنا عابرا بوفاة داعية إسلامى كبير، بل بدا الأمر وكأن للشيخ محمد الغزالى صلات قرابة بمئات الكتاب والمفكرين وبمئات الملايين من المسلمين» [2].

وقد تأثر الناس فى الجزائر لوفاة الشيخ الغزالى، وتجاوبت الكثير من المراكز الثقافية والعلمية بتنظيم ندوات تأبينية وفكرية، وتم أداء صلاة الغائب على روحه الطاهرة. وقد أرسل وزير الشؤون الدينية الأسبق السيد أحمد مرانى رسالة تعزية إلى عائلة الشيخ، ضمنها تعازى الشعب الجزائرى، وكان مما قاله فى هذه الرسالة:

«ببالغ الحزن والأسى تلقيت نبأ وفاة أمير العلماء، قدوة الأفاضل وفخر الأمثال، الشيخ العلامة محمد الغزالى يرحمه الله، الذى أحيا دائما بعلمه دارس العلم، ومحا بفضله الجهل المظلم، مجدد بنيان الهدى والمكفكف عن جانب الشرع الشريف أيدى الردى، جامع شتات العلم ومحرز قصب السبق فى المنشور

---

(١) د/ عبد الحليم عويس: حياة مجاهد عظيم ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالى: حياة وآثار .. شهادات ومواقف، ص: ٣٨.

(٢) المرجع نفسه: ص٣٧.

والمخطوط، حاملا رايات الفضل لأمته الإسلامية، أدامه الله بهجة الزمان ومصدر العرفان .. والله تعالى نسأل أن يتغمد روحه الزكية برحمته الواسعة وأن يسكنه فسيح جناته .. » (*).

كما نشرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كلمة نوهت فيها بخصال الفقيد وجهاده الموصول فى ميدان الدعوة إلى الله عز وجل طيلة نصف قرن، وأبرزت من خلالها علاقته بالجزائر وارتباطه بها.

ومما ورد فى تلك الكلمة:

« إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ تعلن أساها العميق لفقدان هذا العالم الكبير، فهى تتضرع إلى الله أن يعوض الأمة الإسلامية عامة، والجزائرية خاصة، بخلف صالح له يكون خير خلف لخير سلف » (**).

● حصاد السنين :

لقد أدبر الشيخ الغزالى مستريحا من دنيانا هذه، بعدما ترك وراءه – كصدقة جارية – تراثا ضخما وإنتاجا هائلا، تمثل فى الآلاف، بل الملايين من التلاميذ والمحبين والمتأثرين والقارئين والمستمعين والمشاهدين فى بقاع العالم المختلفة التى زارها وأقام بين أهلها، وهى كثيرة جدا.

هؤلاء الذين قد يجدون عزاءهم فيما خلفه الفقيد من تراث فكرى متنوع، يبلغ الستين كتابا [1] فى مختلف مجالات المعرفة الإسلامية، إضافة إلى مئات المقالات وآلاف الخطب والدروس والمحاضرات التى ألقاها فى مختلف بقاع العالم الإسلامى التى حل فيها وأقام بين أهلها.

وقد تناول هذا التراث مختلف الاهتمامات التى ألحت على فكر الشيخ وجعلته يتفاعل معها فى كتاباته ومحاضراته وخطبه ودروسه، وهى اهتمامات

(*) جريدة الشعب، عدد: ١٢ مارس ١٩٩٦م.

(**) جريدة الخبر، ليوم: ٧ مارس ١٩٩٦م.

(١) انظر ثبتا تحليليا كاملا بمؤلفات الشيخ الغزالى، فى مجلة إسلامية المعرفة (عدد خاص)، المرجع السابق ص: ٢٣٠ – ٢٤٧ ، وفى المبحث الأخير من كتابنا هذا.

تمتد لتشمل قضايا العصر كلها، من دفاع عن الإسلام ضد المعتدين عليه، إلى إثارة لهمم أبنائه الجاهلين به؛ فى قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق، ومنهج الدعوة، والتاريخ والتفسير الموضوعى، والثقافة الإسلامية العامة .. إلخ.

وقد منح الله عز وجل عبده الكريم القبول، فأحبه الناس، حتى غير المتدينين منهم، وأكبوا على قراءة مؤلفاته، حتى أن أكثرها ترجم إلى مختلف اللغات العالمية، كما اهتموا بتتبع محاضراته ودروسه والإنصات إلى توجيهاته، متخذين من كل ذلك منهجا يسيرون عليه فى حياتهم ويستعينون به فى تطبيق شريعة ربهم.

ولكن مع ذلك، فلا يزال الكثيرون من المسلمين أنفسهم، يجهلون قدر هذا الرجل بل ربما نظر إليه بعضهم نظرة ريبة واتهام. ولو عرفوا لقدَّروا فى الرجل جهاده المتواصل وإخلاصه التام ويقينه الصادق ونصحه المخلص ولكنها سنة الحياة.

ختاما: إذا كنا نعزى أنفسنا فى الشيخ، فيما خلفه لنا من تراث، وفيما بقى بيننا بعده من العلماء العاملين، وهم قليلون جدا، فإننا نخشى أن تكون وفاته بداية لنهاية المعرفة الإسلامية العاملة فى العصر الحاضر، الذى ارتد فيه المسلمون على أدبارهم، فضيعوا كتاب ربهم وسنة نبيهم واتبعوا سبل أعدائهم[1] .. نخشى أن يكون الأمر كما قال النبى ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من صدور العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء»[2] ..

رحم الله شيخنا وإمامنا محمد الغزالى، وأسكنه فسيح جناته، وأعلى قدره فى عليين، مع النبيين والشهداء والصديقين، وحسن أولئك رفيقا، فقد أدى واجبه وآب إلى ربه راضيا مرضيا.

---

(١) مسعود فلوسى: الشيخ محمد الغزالى فى جوار الله .. انتزاع العلم بقبض العلماء جريدة «الأوراس الكبير» – باتنة (الجزائر)، عدد ٢٧، من ١٨ إلى ٢٤ مارس ١٩٩٦م.

(٢) أخرجه البخارى، فى كتاب العلم، باب: كيف يطلب العلم؟ رقم (١٠٠) ومسلم، فى كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، رقم (٢٦٧٣).

بكائية فقيد الأمة فى الزمن الصعب

قصيدة للشاعر : مصطفى بلقاسمى

بعد الإعلان عن وفاة الشيخ محمد الغزالى رحمه الله، توالت كتابات المثقفين والمفكرين المسلمين فى الصحف والمجلات تبرز مآثر الرجل وتنوه بجهوده وآثاره، وكان للشعراء فى هذا الإطار إسهامهم المشهود، والذى تجلى فى عشرات القصائد التى نظمها الكثير منهم ونشروها فى مختلف الصحف والمجلات فى العالم الإسلامى والعربى. وقد كان للشعراء الجزائريين نصيبهم الذى أسهموا به فى تأبين الشيخ الغزالى وإبراز مآثره، وقد اخترت أن أسوق هنا القصيدة الرائعة التى نظمها الأستاذ الشاعر مصطفى بلقاسمى، والتى يقول فيها :

ماج البدء، وتواترت أخبار ... تذر القلوب كما تشب النارُ

قالوا اختفى ذاك السيَّار ... وهوى هناك الكوكب الدوارُ

ولَّى الغزالى، فاذرفى يا أمتى ... من حَرٍّ دمعك وانشُجى يا دارُ

إنى وإن كنت العصىَّ مدامعا ... وأنا الجريح الصابر الصبارُ

فقد اعترتنى رعدة غالبتُها ... فتغلغلت وكأنها إعصارُ

غامت عيونى بغتة وتهاطلت ... صبَبًا كما تتهاطل الأمطارُ

أبكى لفقدك والمصاب مُقَرِّحٌ ... لكأنما فى مقلتى عوارُ

نبكى رحيلك فى زمان راعفٍ ... نبكى .. وغالٍ دمعنا المدرارٌ

من للعُباب الغَمْرِ يَمخُرِ لُجَّه ... بسفينة يلهو بها التيارُ

سارت تِقلُّ الواثقين وما دروا ... فى كل زاوية بها حفارُ

من للشباب الطفل يضرب خابطا ... فى عرض يمٍّ موجُهُ هدَّارُ

يمضى حماسا زائدا فيشلُّه ... سباحُ كيد رابضٌ غدارُ

من للألى عند الثريا ينتهى ... إيمانهم لكنهم أغمارُ

يبنون وعدا شاهقا حتى إذا ... أزِفَ الصعود تساقطت أقمارُ

من للزمان الصعب لون صباحه ... حلم ولون مسائه أخطارُ

أبتى تعبنا من صغر هدَّنا ... ما يصطلون ويصطلى الأخيارُ

أبتى ونشهد أنكم بلغتم ... لكنما سبقتكُمُ الأقدارُ

أبتى .. وأديت الأمانة كلها ... و«الحق مر» لو يعى الأنصارُ

* * *

أبتى .. وأذكر فى الأمير مجالسا ... الشَّهْد فيها مائج موَّارُ

فى قاعة الإعجاز نجلس نحْتفى ... بقدوم شيخ ماله أنظارُ

فإذا طلعْت كأن بدرا نيِّرا ... يدنو الهُوَيْنى والمدى أسرارُ

جلباب زهد أزهرى مسكه ... عبق التصوف .. روضة معطارُ

وعمامة القطب المحيط لهامها ... بين النجوم سياحة وقرارُ

وإذا دَلَفْتَ فسحر كنز قاهر ... حفَّت به الهالات والأنوارُ

سر الجلال وهيبة التقوى ... ونظرة عارف وسكينة ووقارُ

وإذا افتتحت مُبَسْمِلا سبق الشذا ... ودنت وتدلت تلكم الأثمارُ

يتدفق الإعجاز يهْمِى سَلْسلاً ... من فيض روحك تُجْتلى أسرارُ

تتعمق القرآنَ تسبُر كُنْهَه ... متعشِّقا فتجيئك الأغوارُ

نجثو أمامك نحتسى كاساتها ... وكأن فوق رؤوسنا الأطيارُ

وتقول: ذوبوا فى الكتاب فإنه ... السِّحْر الحَلاَل وعشقه إبحارُ

سيحوا ارتعوا فى حسنه وظلاله ... وتمعنوا تتدفق الأنهارُ

وخـذوا العـزيز بقـوة وتنصَّتـوا ... روح الحـضـارة فـيـه والأعـمـارُ
وتقـول: لا يجلى الكريم وروحـه ... إلا أديـب ذائـق طـيـــارُ
هو عـــروة وثقى وأنتم حـــوله ... - جيل الخلاص - قلادة وسِوَارُ
جال الكتاب مع الزمان وعندكم ... أبناء باديس انتـهى ذاك السـفـارُ
من ها هنا قد تستفيق حضارة ... وجنا الجنان بحـقلهـا يُشتـارُ
وتضـوع فـاتحة الختـام وتزدهى ... فى العـالمين خـلافـة وعَـمَـارُ
وتُطِل روح مـحـمـد من خلدها ... تزهو ويزهو الصـحـبـة الأبرارُ

* * *

كم كنت تحلم أن تُصان صفوفهم ... فـالكيـد طام و«الهـوى» غـرَّارُ
وترى الحُوَاة الحـاملين لبعض آى ... الذكـــر .. لا أخـــلاق لا أفكارُ
الماضــغين مُــعَنْعِنينَ بسنة ... حاشا فـهم فى فقـهـهم أحبارُ
الوالِغين الآكلين لحــومكم ... شـرفُ الدعـاة لديهم أسمـارُ
ومـــثـرثرين يطاولون أئمـة ... روادَ آفـــاق لهـــا أسـرارُ
ويجادلون وما لهم فى «خوضهم» ... إلا القـشــور ورشـفـة أسارُ
يتناوشـــون على منابر حـــرة ... فـصبـاحـهم ومـسـاؤهم أوزارُ
كـانوا الفـتيل وشـاءها أعـداؤنا ... وكـمـا أراد ودبَّر اسـتـدمـارُ
قلتم لهم: صُفُّوا القلوب ولَمْلِمُوا ... أشـتـاتكم فـالمرتقى إيثـارُ
قلتم لهم: لســتم على شئ إذا ... لم تجـمـعوا فـحـماسكم فـوارُ
كونوا الفداء تسامحوا وتطهروا ... مـا فـاز إلا السـادة الأطهـارُ
غوصوا بأعماق النفوس وفتشوا ... فى باطن أغـــوارهُ أغـيـارُ
من لم يُنقِّ النفس من أدرانهـا ... عُـقبـاه فى دَرَج الصعـود عثـارُ

الدرب فتيان الخلاص تقللوا ... طلاب أخرى زمرة أحرارُ
الدرب درب «البائعين» تجردوا ... لا مشتهى، لا حظّ، لا أوطارُ
يا ويح قوم أدلجوا وقلوبهم ... غشّى عليها الران والآصارُ
قلتم لهم: إن البناء إذا علا ... من دون اسمنت التُّقى ينهارُ
قلتم لهم: من قبل أن تستفتحوا ... الفتح فتح الروح يا أنصارُ
الفتح نور العارفين تهجّدوا ... وتصرفوا فأجبت الأقدارُ
الفتح أن يُرسى على سنن القضا ... ءِ ويستقيم دعاؤك الجارُ
لا أن تنافح صخرة من خلفها ... متترس متغرب جزارُ
بمخلّطين تواثبوا وعلى الغثاء ... تناحروا وغثاؤهم غرارُ
يعلون ما يعلون حتى إذ سما ... صرح الخداع انهارت الأسوارُ

* * *

أبتى .. بنو الإسلام ذل جائم ... وبنو يهوذا عزة وفخارُ
فى كل قطر لليهود فجائع ... ومراقص وقواعد ومطارُ
لكن برغم زماننا وسقوطه ... فبنو الجزائر إخوة أحرارُ
وبنو الجزائر رغم كل جراحهم ... هم فى الوجود كواكب أقمارُ
أبتى .. فبلغ للحبيب محمد ... أنّا هنا رغم العَنَا إصرارُ
تأبى الجزائر أن تخون رسولها ... أيخونه شهداؤها الأبرارُ
أبتى وطوبا بالبقيع مقامكم ... عطر الجوار ورفقة أخيارُ

* * *

صفات الغزالى وخصاله

شخصية الشيخ الإمام محمد الغزالى رحمه الله، شخصية فذة، جمعت الكثير من الخصائص التى تتفرق عادة فى عدد كبير من الناس، ولا تجتمع فى شخص واحد إلا فى القليل النادر.

ولا يمكن إدراك شخصية الغزالى وفهمها على حقيقتها إلا بمعرفة خصائصه النفسية والخلقية التى كان لها تأثيرها الكبير فى مسار حياته ومواقفه المختلفة وطبيعة توجهاته الفكرية والقضايا التى نذر لها نفسه وحياته وعاش يخدمها ويناضل فى سبيلها.

هذه الصفات النفسية والخلقية التى تميز بها الشيخ فى حياته، قد يلخصها أو يلخص معظمها تلميذه ورفيق دربه، فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى، إذ يقول:

«عرفت الشيخ الإمام منذ نحو نصف قرن، فعرفت فيه العقل الذكى، والقلب النقى، والخلق الرضى، والعزم الأبى، والأنف الحمى.

عرفت الغزالى، فما عرفت فيه إلا الصدق فى الإيمان، والسداد فى القول، والإخلاص فى العمل، والرشد فى الفكر، والطهارة فى الخلق، والشجاعة فى الحق، والمعاداة للباطل، والثبات فى الدعوة، والمحبة للخير، والغيرة على الدين، والحرص على العدل، والبغض للظلم، والوقوف مع المستضعفين، والمنازلة للجبابرة والمستكبرين مهما أوتوا من قوة» (١).

ويصفه أيضا، فيقول:

«وقد وجدنا الشيخ الذى يشتد ويحتد فى نزاله الفكرى، فيهدر كالموج،

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: وأخيرا هوى النجم، مجلة المجتمع الكويتية، عدد ١١٩٢، ٢٩ شوال ١٤١٦ هـ - ١٩ مارس ١٩٩٦ م.

ويقصف كالرعد، ويزأر كالليث، حتى إنك لتحسبه فى بعض ما يكتب مقاتلا فى معركة، لا مجادلا فى قضية، وتحسب القلم الذى فى يده، السيف أو الرمح فى يد ابن الوليد! وجدناه – عن كثب – إنسانا رقيق القلب، قريب الدمعة، نقى السريرة، صافى الروح، حلو المعشر، رضى الخلق، باسم الثغر، موطأ الأكناف، عذب الحديث، سريع النكتة، بسيطا متواضعا، هينا لينا، بعيدا عن التكلف والتعقيد والتظاهر والإدعاء، تسبق العبرة إلى عينيه إذا سمع أو رأى موقفا إنسانيا، ويهتز خشوعا وتأثرا إذا ذكر الله والدار الآخرة، ولا يأنف أن يتعلم حتى من تلاميذه، يعترف لكل ذى موهبة بموهبته، لا يحسد ولا يحقد، يكره الظلم والتسلط على عباد الله، يقول بصراحة: لا أحب أن أتسلط على أحد، ولا أن يتسلط علىَّ أحد» [1].

ويقول تلميذه الأستاذ الدكتور أحمد العسال:

«مفتاح شخصية عالمنا الكريم، هى مجموعة من الصفات المتكاملة، تأتى فى أولاها الصدق، والشجاعة، والإباء، واستقامة التفكير، والتواضع، وإيثار الحق على غيره مهما كان الثمن، وكراهية الظلم، وطلب العدل والإنصاف، والجهاد من أجل تحرير الأمة أفرادا وجماعات من ربقة الذل والاستبداد ...» [2].

هذا، وقد قادنا تتبع مؤلفات الغزالى ومواقفه المختلفة ومعاركه الفكرية الكثيرة، إلى اكتشاف مجموعة من الخصائص النفسية والخلقية التى كان يتحلى بها رحمه الله، وهى:

١ – حب الله ورسوله:

يقول الشيخ يوسف القرضاوى:

«إن الغزالى لا يعد من المتصوفة، ولكن أشهد أن الرجل أقرب إلى الله من

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص: ١٧ .

(٢) د/ أحمد العسال: الخصائص النفسية والخلقية للشيخ الغزالى. ضمن كتاب العطاء الفكرى للشيخ محمد الغزالى، ص: ٢٧ .

كثير من الذين يزعمون لأنفسهم أنهم أصحاب الأحوال والمقامات! إنها تقوى القلوب، وليست دعوى الألسنة، ولا بريق المظاهر، ولا حمل الألقاب.

إنه يتحدث عن الله تعالى حديث المحب الواله، لا حديث الناسك المحترف، ويتكلم عن الله الواحد، كأنه يراه بين يديه بجلاله وجماله وكماله!

ومن قريب رأيته - وقد غلبته الدموع - يتحدث عن كلمة التوحيد، عن «لا إله إلا الله» ويقول: إني أحب هذه الكلمة وأود أن أقبلها، أبثها حبي وشوقي وولهي! وحديثه عن أحباب الله وأصفيائه حديث عامر فياض» [١].

وكما كان الغزالي دافق الحب لله عز وجل، كان كذلك فياض العاطفة فيما يتعلق برسول الله عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول القرضاوي أيضا: «لا ريب أنك إذا اقتربت من الغزالي وعايشته، وجدت ملء إهابه رجلا عميق الربانية، دافق الروحانية، عامر القلب بخشية الله تعالى، غزير الدموع إذا تذكر الآخرة، دائم التلاوة لكتاب الله عز وجل، عميق الحب لله سبحانه، عميق الحب لرسوله ﷺ، كما يتبين ذلك من كتبه عامة، ومن كتابه «فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء» خاصة.

وما أكثر اللفتات التي تجدها في كتبه منثورة هنا وهناك، تدل على تلك النفس الشفافة كأنها البلور، والروح الصافية صفاء ماء المزن» [٢].

ونسوق هنا شهادة لأحد تلاميذه الجزائريين من الدفعة الأولى بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وهو الأستاذ إبراهيم نويري، يقول:

«أذكر أن أول محاضرة ألقاها علينا - نحن طلبة الدفعة الأولى - كانت مساء يوم الأحد ٩ نوفمبر ١٩٨٤م، وكانت تحت عنوان «مدخل إلى شخصية الرسول ﷺ وطبيعة رسالته»، كما أذكر أن الشيخ لم يكمل هذه المحاضرة لأن الدموع قد غلبته وهو يستشهد بقول شوقي عن صاحب الرسالة العظمى:

---

(١) د/ يوسف القرضاوي: الشيخ الغزالي كما عرفته، ص ١٠١

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٢ .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم   إلا على صنم قد هام فى صنم

ويعقب بقوله: «ولن تسعد الدنيا إلا إذا عادت تسير وراء محمد عليه الصلاة والسلام تأخذ عنه وتتعلم منه، وإنى لآت إلى هذه المحاضرة وأنا أفكر فى ماذا أقول عن هذا الرجل» (*).

٢ - شفافية الروح ورقة النفس :

يقول الدكتور عبد الحليم عويس، متحدثا عن بعض ذكرياته مع الشيخ محمد الغزالى:

«إن هذا الداعية ... يداعب ويمزح حتى يظن محدثه أنه خال من الهموم فإذا جاء ذكر الله والآخرة، بكى حتى أحرج جلساءه ومحدثيه.

وقد كنت أصلى به إماما - فى بعض الظروف وبإصرار منه - فيبكى وأنا أقرأ القرآن بعد الفاتحة، فأضطر إلى اختصار القراءة!

وكنا يوما فى الجزائر، نقرأ عليه أنا ومعالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى «مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية» بعض حِكم ابن عطاء الله السكندرى، فأخذ يبكى ويتأوه، ونحن فى سكون ووجوم لا ندرى ما نفعل. وهو يردد فى ثنايا تأوهه وبكائه، بيت الشافعى المشهور:

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته   بعفوك ربى كان عفوك أعظما (١)

فـ «لم تكن عيون الشيخ الغزالى عيونا جافة، فقد بدا فى كذا محاضرة مرهف الحس، لين القلب، يذرف الدموع. وكان يبكى فى محاضراته التى تتحدث عن أوضاع المسلمين المتدهورة، وحدث وأن كان يقرأ دعاء الرسول ﷺ

(*) إبراهيم نويرى: الشيخ محمد الغزالى مفكرا وداعية، رسالة، ماجيستير بجامعة الأمير عبد القادر، ١٩٩٨ - ١٩٩٩م، ص ٥٣ .

(١) د/ عبد الحليم عويس: مقدمة كتاب الشيخ محمد الغزالى .. صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره ص ١٣

عندما لاقى الويلات بالطائف، فانفجر بالبكاء، وأبكى معه طلبته الجزائريين»[١].

ومما رواه الدكتور عمار الطالبى - أول عميد لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - فى هذا المجال، قوله عن الشيخ:

«لا أنسى موقفا اغرورقت فيه عيناه بالدموع، وشهق شهقة عميقة، لما أن زرنا مدينة خنشلة المشهورة بحمامها المعدنى الطبيعى، وقمنا بزيارة مقبرة الشهداء، وكانت قصتها عجيبة، إذ عُثر على حفرة هائلة ألقى الاستعمار الفرنسى فيها جثث ألف شهيد بقيودهم وأغلالهم ولباسهم وأحذيتهم، فنُقلوا ودُفنوا فى مقبرة فيها ألف قبر لألف شهيد تقع قرب المدينة المشار إليها فى منطقة الأوراس المجاهدة، وذلك بعد الاستقلال»[٢].

٣ - الارتباط الشديد بالقرآن:

«كان الشيخ - رحمه الله - من أهل القرآن، محبا له، تاليا لآياته، متدبرا معانيه، واقفا عند حدوده، يحمل فى قلبه هموم المسلمين، بل هموم الإنسان من خلال كلمة الله للعالمين. كان - رحمه الله تعالى - محبا لذلك الكتاب العظيم، حتى ملأ عليه حياته فعاش به، وملأ عليه فكره فسار على نوره، وملأ عليه وجدانه فظهر فى صوته ودمع عينيه وخلقه مع ربه وخلقه مع الناس، فمفتاح شخصية الغزالى انه من أهل القرآن»[٣].

ونسوق هنا شهادة لتلميذ الشيخ ورفيق دربه فى جهاد الدعوة إلى الله عز

---

(١) صحيفة «الشروق العربى» الجزائرية، العدد: ٢٥٩، الأسبوع ٢٣ - ٣٠ أبريل ١٩٩٦م.

(٢) د/ عمار الطالبى: الشيخ الغزالى كما عرفته فى الجزائر. مجلة إسلامية المعرفة، ص٥٢.

(٣) د/ على جمعة: الشيخ الغزالى ورؤيته المنهجية للفكر الإسلامى والإنسانى. ضمن كتاب العطاء الفكرى للشيخ محمد الغزالى، ص ٣٣.

وجل، الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى، إذ يصف – وصف العارف المطلع – علاقة الشيخ محمد الغزالى بالقرآن، فيقول:

«الشيخ الغزالى رجل قرآنى، فهو مع القرآن أبدا، يديم القراءة له، والتأمل فيه، والتدبر لآياته.

حفظ الشيخ القرآن حفظا جيدا منذ صباه، فقلما تند منه آية أو كلمة، أو تلتبس عليه آية بأخرى، وهو يتلوه آناء الليل، ويقرأ ما تيسر منه فى صلواته – إماما أو مأموما أو منفردا – من حيث وقف ورده، ولم أره أحتاج إلى المصحف الشريف للقراءة أو للمراجعة، إنما مصحفه صدره.

وهو دائم التدبر لكتاب الله، إيمانا منه أن ثمرة التلاوة التدبر والتذكر، كما قال الله تعالى فى وصف القرآن: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [ص: ٢٩].

وهو لا يتعامل مع القرآن بعقله وحده، بل بعقله وقلبه معا، وحين كنا نستمع إليه فى صلاة التراويح، ونحن فى معتقل الطور، كنا نحس أن للرجل حالا مع القرآن؛ يستبشر بوعده، ويرتعش من وعيده، ويتجاوب مع قصصه، ويحيا فى عبره وأيام الله فيه، فتلاوته ليست تلاوة محترف ولا غافل، بل تلاوة عقل يقظ وقلب مشرق ووجدان حى.

وهذه المعايشة الدائمة للقرآن جعلت معانيه ومعارفه بين يديه، وكأنها جنة دانية القطوف، يقطف من ثمارها ما شاء الله» [١].

كان القرآن – إذن – «هو مصدر الشيخ الأول، الذى يغترف منه صباحه ومساءه، فلا يشبع ولا يفتر، وهو جنته الدانية القطوف، التى يتفيأ أبدا ظلالها، ويقتطف من ثمارها، وهو الصاحب الدائم الذى يعايشه تاليا متدبرا، وشارحا مفسرا.

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، المرجع السابق، ص ١٠٧ .

ومن سمع الشيخ أو قرأ كتبه ومقالاته، منذ فجر شبابه، علِمَ - عِلْمَ اليقين - مدى حفاوته بالقرآن، وتذوقه لأسرار بيانه، وتفهمه لأغوار معانيه، وحسن استشهاده به. ووجد له نظرات ووقفات مع الآى والسور تدل على أنه ابن القرآن حقا »[١].

ويكفى بهذه الشهادة الخالصة، دليلا على مدى ارتباط الغزالى بالقرآن وعمق صلته به.

٤ - علو الهمة :

كان الشيخ الغزالى رجلا عالى الهمة، فوار المواهب، متحفز الملكات، وهذه صفة لم تجِدَّ فيه مع الأيام، وإنما هى خصلة من خصاله التى فطره الله عليها وركب كيانه عليها.

فهو رجل لا تعجزه التطلعات، فما إن يضع فى حسبانه هدفا حتى يقوم إلى تحقيقه دون انتظار أو تطلع طامع لأن يأتى الغيب به.

وتتجلى هذه الصفة فى حياة الشيخ فى عدة مواقف مر بها فى حياته، منها ما حدث له حين تم فصله سنة كاملة من الدراسة فى المرحلة الثانوية، حيث عقد العزم على أن يدرس سنتين فى سنة واحدة، وفعلا فعل ذلك، ونجح، ولم يضيع أى سنة من حياته التعليمية. وقد رأينا تفاصيل هذه الحادثة عند حديثنا عن دراسة الشيخ فى معهد الإسكندرية الدينى فيما سبق.

ومن المواقف التى تتجلى فيها هذه الصفة أيضا فى حياة الشيخ، ما قام به حين وجد نفسه قد أضاع القرآن الكريم، لقد عزم على حفظه من جديد، وفعل ذلك كما أراد.

فإذا كان الكثيرون ممن كانوا فى عمر الغزالى، فى ذلك الحين، قد انساقوا وراء بريق التيارات الوافدة، ولم يجشموا أنفسهم عناء استذكار كتاب الله،

---

(١) المرجع نفسه ص ٧٩

أو حتى تلاوته لأجل التلاوة، فإن الغزالى لم يستسلم للأمر الواقع، ولم يخضع لما خضع له كثير من أترابه، فقد أدرك أن تضييعه للقرآن أمر خطير، وأنه ينبغى أن يعود إليه فيحفظه من جديد، مهما كلفه ذلك من ثمن أو جهد، ويصف الجهد الذى بذله فى هذا السبيل، فيقول:

« دخلت معهد الإسكندرية الدينى، عقب انتهاء مرحلة الكتاب، وبعد بضع سنين كنت قد نسيت القرآن كله، وضاعت جهود أهلى سدى ..

ثم أدركتنى نفحة من رحمة الله، فعزمت أن أمهر فى القرآن مرة أخرى.

وظللت أكافح فى هذا السبيل نحو خمس سنين طوال، كنت أقرأ « الربع » نحو عشر مرات، ومع ذلك يعز على حفظه.

وكاد اليأس يخامرنى، ولكنى صابرت الأيام وتحملت العناء ورجوت الخير.

وفى أثناء مطالعتى للسنة النبوية، قرأت حديثا نفعنى الله به، وجربته فى التغلب على آفات النسيان فأفادنى » [1].

لقد عاد الغزالى إلى القرآن فحفظه مرة أخرى، بعد أن حدث وأن ضاع من صدره، لكنه – فى هذه المرة – قرر أن لا يضيعه أبدا، وأن لا يسمح للظروف أن تصده عن التشبث به. وقد استصحبه بعد ذلك فى حياته كلها! خطيبا فى المسجد، ومدرسا فى الجامعة، ومحاضرا فى المنتديات والملتقيات والمؤتمرات، وكاتبا فى الصحف والمجلات، ومؤلفا للكتب والدراسات.

وقريب من هذا الموقف، ما أدركه الشيخ من نفسه بعد تعيينه إماما فى مسجد العتبة الخضراء، حيث وجد أن الحصيلة العلمية التى جمعها من قبل لا تكفى لقيامه بوظيفته خير قيام، مما جعله يشمر عن ساعد الجد، وينبرى يقرأ ويبحث ويحفظ ويطالع من جديد. يقول:

«أدركت بعد شهر واحد أننى جاهل، وأن حصيلتى العلمية استُنفدت

---

(١) نظرات فى القرآن، المرجع السابق ص: ٢٦٩ .

خلال أسابيع، وأننى إذا لم أجدد نفسى، وأقع على ينابيع ثرَّة تمدنى بالمعرفة، افتضحت حتما..

لقد كنت مغرورا بعدد من المحاضرات والدروس أجيده، وأتنقل به فى أنحاء البلاد! أما الآن فأمامى منبر واحد يثوب إليه الناس من كل فج، وينبغى أن أقدم كل يوم درسا، وكل أسبوع خطبة!

إننى فى هذا المسيجد عدت تلميذا مرة أخرى، وكان الكتاب الدينى وغير الدينى أستاذى، وكان إذا حضر عميد كلية أصول الدين فى طريقه إلى مجلس الأزهر الأعلى، أحبسه لأستفيد منه حلولا كثيرة لمشكلات علمية تعترضنى»[1].

٥ - التواضع:

من صفات الرجال الكبار؛ التواضع لله عز وجل، والنزول بأنفسهم إلى مستويات لا يحسون معها بالعلو على سائر الناس، ومن هؤلاء كان الشيخ محمد الغزالى.

ومن مواقف هذا الرجل فى مجال التواضع، ما يرويه الدكتور يوسف القرضاوى، إذ يقول:

«حكى لى الأخ الفاضل الدكتور مالك الشعار - القاضى الشرعى بلبنان - مشهدا رآه بعينيه من الشيخ الغزالى رفعه عنده مكانة فوق مكانته. قال: كنا فى جنازة، أظنها كانت لزوجة الإمام الشهيد حسن البنا، والتقى فيها الأستاذ الهضيبى والشيخ الغزالى، فما راعنى إلا رأيت الغزالى يحاول أن يمسك بيد الهضيبى، يريد أن يقبلها، والهضيبى يأبى، والشيخ يصر، فازددت والله إكبارا وإجلالا للغزالى على هذا التواضع العجيب، مع أنه كان فى ذلك الحين ملء الأسماع والأبصار. ولكن هكذا تكون نفوس الدعاة الكبار»[2].

---

(١) قصة حياة، ص: ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص ٣٩ .

وهذه شهادة أخرى يرويها الأستاذ إبراهيم نويرى، فيقول:

«إن خلق التواضع خلق أصيل فى سلوك وسجية الشيخ الغزالى، لا يشوبه تصنع أو تكلف كما هو الحال عند بعض الناس، ومن ثمة فهو من أهم العوامل التى جعلت أخلاقيات الغزالى ذات عمق تأثيرى يحس بألقه كل شخص له جهاز عاطفى سليم كتب له التعامل مع الشيخ الغزالى، وقد أصغيت مرة لحديث الدكتور زكريا مطر وهو يروى تأثره البالغ بهذا الخلق المتأصل فى سلوك الغزالى، فقد حدث أن ذهب ذات يوم يزور الشيخ الغزالى فى بيته لقسنطينة - وكان الدكتور مطر حينئذ يعمل أستاذا بجامعة قسنطينة - ولما دخل البيت بادر بخلع حذائه وجواربه عند المدخل، وعندما هم بالانصراف تفاجأ بالشيخ الغزالى يحمل له بنفسه حذاءه، ويناوله إياه فى تواضع هو بحد ذاته آية من آيات انتصار المؤمن على كبرياء النفس، وشارة من شارات خفض الجناح لأهل الإيمان والتبسط مع الناس» (*).

٦ - الصدق والإخلاص فى الدعوة إلى الله وعزة النفس:

«الغزالى رجل دعوة مخلص لدعوته، متجرد لها، ولهذا ينفذ كلامه إلى القلوب، فيلهبها بمشاعر اليقين والحب، ومعانى الإيمان والإحسان..

عاش الشيخ للدعوة عمره، وكانت هى أكبر همه، ومحور فكره وعمله، ولم يلهث وراء مال أو جاه، فجاءه المال والجاه بفضل من الله تعالى، وبركة الدعوة، وهو دائما يذكر ذلك ويذكر به.

لم يركض وراء المناصب التى يتهافت عليها كثيرون ممن يلبسون لبوس أهل الدين، وأحق ما يوصفون به، ما جاء عن بعض السلف: ذياب طمع، وفراش نـــــار.

ولقد عرض على الشيخ أكثر من مرة أن ينضم إلى الحزب الحاكم. وأن

(*) إبراهيم نويرى: الشيخ الغزالى مفكرا وداعية، المرجع السابق، ص ٦٥ .

يُرشَّح على قائمته ونثرت أمامه الوعود، ولوح له بالمناصب التى ارتقى إليها من دونَه علما وعملا ودعوة وجهادا وشهرة » [١].

٧ - احترام الذات وكراهة التقليد :

يقول الشيخ واصفا حسن البنا وموقفه منه، وموقف بقية أتباعه منه أيضا :

« كنت معجبا به، تسحرنى كلماته، وتزدهينى توجيهاته.

وكان يسرنى أن أنجح مثله فى حسن البيان، وقوة التأثير. ولكننى لم أحاول التشبه به أو متابعته على طريقته، وأحسبنى لو حاولت لفشلت، لأن طبيعتى تغلبنى. إننى أسير وفق خصائصى النفسية كما يسير القطار على قضبانه، عندما أخرج عنها أتوقف لفورى.

وقد عرفت جما من أصحابى يقلدون الرجل فيما دق أو جل من شأنه كله، ويحيون فى التقرب إليه أن يكونوا صورا متشابهة من أعماله وأحواله.

ولما كان أستاذنا قد اشتغل قرابة عشرين سنة مدرسا فى المرحلة الأولى من التعليم، فقد جرت على لسانه كلمة « صح » التى طالما قالها لتلامذته فى فصول المدرسة، كذلك شاع فى تصرفه الربت على الكتفين، مظهر العطف والحنو اللذين يبديهما نحو أطفال المرحلة الأولى، والغريب أن مقلديه من طلاب الزعامة تابعوه فى هذه الكلمات والحركات، كما تابعوه فى حفظ خطبه ومقالاته.

وقد تشاءمت من هذا الذوبان السمج، وتوقعت السوء منه على الرجل وعلى مقلديه جميعا، لأن الصدق والإخلاص والإنتاج والمناصحة والحقيقة نفسها، تضيع فى هذا الجو المفتعل من التمثيل الردئ أو المتقن » [٢].

وفى موضع آخر، يقول :

---

(١) المرجع نفسه ص : ٥٥- ٥٦ .

(٢) جدد حياتك ص : ١٤٣ .

«إنى أعترف - رادا الفضل لأهله - بأنى واحد من التلامذة الذين جلسوا إلى حسن البنا، وانتصحوا بأدبه، واستقاموا بتوجيهه، واستفادوا من يقظاته ولمحاته.

ولكنى - وهذه طبيعتى - كنت آخذ منه وأدع، وأتبعه وأجادله، ويرى منى الرضا والنقد، على أنى يوم قتل كنت أعنف الناس غضبا لمصرعه، وحملة على خصومه، وسعيا وراء القود الواجب، بينما كانت الأصلاب التى طال انحناؤها وتردادها على تقبيل يديه لا تكرم ذكراه، ولا تصون رسالته ولا تهتم بأمره.

إن الذباب الذى يطن حول العظماء كثير، أما الرجال الذين يقدرون رسالاتهم نفسها فما تراهم إلا على ندرة»[1].

٨ - الإحساس بآلام المستضعفين وحب الخير لكل الناس:

نشأ الغزالى فى بيئة ريفية مسحوقة فرديا واجتماعيا، أبرز ما يميزها الفقر المدقع والإحساس بالمرارة والضياع، «بيئة يطحنها الإقطاع ويستغلها الملاك من أرباب الباشوات والأمراء آنذاك، فأبصر المظالم عن قرب، وأحس بالآلام عن معايشة ومكابدة، وأثرت فى نفسه صور الفلاحين والمزارعين، وهم لا يأخذون من خيراتهم إلا الفتات، ولا يستوفون من كدحهم وجهدهم إلا القليل. لذلك نشأ مرهف الحس، حى الوجدان، يقظ الضمير، مشدودا بفكره ونفسه وطاقته إلى رفع المعاناة عن الكادحين والمظلومين»[2].

كان الشيخ يعمل فى مكتبه بوزارة الأوقاف بجد واجتهاد، يرعى شؤون المساجد، ويقف فى وجه الحملات التى تُشن عليها، وقد تمكن من حماية كثير منها من الهدم والتحويل، كما كان يرعى شؤون الناس ويتتبع مصالحهم، على عكس ما كان عليه حال الكثير من موظفى الوزارة. وفى ذلك يقول:

---

(١) فى موكب الدعوة ص: ١٦ - ١٧ .

(٢) د/ أحمد العسال: الخصائص النفسية والخلقية للشيخ الغزالى، المرجع السابق ص: ٢٨ .

« كنت أول موظف كبير يدخل الديوان، أستفتح عملى بقراءة جزء من القرآن على يد أحد شيوخ المقارئ، ثم أنظر فى الملفات المعدة، وأتتبع مصالح الناس بالإنجاز، وأغشى عشرات المكاتب شفاء لهذا، أو إعانة لذاك، كنت كما وصف المأمون نفسه: حُبِّبَ إلى فعل الخير، حتى ظننت أنى لا أؤجر عليه!!

وقد أحصى مكتب الاستعلامات فى الوزارة من يطلبون الدخول إليها، فوجد ثلاثة أرباعهم يذكرون اسمى، ولما كُلِّمت فى ذلك، قلت: معنى موظف عام، أنه خادم للجماهير، حقيقة لا دعوى » [1].

٩ - الإخلاص للحق والثبات عليه والشجاعة فى قوله:

« بالرغم من أن الغزالى الخطيب، كان هو المسؤول عن الدعوة وشؤون المساجد فى وزارة الأوقاف المصرية، نراه يقول الحق، وإن كان مرا، لا يخشى فى الله لومة لائم، وهذا ما أزعج السلطات التى تتوجس من هذا النوع من الخطب التى تنير العقول بالحقائق، قبل أن تثير المشاعر بالمبالغات » [2].

وما كتبه الغزالى فى كتابه « فى موكب الدعوة » وفى كتب أخرى سابقة ولاحقة، لا يقوله إلا رجل شجاع لا يبالى بالمخاطر، ولا يحسب حسابا لنتائج ما يقوله من كلمة الحق، ما دام متأكدا من صواب ما يقول.

١٠ - كراهية الظلم والشدة على الباطل:

« صحيح أنه أخذ على الشيخ أنه سريع الغضب، وأنه إذا غضب هاج كالبحر حتى يُغْرِق، وثار كالبركان حتى يحرق ..

وهذا ما لا يجحده الشيخ الغزالى، وما يعلمه من نفسه، ويعلمه من عايشه وعاشره. وسر هذا أن الرجل يبغض الظلم والهوان لنفسه وللناس، ولا يحب أن يظلِم أو يُظلم، ولا أن يستخف بكرامة أحد، كما لا يستخف بكرامته

---

(١) المرجع نفسه ص: ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص ٦٠

أحد. كما أنه لا يطيق العوج والانحراف، وخصوصا إذا لبس لبوس الاستقامة، أو تستر بزى الدين، فهو الذى يقاتله سرا وعلانية.

فإذا رأى ظلما أو عوجا - فى رأى نفسه على الأقل - لم يستطع أن يغلق فمه أو يغمد قلمه، بل صب عليه جام سخطه، ولم يحفل بما يصيبه من شرر الصدام.

ولكن يكمل هذا أن الشيخ لا يفجُر فى خصومته، ولا يفترى على خصمه، أو يتمنى له السوء، أو يشمت به إذا نزل به بلاء، إنما هو كما قال القائل: رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت » [1].

وقد سأله الدكتور عبد الحليم عويس مرة: « يلاحظ فى كتاباتك - لا سيما الأخيرة - شيئا من الحدة التى لم تعرف فى تاريخك الطويل من قبل، فكيف تفسرون هذا وأنتم فى سن النضج الكامل؟ ».

فأجاب رحمه الله:

« ربما كنت حار العاطفة، فأنا أكره النفس البارد فى معاملة الأشخاص والأفكار، وأحسب أن الإيمان النظرى لا يملك القدرة على التحرك فى هذه الحياة إلا إذا كان له قائد من عاطفة حارة تملك الحركة الدائمة واليقظة الصارمة.

وبين الحدة والحرارة فروق، فقد تكون الحدة قريبة من القسوة، وأنا أزعم أنى رقيق. وقد تكون قريبة من الإصرار، وأنا لا طاقة لى على البقاء فى خطأ إذا استبان لى الخطأ.

وربما كانت الحدة المزعومة هى ما يتملكنى من أسى للهزائم الكثيرة التى أصيبت بها الثقافة الإسلامية والسياسة الإسلامية على السواء.

ومع أن جميع مقومات النصر فى أيدينا، فما الذى أوقع بنا هذه الهزائم..؟

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص ٣٨

هذا هو الذى يجعلنى أتكلم بشئ من الغيظ وأنا أرمق دعاة مفلسين لا يحسنون عرض الإسلام، وقد قلت فيهم ذات يوم: إن الإسلام قضية عادلة وقعت فى أيدى محامين فاشلين...

إننى أحب الحلم والأناة، لأنهما خصلتان يحبهما الله ورسوله، وأدرب نفسى على هاتيك الخصال، لكنى أعترف باننى أفقد زمامى أحيانا عندما أجد الرويبضة التافه يتكلم فى الشئون العامة، ويعطى توجيهات لا ثمرة لها إلا ضرب الإسلام فى صميمه، وإدخاله فى معارك إذا انهزم فيها كان الخزى، وإذا انتصر فيها كان التعب والإجهاد»[1].

١١ - البساطة والبعد عن التكلف:

يقول الشيخ عن نفسه:

«إننى لا أطيق التزمت، ولو تكلفته ما أحسنته. وأحب أن أسترسل مع سجيتى فى أخذ الأمور وتركها، وقلما أكترث للتقاليد الموضوعة. والمفروض أن اللازمة الأولى فى رجال الدين - كما يسمون - أنهم أهل توقر وسكون.

وأنا أجنح إلى المرح عن رغبة عميقة، وأتلمس الجوانب الضاحكة فى كل شئ، وأود لو استطعت أن أعيش هاشا باشا. والمفروض أن الناس يتوقعون من مثلى تواصل الأحزان وإطراق الكآبة، حتى يكون تذكيره بالآخرة وإنذاره العصاة بالنار، متفقا مع مخايل الجد والعبوس التى لا تفارق وجهه أبدا!..

ثم إنى شعبى فى تصرفى، ولو كنت «ملكا» لأبيت إلا الانتظام فى سلك الأخوة المطلقة مع الجماهير الدنيا، أخدمهم ويخدموننى على السواء...»[2].

١٢ - الضيق بالتسلط والاستبداد:

يقول الشيخ عن نفسه:

---

(١) حوار ومراجعة مع الشيخ محمد الغزالى، ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالى.. صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره، ص: ٣٤ - ٣٥.

(٢) من مقدمة كتابه: تأملات فى الدين والحياة.

«إننى حمى الأنف!! خلقنى الله أحب الحرية لكل عباد الله، وأكره كل فاجر من الحكام يستبد أو يطغى، أكره الفرعونية فى تاريخها كله، ولذلك حاربتها بكل ما لدى من طاقة» [1].

والشيخ لا يكره التسلط فى مجال الحكم، بل يكرهه ويمقته حتى فى إطار الصف الإسلامى الواحد، وفى ذلك يقول:

«إننى أكره أن أسود أحدا من الناس، لأنى أوثر أن يكون صاحبى ندا لا تابعا، أتمنى أن أجد الرجل الذى أرى منه عقله الكبير، وفؤاده الكبير، فأعامله غير متكلف له شيئا، تشغله عنى رسالته فى الحياة، فأصحبه أو أتركه، وليس بيننا ما يريب أو يغيظ..!!

وأكره كذلك أن يسودنى أحد، لا لِكبْر فىَّ، بل لأن أغلب الذين يحرصون على السيادة نفر من العبيد، يوارون صغارهم بالكبرياء المفتعلة.

وقد تقول: إن الحياة لا بد فيها من قيادة تأمر، وجند ينفذون .. وهذا حق، ولا اعتراض على هذا الوضع فى نفسى لو أن نظام الحياة كنظام الفلك، تدور الكواكب الصغيرة حول أكبرها جرما، فهو محورها العتيد، وهى خاضعة طوعا أو كرها لربطها به .. لكن الطبيعة العظيمة لم تكلف الكواكب أن تدور حول حصاة .. ثم إن السيادة المفروضة شئ آخر غير القيادة الطبيعية القائمة بين الرأس والأطراف.

إن الناس ينجذبون حول الكفايات الكبيرة من تلقاء أنفسهم يوم يسيرون مع طبائع الأشياء، فإذا اختلت النظم وطُلب للصغار أن يكبروا وللكبار أن يصغروا، فيجب أن نتوقع كل شئ إلا استقامة الأمور وضمان النجاح.

ولست أشغب على شئ كما أشغب على هذا الخلل. وكم أضيق بالغباء المسلط والذكاء المضيم» [2].

---

(١) خطب الشيخ محمد الغزالى فى شؤون الدين والحياة، ص: ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) فى موكب الدعوة، ص: ١٧ - ١٨ .

والحق أن هذه الصفة التى تميز بها الشيخ الغزالى هى التى جعلت الحرب تشتغل بينه وبين خصومه، وحتى بينه وبين أصدقائه، فالرجل يمقت التسلط الزائف، ويكره أن يلى الناس رجل هو أقلهم شأنا وأوضعهم كفاية.

١٣ - محاسبة النفس والرجوع عن الخطأ إذا تبين:

«من صفات الشيخ الغزالى أنه - إن كان سريع الغضب - فهو سريع الفئ رجاع إلى الحق إذا تبين له، ولا يبالى أن يعلن خطأه على الناس علانية، وهذه شجاعة لا تتوافر إلا للقليل النادر من الناس. فهو شجاع عندما يهاجم ما يعتقده خطأ، شجاع عندما يُعترف بأنه لم يحالفه الصواب فيما كان قد رآه» [١].

يقول الشيخ عن نفسه:

«إننى أقوم بالفعل أحيانا، ثم أراجع دوافعه فى نفسى، فأشعر أنى لم أكن فيه مخلصا كما ينبغى! غلبنى حب الدنيا أو الاعتداد بالنفس، فأحس الألم والندم، وأرى أنى - بهذا الخلط - لا أصلح لولاية الناس وجعل كلمة الله هى العليا ...» [٢].

وكتب الشيخ يوما يقول:

«منذ أعوام دونت هذه الكلمات فى مذكراتى:

«المؤمن يستهدف لنقمة الله قبل أن يكرس حياته لنيل السعادة فى هذه الدنيا! ألم يسلبه إيمانه النفس والمال؟ ألم يرخص عليه الوالدين والأولاد والأهل؟ ألم يحرمه لذة الوداعة فى بيته والاطمئنان إلى رزقه؟ إنما يجب على المؤمن أن يحرص على سعادته فى الدار الآخرة، وهو - رضى أم كره -- لن يظفر بسعادته المنشودة إلا فى جوار الله وحده».

وقد عدت الآن إلى مطالعة هذه الكلمات، وتبينت أنى سطرتها فى ساعة

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص ٣٨

(٢) مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية، ص: ١٠٨ .

من ضغط الحوادث ومعاركة الآلام، ولكن بها حقائق ثابتة على كل حال، حقائق مستوحاة من لب القرآن وهدى آياته، حقائق لا ينبغى إهمالها، ولا يجوز أن تكون حياة المسلم بمعزل عنها.

وقد سألت نفسى بعد قراءة ما كتبت من أعوام: هل كنت وقافا عند حدود ما كتبت؟ وهل جافيت متع الحياة وحاذرت دسائس الجاه والمال وخاصمت رغائب العيش الرغيد؟ وهل وطنت النفس على تحمل الآلام والاستعداد للتضحية والرغبة فيما هو خير وأبقى مما نواجه ونعالج من آمال ومطامع؟

ولم أكن متحمسا فى الرد بالإيجاب على كل هذه الأسئلة، بل شعرت بالخلل والتقصير فى غير ناحية من نواحى حياتى، وأدركت بنفسى حرصا خفيا على أشياء كثيرة، إن جاز التطلع إليها فليس يجوز الحرص عليها» [1].

وهذا اللوم للذات ومراجعتها ومحاسبتها لا يصدر عن الشيخ كلاما، وإنما يمارسه فعلا وسلوكا.

«إن تاريخ الرجل حافل بمراجعته لفكره، وتطويره لمواقفه، وضبطه لأحكامه، ومحاسبته لنفسه، وإعلانه - فى شجاعة عظماء العلماء - الأوبة إلى الحق والصواب، إذا هو تبين غير ذلك فيما خط قلمه أو نطق لسانه من آراء ... ولنضرب على هذه الحقيقة من حقائق الحياة الفكرية للشيخ بعض الأمثال:

- فى بداية الخمسينات من هذا القرن العشرين، احتدم الخلاف بين الشيخ الغزالى وبين القيادة الجديدة لجماعة الإخوان المسلمين، وخاصة مرشدها الثانى المرحوم حسن الهضيبى .. وقد تناول الشيخ الغزالى أحداث هذا الخلاف، ومواقف الهضيبى منه، تناولا راجع نفسه حياله بعد ذلك، فرأى فيه من الخطأ والحدة ما يستوجب العودة عنه إلى الموضوعية فى تقدير المواقف والأحداث والملابسات .. فرأيناه يكتب فى الطبعة الجديدة من كتابه «من معالم الحق فى

---

(١) فى موكب الدعوة، ص: ٢٣٦.

كفاحنا الإسلامى الحديث ». الصادرة سنة ١٩٨٤م، عن خلافه مع حسن الهضيبى هذه السطور:

« من حق الرجل أن أقول عنه: إنه لم يسع إلى قيادة الإخوان، ولكن الإخوان هم الذين سعوا إليه، وأن من الظلم تحميله أخطاء هيئة كبيرة مليئة بشتى النزعات والأهواء.

ومن حقه أن يعرف الناس عنه أنه تحمل بصلابة وبأس كل ما نزل به، فلم يضرع ولم يتراجع، وبقى فى شيخوخته المثقلة عميق الإيمان واسع الأمل حتى خرج من السجن.

الحق يقال .. إن صبره الذى أعزه الإيمان، رفعه فى نفسى، وإن المآسى التى نزلت به وبأسرته لم تفقده صدق الحكم على الأمور، ولم تبعده عن منهج الجماعة الإسلامية منذ بدأ تاريخنا، على حين خرج من السجن أناس لم تبق المصائب لهم عقلا.

وقد ذهبت إليه بعد ذهاب محنته، وأصلحت ما بينى وبينه، ويغفر الله لنا أجمعين ».

ثم يعلق الشيخ على موقفه من أحداث هذا الخلاف، فيقول فى موضع آخر:

« لقد اختلفت مع المغفور له الأستاذ حسن الهضيبى، وكنت حاد المشاعر فى هذا الخلاف، لأنى اعتقدت أن بعض خصومى أضغنوا صدر الأستاذ حسن الهضيبى لينالوا منى .. فلما التقيت به – عليه رحمة الله – بعد أن خرج من المعتقل، تذاكرنا ما وقع، وتصافينا، وتناسينا ما كان، واتفقت معه على خدمة الدعوة الإسلامية، وعفا الله عما سلف.

وأرى أن الأستاذ الهضيبى أثبت أيام سجنه أنه رجل صلب العود متين الإيمان وثيق الصلة بالله .. وقد كنت، وأنا خارج السجن، أنوه بثباته وتشريفه

للدعوة بعدم ضعفه أو استخذائه أمام من عذبوه، بل اتسعت دائرة دفاعى حتى شملت جميع الإخوة، برغم ما كان بيني وبينهم من خلاف، فكنت أشد الناس حنوا عليهم، وإسراعا إلى مساعدتهم، وانتصارا ضد أعدائهم» [1].

والذين يقارنون هذا الموقف، وهذا الحديث، بما كتب الشيخ الغزالى – من قبل – عن الهضيبى وخلافه معه .. يدركون جيدا مدى الصدق والموضوعية فى قولنا عنه: أنه رجل أواب.

– وفى «المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية» – الذى انعقد فى مايو سنة ١٩٦٢م – كان الشيخ الغزالى واحدا من رموز النقد والمعارضة لكثير من سلبيات التجربة الناصرية....

وكان للشيخ الغزالى فى هذا المؤتمر حديث طالب فى ختامه بلباس موحد للرجال وآخر للنساء، طلبا للحشمة الإسلامية الشرقية، وإزالة للفوارق الصارخة – فى الأزياء – بين الناس .. ويومها تناوله عدد من الصحافيين الليبراليين واليساريين بالنقد والتجريح .. بينما انتصرت له جماهير المساجد بالمظاهرات..

وعندما راجع الرجل موقفه هذا، أدرك أنه، وإن لم يخطئ فى الفكر والرأى إلا أنه لم يوفق فى اختيار الموضوع المناسب للمقام ... فلقد كان اختياره لموضوع زى المرأة – وهو موضوع هامشى بالنسبة لأعمال مثل هذا المؤتمر – كان هذا الاختيار «ثغرة» انتهزها وقفز عليه منها الكارهون للإسلام .. كما كان «شبهة» ظن منها البعض عداء الرجل لحريات المرأة، مع أن حقيقة موقفه على العكس من ذلك تماما.

لذلك وجدنا الرجل – عندما راجع موقفه هذا – يتخذ موقف العالم الأواب، فيكتب فى كتابه «معركة المصحف فى العالم الإسلامى»، يقول:

«لقد جرت على لسانى كلمة تتصل بملابس الرجال والنساء، كان الباعث

---

(١) من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث ص: ٢٣٦ .

على ختم الحديث بها فى «المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية» ما أحسه ويحسه الكثيرون من أن مشكلة الأزياء فى مصر سيئة ومحرجة، وتتطلب حلا معقولا.

ومن الواجب فى نظرى خلق لباس يرتديه الرجال عامة، ويكون التفاوت فى ثمنه وشكله ضيقا، بحيث لا تكون سعة الثروة سببا فى الانتفاخ، وقلتها سببا فى الانكماش، وبحيث لا تكون هناك ملابس دينية وأخرى مدنية.

أما ملابس النساء، فمن الواجب ابتكار أزياء تجمع بين الفضيلة والجمال، وتمنع التبرج والفساد..

هذا ما قلته، وما فوجئت بأنه أقام الدنيا وأقعدها، أو بتعبير دقيق: ما وجده الماكرون مجالا لنقل المعركة إليه، واختلاق قضية أخرى يدور حولها الجدل بعنف، وتختنق فى ضوضائها قصة التشريع الإسلامى من ألفها إلى يائها.

ولا أدرى كيف وقعت فى هذه الحفرة! وكيف انسقت إلى هذا الموضوع الثانوى! وسمحت لنفسى بإطالة الكلام فيه، عندما طلبت للكلام مرة ثانية..

لقد كان لهذا الخطأ أثران رديئان:

الأول: أنى مكنت أعداء التشريع الإسلامى من بعثرة الجهود النبيلة التى احتشدت لنصرته.

الثانى: أنى لم أعط صورة كاملة لمكانة المرأة فى الإسلام، واكتفيت باستنكار الانحرافات الخلقية والاجتماعية التى عرضت لنهضتها الحديثة، ففهم بعض الناس أنى أريد العودة بالنساء إلى عهود الجمود والجهالة التى عاشت فيها خلال القرون الأخيرة» [1].

لقد راجع الرجل نفسه، وأعاد النظر فى موقفه، وتدبر الأمر فأدرك «الخطأ» الذى جعله يقع فى «حفرة» انتهزها أعداء التشريع الإسلامى، ليصرفوا الأنظار

---

(١) انظر: معركة المصحف فى العالم الإسلامى، فصل: الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

عن جوعر القضايا إلى « الهوامش الجانبية، وليستعدوا المرأة على موقف الشيخ من قضية الأياء.

ولقد كان شجاعا، وواعيا، فى المراجعة والنقد، على النحو الذى يمثل نموذجا يجب أن يحتذى، فيتعلم منه الكثيرون » (١).

ومن مواقفه التى رجع عنها، موقفه من المملكة العربية السعودية ورجالها، إذ كان قد كتب عنها ناقدا مهاجما، ثم « قام بنفسه بتصحيح المعلومات التى كان أعداء الإسلام يروجونها عن المملكة وعن بُناتها الأول .. وكان لحياته فى المملكة ومعاشرته لرجالها عن كثب الأثر الكبير فى ذلك. وهو لم يعلن آراءه المنصفة إلا بعد أن ترك المملكة حيث دعى للعمل فى مواقع أخرى. وقال: إننى كتبت فى هذا الوقت حتى تكون آرائى لله وحده، ومنطلقة من الحقيقة وحدها »(٢).

ومن مواقفه فى هذا الإطار أيضا ما يرويه الدكتور محمد عمارة مما يتعلق به هو شخصيا فى علاقته بالشيخ الإمام، وكيف أن هذا الأخير أخطأ فى حقه، ثم اعتذر له، دون أن يكون قد جرى بينهما أى اتصال من قبل ذلك (٣).

١٤ - الاعتراف بالفضل والجميل لأهله:

يقول الدكتور يوسف القرضاوى:

« من فضائل الغزالى ودلائل إخلاصه؛ اعترافه بالفضل لإخوانه، والإشادة بمواهبهم ومواقفهم وفضائلهم.

فتراه يثنى على الشيخ السيد سابق – حفظه الله -- ويبرز مكانته فى الفقه، ويحيل عليه، وعلى كتابه « فقه السنة ».

---

(١) د/ محمد عمارة: الشيخ محمد الغزالى .. الموقع الفكرى والمعارك الفكرية ص: ٩٥ – ١٠٢.

(٢) د/ عبد الحليم عويس: مراحل عظيمة فى حياة مجاهد عظيم. ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالى، صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره، ص: ١٨.

(٣) انظر التفاصيل فى: الشيخ محمد الغزالى .. الموقع الفكرى والمعارك الفكرية، ص: ١٠٤ – ١٠٩.

ويقول عن الشيخ عبد المعز عبد الستار - حفظه الله -: إنه داعية وخطيب من الطراز الأول.

ويقول عن زكريا الزوكة - رحمه الله -: إن له قلما جديرا بأن يجعل له مكانا بين كتاب الدعوة.

ويقول عن أخيه وزميله الشيخ إسماعيل حمدى: إنه رافعى زمانه.

وكثيرا ما نوه بشخصى الضعيف فى المؤتمرات والندوات، وأنا أحد تلاميذه، ويقول: اسألوا يوسف، فهو أولى منى.

و.. كنا فى ألمانيا، وكنا نتحدث فى إحدى القضايا العلمية، وأحال علىَّ الإجابة فيها، فلما فرغت، فاجأنى، بل أخجلنى بقوله أمام الملأ كبار الأساتذة: لقد كان يوسف تلميذى فيما مضى، وأما اليوم فأنا تلميذه!

وهذه منزلة لا يرقى إليها إلا الصادقون، وأحسبه منهم، والله حسيبه، ولا أزكيه على الله عز وجل» (١).

١٥ - الصراحة وكراهية النفاق والرياء :

الشيخ «لا يحب الرياء الدينى، ولا الرياء الاجتماعى، ولا الرياء السياسى، ويرفض كل المظاهر الكاذبة، التى تقوم عليها الحياة الدينية أو الاجتماعية، ويندد بأولئك الدجالين الذين يأكلون الدين ولا يعملون به، ولا يعملون له، ويلعن أولئك الحكام الذين يشاركون فى المناسبات الدينية وأفئدتهم خراب من احترام شريعة الله، وآخرين يحتفلون بالمولد النبوى أو الإسراء أو الهجرة، ولم تزل أفواههم رطبة من الخمر» (٢).

إن هذه الصفات التى كان يتصف بها شيخنا وإمامنا محمد الغزالى رحمه الله، هى صفات العلماء العاملين حقا، وهى التى رفعت ذكره فى العالمين، وبها تبوأ مكانة جليلة فى نفوس المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص: ١٠٣ .

(٢) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص: ٥٥ .

قالوا عن الغزالى

● جمع الله فيه ما تفرق فى غيره :

« لقد أبلى الإمام محمد الغزالى شبابه وأفنى عمره فى سبيل الله، يدعو إليه على بصيرة، ويجادل عن دينه بالعلم الغزير والكتاب المنير، ويدفع خصومه بالحجة الدامغة والحكمة البالغة، ويرابط على ثغور المسلمين الحضارية، وسيلته عين ساهرة وأذن حاضرة، وسلاحه قلم سيال وفكر جوال ولسان قوال. لقد جمع الله فيه كثيرا مما تفرق فى غيره »

الشيخ عبد الرحمن شيبان

● رجل عاش للإسلام :

« عرفت الشيخ الغزالى، فعرفت رجلا يعيش للإسلام، وللإسلام وحده، لا يشرك به شيئا، ولا يشرك به أحدا، الإسلام لحمته وسداه، ومصبحه وممساه، ومبدؤه ومنتهاه، عاش له جنديا شاهر السلاح، فأيما عدو أقترب من قلعة الإسلام يريد اختراقها، صرخ بأعلى صوته، يوقظ النائمين، وينبه الغافلين. أحسبه كذلك، ولا أزكيه على الله ».

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى

● قمة من قمم الفكر الإسلامى :

« سيبقى الشيخ محمد الغزالى قمة من قمم فكرنا الإسلامى وسيبقى داعية أدى دوره فى حدود إمكاناته البشرية التى تخطئ وتصيب، لكنه الداعية الذى عاش فى مصر وفى غير مصر أكبر من كل المناصب والإغراءات .. واجه رؤساء دول، وواجه نظما شيوعية واشتراكية وعلمانية وقومية لا دينية .. وقامت الجماهير بأقوى مظاهرات وراءه تطالب بتحكيم الإسلام وبرفض الانسحاق امام الإديولوجيات المستوردة أو المفروضة علينا من الشرق أو الغرب .. أيام كان هناك شرق !! »

الدكتور عبد الحليم عويس

● **شيخ الدعوة وفقيهها :**

« الشيخ محمد الغزالى ... يعتبر بحق أحد شيوخ الدعوة الإسلامية الحديثة وفقهائها، يحمل تاريخ نصف قرن أو يزيد من العمل الإسلامى، وهو أحد معالم الحركة الإسلامية الحديثة ورموزها، رافق نشوء الحركة الإسلامية الحديثة فى مصر، كما أنه شارك فى رسم سياستها، وكان على مدى هذه الأعوام الطوال : العقل المفكر، والقلم المسطر، واللسان الناطق، حتى ليمكننا القول بأن مؤلفاته التى تشكل بمجموعها جانبا هاما من مكتبة الدعوة الإسلامية الحديثة، يمكن اعتبارها سجلا لتاريخ الدعوة الفكرى إلى حد بعيد، وبذلك نستطيع أن نترسم الملامح الرئيسية للدعوة الإسلامية الحديثة وتطورها من خلال هذه المؤلفات . ذلك أن فهمه للقضية الإسلامية لم يكن فهم مؤلفات وأوراق بعيدة عن دخان المعركة ومُثار نقعها وجلبة سلاحها، وإنما جاءت كتاباته من أرض المعركة وبأحد أسلحتها .. » .

الأستاذ عمر عبيد حسنة

● **نصف قرن من العطاء :**

« على مدى نصف قرن تحرك الغزالى بفكره الإيمانى المؤثر، ورؤيته المقارنة الذكية وأسلوبه المتميز ذى النكهة العذبة، لكى يقول أشياء كثيرة، ويفصل الحديث فى معضلات شتى، ويكتب عن هموم الإسلام والمسلمين، ويؤكد قيما ويرفض أخرى . وعبر ألوف الصفحات التى كتبها - فى هذا المدى الزمنى الطويل - لم يكد يترك مسألة تتميز بحساسية ما فى الساحة الإسلامية إلا ووقف عندها دارسا، متفحصا، محللا، ومتوصلا - فى نهاية الأمر - إلى حشد قيم من النتائج والمعطيات التى أغنت حركة الفكر الإسلامى المعاصر، وغذت مكتبته الناشئة - يومها - بالعديد من المؤلفات القيمة » .

الدكتور عماد الدين خليل

● **شخصية علمية متكاملة :**

« الشيخ الغزالى شخصية توافرت لها كل مقومات الشخصية العلمية، سواء كانت مقومات بيئية بعناصرها المختلفة، أو مقومات جسمية، أو مقومات عقلية، أو مقومات نفسية خلقية » .

الدكتور محفوظ عزام

● **جهاد موصول يبتغى وجه الله :**

« عهدنا وعهد المسلمين جميعا بفضيلة الشيخ محمد الغزالى، أنه يصدر فى كل كلمة يخطها عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت ويقين عميق، وأنه منذ فجر شبابه يجاهد بقلمه وفكره من أجل إنهاض هذه الأمة، لا يدركه ملل، ولا يناله فتور، ويواجه مشكلات المسلمين بالرأى المدعوم بالحجة، والفكر المشفوع بالبرهان، والمنطق المصحوب بالدليل .. ولا يطلب على عمله الإسلامى أجرا، وإنما أجره على الله » .

عبد الله حجاج

● **أمة فى رجل :**

« الشيخ محمد الغزالى .. أمة فى رجل .. عاش حياته كلها عبدا للحق وحده .. وحسبه عند الله درجة – ولا نزكيه على الله – أن اختاره إلى جواره وهو ينافح وسط ميدان الدعوة حتى النفس الأخير .. كما اختار له صحبة أهل البقيع وجوار مدينة المصطفى ﷺ » .

مجلة « المجتمع » الكويتية

● **حياة الغزالى نموذج لأفكاره :**

« كانت حياة الشيخ محمد الغزالى نموذجا لأفكاره الثابتة، فكان يقدم القدوة والمثل، لبس فقط فيما يكتب، وإنما أيضا بما يمارسه فى حياته الخاصة

والعامة من تصرفات. وهذا الاتساق مع النفس هو ما جعل الشيخ الغزالى يحقق المصداقية لدى كل من تعاملوا معه وعايشوه وقرأوا أفكاره وكتبه».

مجلة «سيدتى» اللندنية

● ضمير أمة:

«فضيلة الشيخ الغزالى ... يمثل ضمير أمة. كان يحكم شرع الله فى كل جوانب الحياة، ولكن بتحضر. لقد جمع بين رقة وعذوبة الأديب، وبين فقه وصفاء المتصوف الفقيه. لقد كان يملك القدرة على احتواء قلب وعقل القارئ له. ويشهد له التاريخ بآرائه التى عبر عنها بشجاعة يحسده عليها الكثيرون».

الدكتورة عبلة الكحلاوى

● دقة الفكر ودقة الفهم:

«كان الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - دقيق الفكر، دقيق الفهم، تتداعى الآيات والأحاديث على لسانه وكأنها طوع بنانه. وكان ضد التطرف فى كل شئ، فهو يرفض فرض الإسلام بالقوة، كما يتصدى لمن يريدون إبعاد الإسلام عن الحياة. وقدم لنا مشروعا حضاريا إسلاميا معاصرا، وكان من المجتهدين فى ذلك».

الدكتور مصطفى محمود

● مفكر حر يحترم قيمة الإنسان:

«الشيخ محمد الغزالى كان يحركه الإيمان بالله والأمانة فى ممارسة الحياة، فقد كان رحمه الله مؤمنا بالله يجد حلاوة الإيمان فى قلبه وتتجاوب فى نفسه أصداء القرآن الذى صحبه طول عمره. وكان أيضا مفكرا حرا شديد الاحترام لقيمة الإنسان، وشديد الإيمان بالحرية، وشديد الاقتناع بأن النهضة لا بد أن تقوم على أساس العلوم العقلية والنقلية معا. وقد اتخذ طريقا واحدا لممارسة أفكاره، فكان مجاهدا فى سبيل ما يؤمن به، لا يلين ولا يحابى، ويستعلى على الترغيب والترهيب، ويترفع عن كل الأمور الشخصية والصغيرة».

الدكتور أحمد كمال أبو المجد

• الشاكر الصابر :

« تقلب الدهر على الشيخ - رحمه الله - بنعمائه وبأسائه، فما لانت قناته، ولا تحولت قناعته، فكان فى كلا الحالين شاكرا صابرا، لم تبطره النعمة، ولا نَهْنَهَ من صرامته الأذى أو الحرمان .. لم تقعده شيخوخته ولا ضعف جسمه عن الضرب فى الأرض مجاهدا فى سبيل الله، معلما لكتابه، ناشرا لدينه، مبتغيا من فضله، مقيما للصلاة، مؤتيا للزكاة، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، مقرضا ربه قرضا حسنا، مقدما بين يدى قدْمته على خالقه ما هو واجده خيرا وأعظم أجرا » .

محمد الجاهوش

• مثله لا يغيب إلا بجسمه :

« مثل الغزالى لا يغيب عن الحياة إلا بجسمه، فمؤلفاته الرائعة ومواقفه الجهيرة، وسلوكه المثالى، قد كتب له فى سجل الخلود صفحات تقرأها الأجيال، فتردد ذكره العاطر بألسنة الثناء والتقدير.

كان الغزالى مدينة حافلة ذات ميادين شتى، متسعة الأرجاء، فهو مؤلف بارع، ومجاهد صادق، وخطيب مؤثر، وعالم بأدواء المجتمع الإسلامى فى شتى ربوعه » .

الدكتور محمد رجب البيومى

• عالم واسع الأفق :

« المطالع لآثار الشيخ الغزالى، مؤلفات ومقالات ومحاضرات وأحاديث، يستشعر بقوة سعة الأفق الذى يطل به على مختلف فروع العلم .. وأول ما يطالعه من خلالها جميعا، تلك الموهبة الفنية التى تفرغ على تعابيره ألق البيان العفوى الجميل. فالقارئ المتذوق لهذا الضرب من البلاغة لا يسعه أن يمر بكتاباته دون أن يتوقف بين الحين والآخر ليمتع وجدانه بتلك الصياغة الموفقة » .

محمد المجذوب

● **حجة الصحوة الإسلامية :**

«لئن كان أبو حامد الغزالى قد استحق لقب حجة الإسلام قديما بما قدم فى إحياء علوم الدين، فإن محمد الغزالى يستحق أن يلقب فى عصرنا بحجة الصحوة الإسلامية، بما قدم للعقل المسلم من فقه وفكر مستنير، ومنهج تجديدى وفير».

الدكتور عبد الرزاق قسوم

● **قدوة لمن يبحث عن قدوة :**

«الأستاذ الغزالى قدوة صالحة يتميز بالصدق فى كل حال، مع الحاكم والمحكوم، بغير نظر إلى العواقب، فالصدق أولا وأخيرا. والشيخ الغزالى قدوة صالحة لمن يبحث عن قدوة، ومثال يحتذى لمن يبحث عن البطولة والأبطال».

أسعد سيد أحمد

● **ظاهرة فريدة فى هذا العصر :**

«الشيخ الغزالى ظاهرة فريدة فى هذا العصر ... وقد لفت نظرى أن حب المسلمين - المؤمنين بالدعوة الحقة - لشيخنا ... قد شرق وغرب. وكنت أرقب ذلك فى عيون الناس وتصرفاتهم معى حين أذكر لهم أنى من مريدى الشيخ وأتباعه، إذ كان بعضهم يحاول تقبيل يدى تبركا وتيمنا بواحد ممن تلقى علمه على الشيخ».

الدكتور رمضان عبد التواب

* * *

آثار الغزالى : عرض ودراسة

خلال رحلة حياته المديدة، كتب الشيخ الغزالى رحمه الله عشرات الكتب، وأنشأ آلاف المقالات، كما ألقى آلاف الخطب والدروس والمحاضرات فى مختلف بقاع العالم الإسلامى التى زارها أو أقام بين أهلها.

وهذا التراث الكبير، ميزته الأساس أنه متنوع وثرى، فهو لا ينحصر فى دائرة فكرية محدودة، وإنما يمتد ليغطى مساحات وميادين فكرية كثيرة.

والسر فى ذلك أن الغزالى رحمه الله لم يكن مجرد عالم أو باحث أكاديمى يحصر جهوده فى دائرة بحثية معينة لا يتعداها ولا يخرج عن مقتضياتها، وإنما كان داعية ومصلحا اجتماعيا. ومن طبيعة المصلح الاجتماعى أن يمد دائرة اهتماماته إلى كل الحدود التى يمكنه أن يوصل دعوته إليها، ويستخدم كل الوسائل التى يراها كفيلة بتحقيق أهدافه والترويج لدعوته.

لقد كان الغزالى - فى حياته - مهموما بأمته، مشغولا بما عراها من أسقام، محتارا فى وضعها بين الأمم وكيف نزلت إلى هذا الحضيض الآسن الذى تعيش فيه. ولذلك وجدناه يكافح فى دوائر كثيرة .. فقد كافح فى دائرة الدعوة والإرشاد، وكافح فى دائرة المواجهة للمستشرقين والمستغربين، وكافح فى دائرة السياسة والحكم فى مواجهة المستبدين، وكافح فى دائرة المال فى مواجهة المستأثرين بأموال الأمة وخيراتها من دون بقية المؤمنين، وفى غير ذلك من الدوائر والمجالات.

ولذلك وجدنا تراثه بهذه الضخامة والاتساع من حيث الاهتمامات. فهذا التراث لم يكن مجرد مكتوبات وبحوث جافة ودراسات فكرية صارمة، وإنما كان روحا تتوثب ونفسا شفافة تبحث عن الداء لتداويه، وعن الدواء لتنتفع وتنفع به.

وقد وصف الشيخ رحمه الله تراثه الفكرى، معترفا فيه بالفضل لأهله، فقال:

« كل كتاب كَتبته، وكل محاضرة أو مناظرة أو ندوة أو مداخلة شاركت فيها .. إنما هى قلب يتحرق، وعاطفة تتحرك .. كل ذلك أقدمه بين يدى ربى – عز وجل – يوم القيامة، وأسأله أن يتقبل ذلك خالصا لوجهه تعالى .. وأنا فى ذلك تلميذ محب لإمام الهدى محمد ﷺ وصحبه الكرام .. وشريك للرجال الكبار الذين رباهم الإمام الشهيد حسن البنا – رضوان الله عليه – الذى علمنا كيف نفهم ديننا .. » (١).

وقد تضمنت مؤلفات الشيخ الغزالى وخطبه ودروسه تقريبا كل ما يهم المسلم فى هذا العصر، إذ لم تترك مجالا من مجالات العلوم الإسلامية المتنوعة إلا وطرقتها باستفاضة أو باقتضاب، بحسب ما تمليه ضرورات الدعوة، ومقتضيات المواجهة .. « والخاصة الكبرى لكتب الغزالى؛ أنها واكبت التحديات وتصدت للمشكلات، وعبرت عن الإسلام أعمق تعبير » (٢).

والحق أن « كل مؤلَّف للأستاذ يقوم مقام جامعة حية تمتع العقل، وتلهب الشعور، لأن الكاتب ذو رسالة هادفة، فقد كان أحد القائمين بقلمه الباتر ولسانه المؤمن على ثغر من أبكر الثغور خطرا ومهابة، يذود أراجيف الأعداء، فيبدد أحقاد الصليبية الغادرة والصهيونية الماكرة، فى عزيمة صارمة لا تعرف المهادنة. ولقد كان أعداء الفكرة الإسلامية فى الشرق والغرب يعتبرونه خصمهم الألد، فيحاربونه بكل سلاح » (٣).

---

(١) من حديث له قبل أسبوع من وفاته، مع مجلة المجتمع الكويتية، عدد ١٩٩٢، يوم ٧ ذو القعدة ١٤١٦ هـ ٢٦ مارس ١٩٩٦م.

(٢) د/ عبد الحليم عويس: ضمن كتاب: الشيخ الغزالى؛ حياة وآثار .. شهادات ومواقف، ص: ٢٨.

(٣) د/ محمد رجب البيومى: شجون وذكريات عن الشيخ الغزالى. مجلة الأزهر، عدد ذو الحجة ١٤١٦ هـ – ابريل – مايو ١٩٩٦م.

ولقد أتيح لكتب الشيخ من الانتشار ما لم يتح لغيرها، إذ طبع أغلبها ما يزيد على العشرين طبعة، وفى كل بلاد العالم الإسلامى تقريبا، كما ترجم كثير منها إلى عدد من اللغات، وقررت بعض الجامعات تدريس بعضها.

ونقدم فيما يلى عرضا تحليليا موجزا لهذه الكتب، قاصدين من وراء ذلك أن نتيح أمام الباحثين فى فكر الغزالى دليلا ثقافيا يوجههم إلى مواضع الموضوعات التى يريدون طرقها فى فكر هذا الرجل. ومنهجنا هنا أن نعرض الفكرة الأساس التى يدور عليها الكتاب، ونبين أهم الموضوعات التى يحتويها، ثم نبين أثر الكتاب فى الواقع الذى ظهر فيه، إن أمكننا ذلك..

١ - الحياة الأولى :

ديوان شعر نظمه الشيخ الغزالى فى شبابه الباكر، أيام كان طالبا فى الفرقة الرابعة الثانوية فى معهد الإسكندرية الدينى، وكانت طبعة الديوان سنة ١٣٥٤ هـ/١٩٣٦م (*). والغزالى إذ ذاك فى نحو الثامنة عشرة من عمره.

وقد «طرق الشيخ الغزالى فى ديوانه هذا، موضوعات الشعر النظيف التى أسهم بالقول فيها الشعراء من ذوى المروءة، وتعفف عن طرق الموضوعات التى لا يجمل بأصحاب المروءات الكتابة فيها، فلم يتورط الشيخ فى قول الهجاء أو المديح المغلف بالنفاق أو الغزل، وإنما طرق أبواب الحكمة والإخوانيات، والتعبير عن ذاته وسلوكه، والأخلاق بعامة ومكارم الأخلاق بخاصة، كما تناول موضوعات المتصوفة، وعرج على الموضوعات الإنسانية التى تغزو القلوب وتهذب المشاعر، كما وصف الطبيعة فى حالاتها المختلفة، فوصف الفجر والشروق والشمس والنجوم والليل والبدر، بل وصف الطبيعة الخضراء وخصها بالمناجاة العذبة والحنين الدافق. كما أفرد للوطنيات العديد من قصائده التى قليلا

(*) أعادت دار الشروق بالقاهرة طبع الديوان سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، مع تقديم مطول للدكتور مصطفى الشكعة.

ما ترقّ وكثيرا ما تلتهب، وهى ترصع كثيرا من صفحات الديوان. ثم من البديهيات قبل ذلك وبعده أن يكون للدين وشعائره نصيب وإن يكن غير وفير، وإن كان شعر مكارم الأخلاق هو الدين نفسه » (*).

٢ - الإسلام والأوضاع الاقتصادية:

هو أول كتاب فكرى نشره الغزالى، وقد كان ذلك أول مرة سنة ١٩٤٧م. وقد هدف المؤلف من وراء إخراجه إلى « إعطاء القارئ صورة صادقة عن الفكرة الذاتية للدين، والروح العامة لمبادئه، والموقف الذى قد يقفه بإزاء الأفكار الاقتصادية المختلفة » (١).

وقد حاول الغزالى فى هذا الكتاب أن يعالج الأوضاع التى كانت قائمة فى تلك الفترة فى مصر وما ميزها من فقر وإقطاع وتكديس للثروة فى أيدى محدودة وحرمان بقية أفراد الأمة منه، لذلك فإن « بعض الوقائع فى هذا الكتاب قد ارتبطت بظروفها وتاريخها .. لكن جوهرها ما زال درسا صالحا لكل زمان ومكان » (٢).

وقد كان الغزالى بهذا الكتاب « أول من ألف فى محاربة المذاهب الاقتصادية .. حاربها بالدليل القاطع الذى يثبت أن للإسلام من الفكر الاقتصادى ما يدفع إلى الثروة والنماء والتكافل الاجتماعى العام ... لقد أصدر الكتاب ليقول كلمة الحق عن الطبقات المترفة والطبقات البائسة، ورأى الإسلام فيهما. وقد اقتحم القول فى إيضاح الأسباب الاقتصادية للرذائل المنتشرة فى المجتمع الإسلامى ومردها إلى الفقر الكاسح والجهل الطاغى والمرض الموغل، متحدثا عن أوباء السرقة والزنا والبطالة، ومنتقلا إلى ما تسببه المعيشة الكريمة من ترفع وإباء، معيشة الكفاح المثمر، لا معيشة الترف العاطل المبيد .. وكان

(*) من تقديم الدكتور مصطفى الشكعة للديوان، ص: ٤٠ - ٤١.

(١) من مقدمة الطبعة الأولى للكتاب، ص: ١٧.

(٢) من خاتمة الكتاب، ص: ٢٠٩.

حديث المؤلف صريحا عن الاستعمار الداخلى المنكفئ على لذاته وأنانيته، حيث كان السبب فى الاستعمار الخارجى، ولم يلبث أن صار أداته فى البطش والقهر» [١].

٣ - الإسلام والمناهج الاشتراكية :

« هذا الكتاب صيحة تنبيه ضد ما يحيق بالإسلام من تآمر، ومن تهديد لشرف الدعاة إليه، وهو دعوة ممتلئة بالتفاؤل للعودة إلى منابع الإسلام الأصيلة. ويتضمن الكتاب تحديد موقف الإسلام من العلم والنظام السياسى، والنظام الاقتصادى، والنظام الاجتماعى، ومواقفه من المذاهب الحديثة [٢].

يروى الشيخ قصة تأليفه لهذا الكتاب والظروف التى أحاطت به أثناء تأليفه، فيقول :

« كان للقدر الذى يخط مصاير الأمور أثره الفريد فى إخراج هذا الكتاب للناس. فعندما تناولت القلم لأكتب، لم أكن أبغى إلا زيادة فصول قلائل على الطبعة الثانية من كتاب «الإسلام والأوضاع الاقتصادية». فإذا منادح النظر تتسع وآفاق الفكر تمتد، ورأيت من الوفاء بحق الفكرة التى أعمل لها أن أمشى مع الموضوع حتى يستجمع حقائقه وتستكمل عناصره.

ثم عمدت هنا إلى شئ من التفصيل والمقارنة على غير ما صنعت فى كتابى الأول، إذ كان غرضى هناك أن أرسم الخطط العامة لإنقاذ الشعوب من سوء استغلال الدين فى نهب حقوقها، ثم وجدت أن ذلك لا يغنى عن ذكر الطرق الواضحة لهذا الإنقاذ الذى أصبحت الأمة الإسلامية فى حاجة ماسة إليه. فمضيت قدما فى إتمام هذه الرسالة. وقصارى ما أرجوه أن تكون طليعة موفقة لغزو المظالم المتوطنة فى بلادنا» [٣].

---

(١) د/ محمد رجب البيومى : الشيخ محمد الغزالى رحمه الله : مجلة الأزهر، عدد : ذو القعدة ١٤١٦ هـ - أبريل ١٩٩٧م.

(٢) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى. مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٣١ .

(٣) من مقدمة المؤلف للطبعة الأولى من الكتاب، ص: ١٤ .

لقد جاء هذا الكتاب « مكملا للحلقة الأولى فى ميدان الإصلاح الاقتصادى، إذ شرح فيه المؤلف ما يراد بالتأمين الاجتماعى، وتوزيع الملكيات على السنن الصحيح، وموضع الفرد من الأمة، ومسؤولية الأمة عن الفرد .. ولقد كان صريحا حين تحدث عن الملكيات الزراعية فى مصر، وعما يجر الوبال مما يجرى بعيدا عن حكم الإسلام فى مؤسسات الربا والاحتكار والاستغلال، وشركات التأمين وحقوق العمال .. وقد فاجأ الأستاذ قراءه بذلك كله، لأن حديث الاقتصاد الإسلامى لم يكن يجرى على ألسنة الوعاظ والمرشدين قبل أن ينهض الكاتب الواعظ برسالته، إذ كان همهم الأكبر متجها إلى محاربة البدع والمنكرات من أمثال التبرج والنذور وشرب المسكرات. أما الطرق الملح على الإصلاح الاقتصادى فى ضوء الإسلام فقد بدأه الغزالى فى قومه وسار وراءه معجبون متبعون » [١].

٤ - الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين:

هذا الكتاب هو فى مجمله كشف جرئ للمظالم الاقتصادية المؤلمة التى تئن تحت وطأتها الشعوب فى البلدان الخاضعة للاستعمار الأبيض والأحمر على السواء. وقد جاءت مقالات هذا الكتاب قصيرة مختصرة، ولكنها مجمعة فى فصول عامة ... وكانت هذه الفصول قد نشرت قبل ذلك متفرقة على نحو ثلاثين عددا من إحدى المجلات الدينية خلال سنوات ١٩٤٤ - ١٩٤٧م [٢].

هذا الكتاب كان مزعجا فى حينه، « لأنه أزعج طائفتين متعارضتين كلتاهما تتمسح بالإسلام وهو منها برئ: طائفة الرأسمالية التى تعلن أن الإسلام يؤيد اكتناز الذهب والفضة والعقار، عملا بمبدأ الحرية فى الامتلاك، وهى واهمة

---

(١) د/ محمد رجب البيومى: الشيخ محمد الغزالى رحمه الله مجلة الأزهر: مرجع سابق.

(٢) انظر مقدمة الكتاب، ص: ٥ وانظر كذلك: تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى، ضمن مجلة إسلامية المعرفة، عدد خاص، ص: ٦٣٢.

مخطئة . . وطائفة الشيوعية التى تتمسح بنصوص قرآنية تفسرها على غير وجهها . فجاء هذا الكتاب الفذ ليعلن أن الإسلام ذو منهج عادل فى تحقيق التكافل الاجتماعى، ولم يبتغ إرضاء المذاهب المغرضة . وقد بسط المؤلف القول فى هذه القضية، فتحدث عن آثار الرأسمالية البارزة فى الاستغلال المادى الصارخ، فإليها يرجع ما يفشو فى الشرق الإسلامى من تأخر وانحطاط، وقد سببت الشلل العقلى لكثير من البسطاء السذج، فأصبحوا يدورون حول سادتهم كالآلة فى المصنع، لا يناقشونهم الرأى أو يقاسمونهم الربح، كما يهبط بنفوسهم إلى مستوى العبيد، وفى مبادئ الإسلام علاج لهذا الانحطاط، تهتف به أقوال القرآن ونصوص السنة ومواقف الصحابة والخلفاء . .

وقد دار فى ذهن المؤلف ما سيستغله الشيوعيون من هذه النصوص استغلالا يرضى وجهتهم الخاصة، فتحدث عن الشيوعية الملحدة الكافرة، وأظهر أن دعوى العدالة الاجتماعية لديهم لا تجد تطبيقها العادل، فكبار الشيوعيين يعيشون عيشة كبار الرأسماليين فى منازلهم، ويقولون غير ما يفعلون. كما أنها تهدم الأصول المقررة فى الإيمان بالله، واليوم الآخر، وتجعل العالم فظيعا يقترف المنكرات دون خوف من حساب ربانى . .

لقد جاء هذا الكتاب ليكشف عوار الفريقين، ويعلن أن الإسلام ذو منهج عادل منفرد . . .

وقد ترجم الكتاب إلى لغات شرقية وغربية، وقابل موافقة ومعارضة، شأنه فى ذلك شأن كل أثر فكرى جرئ» [١].

٥ - الإسلام والاستبداد السياسى :

هذا الكتاب - فى أصله - محاضرات ألقاها الغزالى على رفاقه فى معتقل الطور فى أواخر الأربعينات .

---

(١) د/ محمد رجب البيومى . مجلة الأزهر، مرجع سابق، بتصرف .

ورغم صعوبة الظروف التى أملت تأليف هذا الكتاب، إلا أن المؤلف استطاع أن يتخلص من أسرها ويمحض بحثه للحق والعلم، فجاء بحثا تطغى عليه سمة العلمية والمنهجية أكثر من طغيان آثار القهر والظلم والاعتقال.

وقد تناول فيه الغزالى مقارنة جادة بين الشورى والاستبداد، وبين آثار كل منهما على حياة الفرد والمجتمع. ثم أفرد فصلا لموقف الأديان من الاستبداد، واعتبر أن علاقة هذا الأخير بالأديان السماوية كلها هى علاقة عداء منذ الأزل، وأن موقف الدين من الاستبداد لم يتغير فى يوم من الأيام. كما تحدث أيضا عن آثار الاستبداد فى حياة المسلمين منذ فجر تاريخهم إلى يومنا هذا، وكيف أن الاستبداد كان له الأثر الأكبر فى الزج بالمسلمين إلى المتاهة الحضارية التى يعيشون فصولها المأساوية فى واقعهم المعاصر خلال هذا القرن العشرين.

٦ - من هنا نعلم :

ألف الغزالى هذا الكتاب ليرد به على كتاب صديقه الشيخ خالد محمد خالد «من هنا نبدأ»، «ليدحض الشبهات التى أثارها، ويميط اللثام عن أخطاء كبيرة وقع فيها، ويظهر الإسلام فى نقائه وصفائه .. وكم كان موفقا كل التوفيق حين كتب مبينا علاقة الدين بالدولة وأنهما وحدة لا تقبل التجزئة، وأن كل محاولة للفصل بينهما إنما هى إفساد للإسلام وعدوان عليه كعقيدة وشريعة على السواء ... وفى باب «المرأة والمجتمع» يسرد تعاليم الإسلام التى أعطت المرأة حقها كاملا وحددت لها وظيفتها الصحيحة»[1]. إلى غير ذلك من المباحث.

٧ - تأملات فى الدين والحياة :

«هو مجموعة من المقالات والخواطر والبحوث واللفتات، عالجت أمورا لا تزال تستحق المزيد من النقد والنظر. وخير ما فيها أنها عرضت الدين على الناس

---

(١) من مقدمة الأستاذ صالح عشماوى للكتاب، ص : ٨ .

نابضا بالحياة والحركة، ونشدت للحياة ضوابط الإيمان والتقى. وكتب كثيرا منها عندما كان الغزالى يحرر مجلة الإخوان المسلمين. وبعض مقالات الكتاب ظهرت فيما بعد فى شكل كتب مستقلة. ويتحدث الشيخ الغزالى فى مقدمة الكتاب عن بعض ملامح شخصيته التى تبدو للناس مختلفة عما ألفوه فى الدعاة ورجال الدين، كما يسمونهم » [1].

وقد تضمن الكتاب قطعا أدبية رائعة، تحكى هموم المستضعفين والمعوزين، كما تضمن أيضا فصولا ضافية فى السيرة النبوية الشريفة، وتأملات أخرى فى الدين والحياة..

٨ - عقيدة المسلم:

هو كتاب فى العقيدة الإسلامية، ضمنه المؤلف شرحا تفصيليا لأركان العقيدة ومبادئها، مقرونة بالدليل والبرهان. وقد سلك فى تقرير مبادئ العقيدة مسلكا تفرد به، حيث جعل هذه المبادئ أقرب إلى فهم الإنسان المعاصر. وقد أبان المؤلف عن منهجه وهدفه فى المقدمة، فقال:

« هذه بحوث فى العقيدة دفعتنى إلى كتابتها قلة الرسائل التى تُعنى بهذا اللون من علوم الدين، وتعرضه فى أسلوب يتفق مع حاجة المسلمين المعاصرين. وقد رأيت أن أسوق الأصول العلمية لعقيدة المسلم، فى نسق يخالف ما ألف الناس قراءته من هذه الأصول فى مظانها من ثقافتنا الدينية.

لا لأنى سآتى بجديد فى هذا الميدان، بل نزولا على منطقٍ التجارب، وانتفاعا بما اكتنف جوانب التاريخ الإسلامى من أحداث، وتوخيا للسير فى هدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة » [2].

لقد لمس المؤلف « تصورا شنيعا فى توضيح عقيدة المسلم، حيث اقتصر

---

(١) تعريف موجز بمؤلفات الشيخ محمد الغزالى، مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٣٢.

(٢) عقيدة المسلم، ص: ٥.

عرض هذه العقيدة على ما جاء فى كتب علم الكلام .. وهذه الكتب فى تراثها الماضى لم تعد تؤدى رسالتها فى إحياء العقيدة وإذكائها فى نفس المسلم على وضع يجعلها تترقرق دما فى عروقه، لأن هذه الكتب تعرضت لآفات كثيرة ... لذلك شاء المؤلف أن يضع ما يعرف بعلم التوحيد وضعا جديدا، يقنع العقل ويرضى العاطفة معا، يأخذ أدلته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم من المشاهد المحسوس فى ملكوت السماوات والأرض، فبدأ كتابه بحديث مقنع عن أدلة وجود الله عز وجل .. ثم بأسلوب نير جميل، تحدث عن العالم وهل خلق صدفة؟ وعن صفات الخالق جل وعلا، وعن الوحدة المطلقة، وعن القضاء والقدر، والجبر والاختيار، وقيمة العمل ومنزلته من الإيمان، وعن الخطيئة والمتاب، وعن النبوة والوحى والعصمة والمعجزة، وعن الحياة الأخرى فيما وراء الحياة الدنيا وعن البعث والجزاء» [1].

٩ - خلق المسلم:

سلك المؤلف فى هذا الكتاب مسلكه فى سابقه، حيث حرص على بيان مبادئ الأخلاق الإسلامية وصورها السلوكية وآثارها فى حياة الإنسان المسلم والمجتمع الإسلامى، فى ضوء النقول من الكتاب والسنة.

وقد امتاز عرض الأخلاق فى هذا الكتاب بأسلوب سلس رائق مشوق، يجعل القارئ ينساق مع المباحث إلى نهايتها، ويحمله على الشعور بضرورة العمل على التحلى بتلك الأخلاق والخضوع لمطالبها.

«لقد درس الأستاذ الغزالى كتب الأخلاق فى مظانها المختلفة، وألمَّ بما ذكره الفلاسفة والعلماء عن الخير والشر من لدن أفلاطون، ولا بد لمن يكتب كتابا فى الأخلاق أن يدرس هذه الدراسة المستوعبة، غير أن المؤلف لا يفاجئك بآراء الأخلاقيين، ولا يصدمك بالمصطلحات العلمية، وكلها منطقى جاف، ولا

---

(١) د/ محمد رجب البيومى: الشيخ محمد الغزالى رحمه الله. مجلة الأزهر، المرجع السابق بتصرف.

يحشد لك النقول الضافية، لأن مطالعات الغزالى قد تفاعلت واختمرت، حتى أصبحت أفكارا هادئة مرتبطة بالتوجيه الإسلامى للأخلاق، فهو فى تحليله الهادئ يبرز ثمار معارفه وقد تمثلت فى نفسه، فكادت تكون مادة أخرى بعد أن صهرت فى بوتقة الذاتية، دون أن يفقد القارئ الحصيف بذور آرائه ومقدماته الأصيلة ..

وكتاب « خلق المسلم » يؤدى رسالة دائمة لا تتقيد بزمان أو مكان، فهو دستور المسلم أنى وجد وحيث كان، وهو بهذا الوضع لا يغفل حاجات عصره وأخطاء زمانه، بل ويتخذ منه أمثلة يكشف بها القناع عما يريد، فهو حين يتحدث عن الصدق يوضح ما تجره الصحافة الكاذبة من نكبات، إذ يتسع ضررها ويمتد حتى تشمل الكذْبة الواحدة آلاف القراء، ثم يتكلم عن الانتخاب البرلمانى فيرى فى تزكية غيرْ الكفء كذبا وزورا أى زور ... ثم حين يتكلم عن الوفاء بالعهد يعلن أن الشروط المكتوبة لا حرمة لها إذا تعارضت مع الدين. وحين يتحدث عن القصد والعفاف ينعى على الشباب ما فتن به من الأناقة والطراوة والولوع بالمظهر واللباس، حتى صار الواحد منهم معرضا للأزياء .. وهكذا يطارد الكاتب أوبئة العصر فى علاج شامل لما يتعاقب من الأجيال، لأن الداء ممتد مستطيل » [١].

١٠ - التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : دحض شبهات ورد مفتريات :

ألف الشيخ هذا الكتاب « ردا على كتاب أصدره أحد النصارى الأقباط، افترى فيه على الإسلام، واجترأ على حماه، لم يشأ أن يذكر اسم الكتاب ولا اسم مؤلفه، حتى يموت فى مهده، كل ما ذكر عن المؤلف أنه صاحب منصب مرموق فى الدولة.

---

(١) د/ محمد رجب البيومى : الشيخ محمد الغزالى رحمه الله. مجلة الأزهر، المرجع السابق بتصرف.

وقد كلفه الأستاذ حسن الهضيبى - مرشد الإخوان حينئذ - أن يتولى الرد على الكتاب بالعلم والحجة، بلا سب ولا تجريح » [١].

والقارئ المنصف يجد « فصول هذا الكتاب قوية منصفة، فقد تحدثت عن الإسلام بين العصبية والتعصب، وعن المسلمين وأهل الذمة، وعن مسلك عمر الفاروق فى معاملة أهل الكتاب، وعن الفتح الإسلامى فى العصر الأول، وعن أسلوب التوسع والمعاملة فى تاريخ الديانتين، ووقف وقفات متأنية فى الحديث عن دخول المسيحية فى مصر وكيف دخلها الإسلام، مسجلا موقف الصليبيين من نصارى الشرق، وموقف الأقباط من الاحتلال الفرنسى » [٢].

١١ - فقه السيرة :

« ألفه الشيخ فى رحاب المسجد النبوى، وفى ظلال الروضة الشريفة، حين كان مديرا للتكية المصرية بالمدينة المنورة. وهو كتاب يتجلى فيه قلم الأديب، وفكر العالم، وروح الداعية، وعاطفة المحب للرسول ﷺ. حتى ذكر أنه كثيرا ما كان يكتب ودموعه تنهمر على الورق الذى يكتب فيه، فيختلط الدمع بالمداد »[٣].

« لقد صدر الكتاب فى منتصف العقد الخمسينى، وربما قبله بقليل، يوم لم تكن مكتبة « السيرة » قد تلقت - بعد - سوى عدد محدود من الأعمال المعاصرة، مؤلفة بأيدى رجال كانت عقول معظمهم نصفها مع هذا الدين ونصفها الآخر مع خصومه وأعدائه.

تقدم الغزالى فى ذلك الوقت المبكر، لكى يملأ الفراغ، ويلبى حاجة القارئ المسلم إلى مؤلَّف فى السيرة لم تكن تعوزه سوى بعض المطالب المنهجية لكى يكون واحدا من أحسن ما كتب - فى هذا المجال - من دراسات.

---

(١) د/ يوسف القرضاوى : الشيخ الغزالى كما عرفته، ص : ١٩.

(٢) د/ محمد رجب البيومى : الشيخ محمد الغزالى رحمه الله. مجلة الأزهر، المرجع السابق بتصرف.

(٣) د/ يوسف القرضاوى : الشيخ الغزالى كما عرفته، ص : ١٩.

أما على مستوى «الموضوع» فلقد قال الغزالى كل شئ مهم على وجه التقريب، ولم يكد يترك أيما مساحة قد تكون مجالا لباحث أو مستزيد فى نطاق الدراسات العامة – وليست التخصصية – لسيرة رسول الله ﷺ بطبيعة الحال.

ولقد انتشر الكتاب سنة صدوره، وطيلة السنوات التالية انتشارا ملحوظا، فلم تبق مكتبة خاصة أو عامة لم يدخلها، ولم يجد أى بيت يقطنه مثقف مسلم بدا من اقتناء الكتاب» [١].

١٢ - فى موكب الدعوة:

فى هذا الكتاب جمع الشيخ عددا من مقالاته التى كتبها – أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات – يدافع بها عن الإسلام والدعوة الإسلامية، ويكافح بها خصومها الذين تظاهروا عليها وأرادوا أن يلحقوا بالإسلام والمسلمين الأذى والهوان.

يقول الشيخ فى مقدمة الكتاب:

«هذه مقالات كتبتها أستثير بها مشاعر، واستنهض همما، واستصلح أوضاعا. ولم أكتبها لأعبر عن مذهب خاص بى فى الحياة، وإنما كتبتها لأبرز رأى الإسلام فيما اعترضه من شؤون شتى...

فى هذا الكتاب مقالات أحارب بها الوهن، الوهن الذى أطمع الأعداء فى استذلالنا، وجرأ الحالية والعاطلة أن تلطمنا. وقد كتبتها أشعل بها الحماس ضد المستعمرين المعسكرين على ضفاف القناة عندنا، أو المغيرين على تراث الإسلام فى كل مكان، وأغرى الأمة أن توصل كفاحها الواجب حتى يخرجوا» [٢].

١٣ - ظلام من الغرب:

مواجهة سافرة ومكشوفة يفتحها المؤلف على المستغربين الذين يعيشون

---

(١) د/ عماد الدين خليل: الشيخ محمد الغزالى والسيرة النبوية. ضمن كتاب: الشيخ محمد الغزالى .. صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره، ص: ٥٩.

(٢) فى موكب الدعوة، ص: ٨-٩، بتصرف.

بأجسادهم فى الشرق، ولكن عقولهم وأفكارهم فى الغرب، منه تنطلق وإليه تؤوب فيما يصدر عنها من مواقف أو فيما تعبر عنه من آراء وأفكار.

والغزالى إذ يفتح هذه المواجهة لا يديرها مع ممثلى هذه الأفكار، وإنما يديرها مع الأفكار نفسها، إذ يحللها ويبين تهافتها، ثم يطرح بديلا عنها القيم والأفكار الصحيحة التى تصدر من منبع الإسلام الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه.

فالكتاب إذن «عرض واع وأصيل للبدع المستوردة من الغرب، والتى هام بها العرب والمسلمين حتى كادت تقضى على عروبتهم وإسلامهم، ولكل منها أثره على أخلاقيات المسلم وسلوكه وروحه المعنوية وذاته الداخلية .. أثره السئ الذى يوشك أن يعصف بالمسلم، فيحيله إلى مسخ، لا هو غربى ناجح فى شئون الدنيا وإن فشل فى عالم العقائد والمثاليات، ولا هو مسلم عارف بمصادر القوة والتقدم فى دينه وفى مثله العليا من الرجال والمبادئ .. مسخ عجيب لا يندرج تحت عنوان من عناوين العمل الجاد، أو المذهب المستقيم»[1].

١٤ - جدد حياتك:

هذا الكتاب طراز فريد من المؤلفات التى أبدعها فكر الإمام الغزالى، ويمكن أن ندخله فى دائرة المؤلفات التى تعنى بأدب النفس والتربية الذاتية. وقد قام الغزالى فى هذا الكتاب بالاستفادة من الأفكار النيرة الرائعة التى أودعها «ديل كارنيجى» كتابه «دع القلق وابدأ الحياة»، حيث أعاد صياغة هذه الأفكار والتجارب الإنسانية بأسلوب جديد وكساها بحلة إسلامية قشيبة عمادها نصوص الكتاب والسنة.

فى هذا الكتاب نصائح رائعة وتوجيهات قيمة من شأنها، إذا التزم بها الإنسان، أن توجه سلوكه فى الحياة وتحكم علاقاته مع نفسه ومع الناس من حوله

---

(١) من كلمة الناشر فى الوجه الأخير من غلاف الكتاب.

ومع الحياة كلها. فهى توجيهات تسعى إلى بناء الإنسان بناء متكاملا، نفسيا وروحيا واجتماعيا.

١٥ - ليس من الإسلام:

يتضمن هذا الكتاب أبحاثا فقهية، جرت العادة على دراستها فى معاهد متخصصة بعيدا عن القارئ العادى. وقد رأى المؤلف أن يضفى عليها الطابع العام وأن ينزل بها إلى جماهير القراء، وأن يحررها - جهد الطاقة - من الاصطلاحات الفنية.

وقد أراد المؤلف بتأليف هذا الكتاب، أن ينبه إلى إضافات غريبة دخلت الشريعة وليست منها، وهى ما يسمى بالبدع والمحدثات.

وقد اقتضى تبسيط هذه الأفكار، أن يعالج المؤلف بحوثا تمهيدية رسم فيها خطوطا عامة لجوهر الإسلام وتوجيهاته الصائبة فى نواحى العقائد والعبادات والعادات. ثم بعد ذلك نفذ من هذه البحوث إلى بيان البدع والمحدثات التى دخلت رحاب الفكر الإسلامى فى ميادينه المختلفة.

١٦ - من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث:

ينطلق الغزالى فى كتابه هذا من فكرة مفادها أن ما أصاب المسلمين فى هذا العصر وفى العصور التى سبقته، لا يُسأل عنه أعداؤه قدر ما يُسأل عنه أبناؤه.

بناء على ذلك، يتجه الغزالى - فى هذا الكتاب - بالنقد الشديد إلى الأخطاء التى انتشرت بين صفوف العاملين للإسلام، مستهدفا تنقية الصف الإسلامى من المندسين الذين أضروا بالدعوة الإسلامية أشد الضرر بما أثاروه من دسائس وفتن مزقت الصف الإسلامى وشتتته أسوء تشتيت. ومستهدفا كذلك مكافحة التدين المغشوش الذى تمكن من نفوس بعض العاملين للإسلام، وجعلهم يقدمون مصالحهم الشخصية على مصالح الدعوة الإسلامية.

يقول الغزالى فى مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب:

«لا أزال على موقفى من كشف الأخطاء التى انتشرت بين صفوف العاملين لهذا الدين، لا لشئ إلا لدعم قوى الحق، وتمهيد طريق النصر..

وها أنذا أعيد نشر هذا الكتاب ... وليس فى نفسى إلا رغبة واحدة؛ أن ينتفع القراء بما فيه من بحوث علمية مجردة، وأن يستوعبوا تجارب رجل له ملاحظاته التى يعتقد صدقها فيما أصاب الإسلام من هزيمة ونصر، وفيما أصاب أهله من خير وشر ...

لقد مضى على صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ثلث قرن، ومع ذلك لم تفقد فصوله جدتها ولا انتهت العبرة من مطالعتها .. بل ما زالت الأخطاء تتكرر فى الجبهة التى ينبغى أن تكون أسرع من غيرها إلى الوعى والاعتبار»[1].

١٧ - كيف نفهم الإسلام؟

تنتشر بين المسلمين أفهام سيئة وتصورات مغلوطة عن عدد من المفاهيم الإسلامية التى جاء بها القرآن والسنة. وحتى ينفى الغزالى الزيف والخطأ الواقع فى هذه الأفهام، قام بتأليف هذه الكتاب. يقول فى مقدمته:

«أحصينا فى هذا الكتاب جملة من المزالق التى عرضت للحياة الإسلامية، وحاكمناها للدين الحق المحفوظ فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وسرنا فى أعقاب الأئمة المصلحين نعرف المعروف وننكر المنكر ونجهد فى نفى الزيف الكثير الذى راج للأسف بين الخادعين والمخدوعين ممن لم يفهموا الإسلام، ولم يحسنوا تعلمه ولا تعليمه ولا الدعوة إليه[2].

وتركيز الغزالى فى هذا الكتاب لم يقع على جزئيات المفاهيم، وإنما صرف جهده إلى المفاهيم الكبرى التى لها تأثيرها على القطاع العريض من الأمة، - حيث حرص على أن ينفى عن الإسلام تحريف الغالين وأوهام الجافين عنه، وأن يعرضه - كما أوحته العناية العليا - نقيا مصفى.

---

(١) من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث، ص: ٤ - ٥.

(٢) كيف نفهم الإسلام، ص ١٢.

١٨ - الاستعمار أحقاد وأطماع :

«يتحدث الكتاب عن أكبر أعداء الإسلام وأشدهم خصومة، ويصف مآسيه، يورد أحداثا مخزية عن أفاعيل الاستعمار، ثم يبحث في الإسلام والسلام، ليعرف الناس أي عدل مضاعف كان لدينا، وأي حيف مضاعف وقع علينا. ويعرض لحركة الارتداد الخلقي والثقافي والتشريعي التي أحدثها الغزو الثقافي في بلادنا لحساب الصليبية الغازية . . فالاستعمار أحقاد دينية وأطماع دنيوية . . ولم تعرف الدنيا أناسا أوتوا المقدرة على إخفاء أحط النيات وراء معسول الكلمات، كما عرفت ذلك في تجار الاستعمار الحديث.

ويؤكد الغزالي أن مستقبل أمتنا لن يضئ إلا إذا نجا من حقد الحاقدين وطمع الطامعين» [١].

١٩ - نظرات في القرآن :

وهو الكتاب الذي انصب اهتمام المؤلف فيه على الحديث عن القرآن والقضايا المتصلة به، وقد قدم فيه جملة من الأبحاث التي تنضوي في إطار الاتجاه الموضوعي في التفسير، وذلك مثل «الإنسان في القرآن»، «الحياة العامة في القرآن»، «الثروة في القرآن»، «الألوهية في القرآن»، «النبوات في القرآن»، «الجزاء في القرآن»، «فساد الأمم كما يصوره القرآن». كما عالج إلى جانبها موضوعات أخرى من علم القرآن، مثل نزول القرآن وجمعه، والقصص القرآني، والإعجاز، وقضية النسخ، وغيرها.

إلا أن هناك شيئا مهما ينبغي إبرازه هنا، وهو أن الغزالي حين ألف هذا الكتاب صرح بأنه يعتبره مقدمة لتفسير كامل للقرآن الكريم، وذلك حين قال في الخاتمة :

«لما كتبت هذه النظرات رجوت أن تكون مقدمة بين يدي تفسير حسن

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالي : مجلة إسلامية المعرفة، ص : ٢٣٦ .

للقرآن الكريم؛ تفسير يلائم طريقة عصرنا فى الفهم والاستنباط، ويترجم عن روح القرآن نفسه، ويخلو قدر الطاقة من وجوه الإعراب وفنون البلاغة وجدل أهل الكلام والفلاسفة » [١].

فى هذا الكتاب - أيضا - اهتم الغزالى بإبراز علاقة المسلمين المعاصرين بالقرآن، ورأى أنها علاقة واهية، وعلى الأصح منقطعة، فهو بتعاليمه وهدايته فى واد، وهم بسلوكاتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بالأمم الأخرى فى واد آخر بعيد.

وذلك ما سجله فى مقدمة الكتاب، إذ يقول:

« إن كثيرا من المسلمين جعلوا القرآن على هامش حياتهم، وتركوا حفظه ودرسه للمنقطعين والمصابين.

وهم بهذا المسلك يخونون الله ورسوله، ويخونون أنفسهم.

وإبعاد القرآن عن الحياة العامة ليكون نغما للمرتزقة بأصواتهم، أو شارة للفاشلين فى دنياهم، نذير شؤم يتهددنا بأوخم العواقب » [٢].

ثم اعاد تسجيل الموقف ذاته فى الخاتمة، فقال:

« ولا أدع القلم حتى ألوم أمتنا على موقفها المريب من كلام الله جل شأنه. إن القرآن أصبح كتابا مظلوما..

أقفرت مواطنه من الحياة والنظارة، والتف حوله آخر الناس صلة به.

ونحن نفقد رشدنا حين نتفقد هذا الكتاب فى ضمائرنا وعقولنا فلا نجده »[٣].

لذلك، دعا إلى إعادة النظر فى سياسة تدريس القرآن الكريم وتحفيظه، بما يجعل الأجيال الإسلامية الناشئة تستفيد منه وتسترشد فى حياتها بهداياته:

---

(١) نظرات فى القرآن، ص: ٢٧١.

(٢) المرجع نفسه ص: ٨.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٢٧١ - ٢٧٢.

«إن سياسة تحفيظ القرآن بحاجة ماسة إلى مراجعة، كيما تحقق الغاية النبيلة منها.

فنحن نريد بقاء التواتر الذى وصل به هذا القرآن إلينا، حتى يصل كذلك إلى الأجيال التى تخلفنا.

ولكننا نريد كذلك ألا تلتف حول هذا القرآن هذه الجماهير المتآكلة به، النازلة عن خُلُقه، المنحرفة عن طريقه، التى تستوعب أحرفه تجويدا وترتيلا، ولا تعى من وصاياه شيئا يرفع رأسها أو يزكى نفسها...!!

إننا نريد إشاعة الثقافة الإسلامية المنبعثة من هذا الكتاب العزيز، وتفقيه العامة والخاصة فى روحه وشرائعه ومقاصده وآدابه، ونريد أن تعرف الأمة المنزلة السامية للوحى الإلهى الذى اختصت به، والواجب الكبير الذى يفرضه عليها»(1).

٢٠ - مع الله .. دراسات فى الدعوة والدعاة:

هذا الكتاب دراسة لنظرية الدعوة الإسلامية، وبيان لمفهومها ووجه الحاجة إليها، ونقد لموقف المسلمين من هذه الدعوة وتفريطهم فى حقها. كما يؤكد الكتاب أن الدعوة وظيفة الرسل والأنبياء، ولذلك يهتم بعرض السنن العامة التى حكمت دعوات الرسل إلى الدين عبر التاريخ، حتى يعتبر بها الدعاة ويقتفوا أثر الأنبياء فيها.

ويبرز الكتاب جزءا من تاريخ انتشار الدعوة الإسلامية، ويدحض فى هذا الصدد افتراءات المستشرقين وأباطيلهم. ثم يمضى المؤلف إلى استعراض صفات الداعية وما ينبغى أن يتحلى به من أخلاق. كما يستعرض أيضا وسائل الدعوة التى ينبغى أن يتسلح بها الدعاة إلى الله عز وجل .. وفى الأخير يوجه الغزالى إلى ميادين الدعوة فى عصرنا والجبهات التى ينبغى على الدعاة أن يرابطوا عليها دون غيرها.

---

(١) المرجع نفسه ص: ٥ - ٦

إن هذا الكتاب - كما وصفه مؤلفه - «مع الله على نحو آخر، نحو يدرج مع الإنسان فى واقعه المشحون بالحركة، ويلتصق به فى دنياه الطافحة بالنزاع. وهو يحرس الإيمان فى تلك الميادين العملية، ويتابع خطوه هنا وهناك ليطمئن على سلامة الوجهة واستواء الطريق» [١].

٢١ - معركة المصحف فى العالم الإسلامى:

«هذا الكتاب هو جهد رديف للجهود المبذولة للدفاع عن المصحف المهاجَم وأمته المعناة فى أنحاء الأرض، إنه كتاب لا يخص قطرا إسلاميا بعينه، بل إنه يتناول حاضر ومستقبل أمة عاث الاستعمار السياسى والثقافى فى أرجائها فسادا.

يرى المؤلف أن المسلمين يعتقدون أن ما بين دفتى المصحف هو مراد الله من عباده، وأنه يمثل قواعد الدين الواحد الذى جاء به جميع المرسلين، وهو الوحى الذى سيصحب الإنسانية حتى النهاية، وأن المصحف صورة تامة للحق فى العقيدة والعبادة والخلق والمعاملة تكفل للأمم معاشها هنا ومعادها هناك. ومقالات هذا الكتاب استهدفت مناهضة الاحتلال الأجنبى بجميع أشكاله عن طريق ثورة الشعوب وخلق الأمل فى النجاح وتأسيس الحياة الاجتماعية والسياسية على أصول الإسلام» [٢].

٢٢ - كفاح دين:

«أظهر المؤلف فى الكتاب ما يقع للإسلام وأهله من أذى، حيث تنجح سياسة الاستعمار فى إقامة حكومات موالية لها. وتتبع آثار الاستعمار فى البلاد التى أكره على الرحيل منها، وكيف أنه طوى بساطه من بعض الأراضى وبقى ممدود الرواق فى نفوس لا تزال يحتلها ويلقى خيامه فيها، وذكر أمثلة عديدة على ذلك ونماذج متنوعة.

---

(١) من مقدمة المؤلف للكتاب، ص: ٣ - ٤ .

(٢) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى ضمن العطاء الفكرى للغزالى، المرجع السابق ص: ٢٤٠ .

تحدث المؤلف فى مقدمة الكتاب عن شعوره بأن الأمة قد وصلت إلى مرحلة عظيمة نحو التخلص من الاستعمار، وأن يقظة العروبة وآمالها وحقوقها أصبحت حركة ناجحة، وناقش الجوانب الإسلامية فى مفهوم القومية العربية »[1].

ويعرف الشيخ بكتابه وهدفه، فيقول :

« هذا الكتاب للبناء، لا للهدم، وللوحدة لا للتفرقة.

لقد أظهرت فيه ما يقع للإسلام وأهله من أذى، حيث تنجح سياسة الاستعمار فى إقامة حكومات موالية لها.

وسيرى القارئ من فضائح الغل الدينى ما يجعله يوقن بضرورة إنهاء المآسى التى خلفها هذا الاستعمار اللعين » [2].

٢٣ - الإسلام والطاقات المعطلة :

يحتوى هذا الكتاب على دراسات جادة وقيمة، أدارها الغزالى حول المقارنة بين الأهداف الخالدة التى يسعى ديننا الحنيف إلى تحقيقها وبناء حياة الإنسان عليها من جهة، وبين الواقع المؤسف الذى يعيشه المسلمون ويعانون من مصاعبه ومساوئه فى مختلف مجالات حياتهم كلها.

يقول فى مقدمة الكتاب :

« فى هذا الكتاب مقارنة بين : طبيعة دين، وواقع أمة . . .

اعتمدت فى شرحها على المعروف من مبادئ الإسلام، والمألوف من حياة المنتمين إليه.

وسوف يلمس القارئ بعد الشقة بين ما يجب أن يكون، وبين ما كان بالفعل.

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى، مجلة إسلامية المعرفة، ص : ٢٣٧ .
(٢) من مقدمة الكتاب، ص : ١٣ .

وسيرى أسباب هذا التفاوت - كما تكشفت لى - من خلال مدارسة التاريخ واستنباء أطواره » [1].

٢٤ - حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة:

« يتناول هذا الكتاب الذى كتب فى الستينات، مبادئ حقوق الإنسلان: الحرية، المساواة، العدالة، الكرامة. ويبين أن الإسلام دعا الناس - كل الناس - للحياة الكريمة دون تمييز بين جنس أو لون أو مال أو جاه، فقد سوى الإسلام بين العربى وغير العربى، حاكما أو محكوما.

وبين الكتاب أن الدول الكبرى لا تلتزم حقوق الإنسان كمكيال ثابت، لكن الإسلام التزم جانب العدالة المطلقة يوم دانت له الأرض، وأن آخر ما وصلت إليه الإنسانية من قواعد وضمانات لكرامة الجنس البشرى، كان من أبجديات الإسلام، وأن إعلان حقوق الإنسان هو ترديد عادى للوصايا النبيلة التى تعلمناها من رسول الإنسانية محمد ﷺ » [2].

٢٥ - هذا ديننا :

هذا الكتاب عرض موجز للنظام الإسلامى فى جملته .. عرض يستهدف أن يجمع « تعاليم الإسلام، ويضم حقائقه كلها، ويخلو من المصطلحات البعيدة عن الأذهان، ويوائم أسلوب العصر فى العرض والإقناع » [3].

وقد جاء الكتاب بالفعل « مرآة ناصعة للدين الإسلامى الحنيف بأسلوب الداعية الواعى، والحافظ الذكى، والحارس اليقظ، والمحامى الألمعى، الذى يحفظ القضية عن ظهر قلب، ويلم بجميع جوانبها وحواشيها، ويقدمها بإيضاح غير ممل، وإيجاز غير مخل. وهو معتمد فى كل ذلك على دستور السماء الذى لا

---

(١) الإسلام والطاقات المعطلة، ص: ٣ .

(٢) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى: مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٣٨

(٣) من مقدمة الكتاب، ص: ٩ .

تبلى جدته، ونبوة النبى القائد الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى، ثم على ما تركه الأئمة الأعلام من تراث سخى لا ينضب مدى الدهر.

الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة، هى: العقائد، العبادات، الشريعة الإسلامية.

وكل قسم ينقسم إلى أبواب مفصلة حسب برنامج مخطط، حيث استطاع فيه أن يلم بجميع أطراف القضية، وأن يقدمها لراغبى المعرفة مفصلة واضحة خالية من الثغرات والشوائب، نقية من الملابسات والمداخل» (١).

٢٦ - الخديعة .. حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربى:

هذا الكتاب «كان فى الأصل محاضرات ألقاها الغزالى على طلاب كلية الشريعة بالأزهر، إبان الحقبة الناصرية، حيث كلف بتدريس موضوع القومية العربية. وقد كان الشيخ محمد المدنى، عميد الكلية حينذاك، من الحصافة بمكان، إذ لم يشأ أن يجادل فى تسمية المقرر، طالما ائتمن على تدريسه الشيخ الغزالى الذى كان مرجوا عنده أن يعطى للمقرر المحتوى الإسلامى. وقد تمكن الغزالى فعلا من أن يمرر أفكاره الإسلامية النقدية فى موضوع القومية، وأن يعطى تصوره الخاص للموضوع.

وفى هذا المنحى، فقد ابتدر الغزالى مناقشته بتحليل أشد التصورات القومية تطرفا واستبعادا للإسلام، وهى التصورات العرقية واللغوية لساطع الحصرى ... وميشيل عفلق ... وعبد الرحمن البزاز ... والمركسى لطفى الخولى» (٢).

وقد أعطى الغزالى للعروبة - فى هذا الكتاب - مفهومها الصحيح، ورأى

---

(١) من تقديم الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى للكتاب، ص: ٧-٨.

(٢) د/ محمد وقيع الله: ملامح الفكر السياسى للشيخ الغزالى. ضمن مجلة إسلامية، ص: ١٢٥ - ١٢٧.

أنها ليست دينا، ولا رسالة لها سوى رسالة الإسلام. وفى تصوره لها أعطاها مقومين اثنين لا غير، هما: وحدة العقيدة، ثم وحدة اللغة، ولا ضير بعد ذلك أن تتعدد الأعراق، أو تتباين الأقاليم.

٢٧ - الجانب العاطفى من الإسلام:

يتضمن «إبرازا لهذا الجانب المهم، الذى صد عنه بعض الناس، نظرا لما شابه من بعض الشركيات فى العقيدة، والبدع فى العبادة، والسلبية فى التربية، والإهمال لسنن الله فى الكون والحياة.

وهذا الكتاب مصنف فى التصوف، مكتوب بلغة سلفية معاصرة، وقد شرح فيه معانى الإسلام والإيمان والإحسان فى ضوء القرآن والسنة، بعيدا عن جدل المتكلمين وشطحات المتصوفين. كما بين عناصر الكمال النفسى «الروحى» التى يريدها الإسلام من المسلم. وفى هذا الباب ألقى الضوء على كلمات من «حِكَم» ابن عطاء الله السكندرى الشهيرة، كساها بها معانى حية، وألبسها لبوس العصر، دون أن يتقيد بكلام الشراح، الذين قد يختلط فى شروحهم الحق بالباطل» (١).

٢٨ - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين:

«الكتاب مناقشة حرة للمستشرق المجرى «جولد تسيهر» فى كتابه «العقيدة والشريعة فى الإسلام» الممتلئ بالأحقاد والضغائن ضد الإسلام. وهذا المستشرق مكث بضع عشرة سنة يقرأ ويتعمق ويحيط بمفاهيم الإسلام حتى أخرج كتابه المذكور. رقد افترى هذا المستشرق، باسم التحقيق التاريخى، على الإسلام، افتراء لا حد له، وأحصى عشرات الشبهات ونظمها فى سلك واحد باسم التطور العقدى والتشريعى..

وقد كشف الغزالى أن كتاب هذا المستشرق من شر ما كتب عن الإسلام

---

(١) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص: ٩٨.

وأسوأ ما وجه إليه من طعنات. وقد كان رد الغزالى على هذا الكتاب مناسبة لاستيفاء الحقائق العلمية والتاريخية التى زخر بها تراث أمتنا» [١].

٢٩ - ركائز الإيمان بين العقل والقلب :

هذا الكتاب دراسة للجانب الروحي من نظام الإسلام .. دراسة حديثة بأسلوب جديد مبتكر، تقوم أساسا على نقد الثقافة الإسلامية التقليدية فى هذا المجال، والتى تعج بالخرافات والأساطير والأفكار الأجنبية التى دخلت إلى الفكر الإسلامى وأضرت به إضرارا بالغا .. كما تقوم هذه الدراسات بعد ذلك على بيان هدى الدين الصحيح فى هذا المجال الخطير من مجالات الفكر الإسلامى.

يقول الغزالى، مبينا أهدافه من تأليف هذا الكتاب:

«لقد قمت بوضع هذا الكتاب للناس، مستهدفا أمرين:

١ - إنارة العقل والضمير بأشعة الوحى، ومعالم النبوة، متحريا الحق جهدى، ومتلقفا الحكمة حيثما وجدت، وماحيا الشبه فى صمت ما استطعت.

٢ - تبديد الغيوم التى تراكمت خلال قرون الضعف فى تاريخنا وتوقيف القراء على خبيئها حتى لا يضطربوا إذا عرضت لهم يوما..

وقد سبق أن قمت بقريب من هذا الجهد فى كتابى «الجانب العاطفى من الإسلام»، وإن كان البحث هنا أطول نفسا، وأوسع رقعة ..» [٢].

٣٠ - حصاد الغرور:

يرصد هذا الكتاب «أحوال الأمة قبل الهزيمة أمام اليهود سنة ١٩٦٧م وبعدها، ويبين مدى قربها أو بعدها عن دينها، ومدى قوة التيارات الأجنبية على التطويح بها. كما رد على التوجيهات الزائفة والتعليقات المنحرفة التى أرادت تبرير الهزيمة.

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى. مجلة إسلامية المعرفة ص: ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) من مقدمة الكتاب، ص: ١١ .

ويؤكد المؤلف أن الصراع بيننا وبين بنى إسرائيل سوف يمتد سنين عددا، فإذا أحببنا أن نذوق حلاوة النصر، فالطريق إليه بينة. أما إذا كررنا أنفسنا وأبقينا على طرائقنا القديمة، فلن نحصد إلا ثمرات الغرور.

ويظهر المؤلف قلقه وخشيته على الإسلام نتيجة موقف العرب منه، فهم يريدون أن يدخلوا فى معركة دينية بغير دين. ومع أن مطارق الهزيمة التى وقعت على أم رأسهم كانت كفيلة بإزالة هذا الوهم، إلا أن عملاء الشيطان يستميتون فى مكافحة هذه اليقظة والحيلولة دون اعتناق العرب للإسلام كلا لا يتجزأ »[1].

٣١ - الإسلام فى وجه الزحف الأحمر:

فى هذا الكتاب يتولى الغزالى «الكشف عن زيف الشيوعية، هذا الفكر الدخيل على أمتنا الإسلامية، ويستعرض النظرية الشيوعية وأهدافها ومراميها، فى الحرية، نظام الأسرة، والدين .. ويروى ما تعرض له الإسلام والمسلمون فى القوقاز، التركستان، وغيرها من البلدان الإسلامية، ويفضح الأساليب البراقة التى تستهوى المخدوعين بهذا الفكر الدخيل، والتى جعلته أرضا خصبة لبذور الانحلال والضياع والضلال والكفر والفسوق.

وبعد استعراض الداء، يصف الدواء لهذه العلل والأمراض، مستمدا وصفاته من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومن صفحات التاريخ الإسلامى المشرقة المجيدة »[2].

٣٢ - قذائف الحق:

تناول المؤلف فى هذا الكتاب «قضية العقيدة ومفهومها فى التصور الإسلامى، والدلائل الواضحة فى الكائنات على الوحدانية، وعجز العقل البشرى عن الإحاطة بدقائق صنع الله فى هذا الكون، وحاجة البشرية إلى هداية الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد. وقد

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى. مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٤٠.

(٢) من كلمة الناشر على واجهة الغلاف الأخير من الكتاب.

فند المؤلف الفاضل تلك المزاعم الباطلة التى أوردتها الكتب المحرفة التى تنتسب إلى السماء وهى منها براء.

فالكتب السماوية يظاهر بعضها بعضا والأنبياء والرسل يؤيد اللاحق منهم السابق ويصدقه ويكمل ما بدأ، فكان الإسلام خاتم الأديان، وكان القرآن خاتم الكتب وكان محمد خاتم الأنبياء والرسل.

وقد نسف المؤلف أباطيل هذه الكتب، وأتى على بنيانها من القواعد وتهافتت كل الخرافات المدسوسة فيها وانكشف زيفها وبان عوارها، ولم يبق أمام شعاع الحق إلا دين الإسلام الحنيف.

كما تناولت المؤلف الكريم بعض الأساليب الوحشية التى يمارسها الطغاة مع الدعاة إلى الله لصرفهم عن دعوتهم، وهى تفوق فى شراستها كل ما فعله الفراعنة السابقون وأزاح الستار عن بعض الوثائق الخطيرة التى أبدعها خصوم الإسلام لاستئصال الإسلام ودعاته بكل وسائل الفجور والطغيان والجبروت.

كما عالج المفاهيم الخاطئة التى تريد أن تجعل من القومية بديلا عن الإسلام ورد هذه الدعوات إلى أصولها وكشف من وراءها، وأبان عن هوياتهم الحقيقية وانتماءاتهم وولاءاتهم.

وختم المؤلف كتابه القيم فى تفنيد بعض الشبهات التى أثارها أعداء الإسلام وخصومه، وبشر بأن المستقبل لهذا الدين وأن كل السهام الموجهة إلى صدره سترتد إلى نحور من أطلقها، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» [1].

٣٣ - الثقافة الإسلامية:

هو كتاب دراسى جامعى، يتضمن مقرر مادة الثقافة الإسلامية فى الجامعات السعودية ألفه الشيخ - حين كان يدرس فى المملكة - بالاشتراك مع

(١) من مقدمة الأستاذ عبد الله العقيل للكتاب، ص: ٢-٣.

الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى. وقد صدر الكتاب سنة (١٩٨٠م) عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة [١].

٣٤ - الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر:

فى هذا الكتاب يقوم المؤلف بإلقاء نظرة سريعة على مسيرة الدعوة الإسلامية خلال تاريخها الطويل. والغرض الذى يعمل على تحقيقه هو تعرف ما للأمة وما عليها بدقة، فهو عبارة عن محاكمة ذاتية لمسار الأمة، وسبقها وتخلفها.

يقوم منهج المؤلف فى هذا الكتاب على اعتبار أن التاريخ الإسلامى كيان واحد متماسك الأجزاء، لا ينفصل فيه طرف عن الأطراف الأخرى. ولم يهتم المؤلف بعرض الوقائع والأحداث، بقدر ما اهتم بحال الدعوة ومبلغ الوفاء لها والتوفيق فى عرضها ومساندتها.

لذلك تولى بالشرح والتحليل بيان سير الدعوة الإسلامية وازدهارها، واستعرض العقبات التى صادفتها بأفاعيل العملاء والجهلاء، مستشهدا بأحداث التاريخ على مر العصور. ويكشف النقاب عن أسباب انهيار الحضارة الأسلامية وزوال الخلافة، ويفضح أحقاد الصليبية والإلحاد العالميين، بالإضافة إلى القوى الأخرى المعادية للإسلام.

ثم يلقى الضوء على العالم الإسلامى اليوم، ويبرز ما ينبغى أن يتحلى به المسلمون فى يومهم وغدهم حتى يحققوا دينهم فى حياتهم وواقعهم وسلوكهم.

٣٥ - فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء:

هذا الكتاب دراسة لجانب هام من سيرة النبى عليه الصلاة والسلام، هو جانب الذكر والدعاء، إذ جمع المؤلف أدعية النبى عليه الصلاة والسلام، ثم

---

(١) تعريف موجز بمؤلفات الشيخ محمد الغزالى، مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٣٥ .

قسمها بحسب متعلقاتها من مجالات الحياة المختلفة، ثم كر عليها بالشرح والتحليل، مركزا على الربط بين صيغة الدعاء والمواضع التى قيل فيها والظروف التى دعت إلى قوله، مبينا أثر الدعاء فى حياة الإنسان ودوره فى توجيه سلوكه ومواقفه تجاه الظروف والأحداث، وكل ذلك من خلال حياة ومواقف موقع القدوة رسول الله محمد النبى العربى عليه الصلاة والسلام.

٣٦ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين:

يتعرض هذا الكتاب لحاضر المسلمين ومستقبلهم. وهو عبارة عن شرح غنى ومتميز للأصول العشرين التى وضعها الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله. وعمل الغزالى كان هو تأصيل هذه المبادئ وشرحها على ضوء تجاربه المستفادة خلال أربعين عاما فى ميدان الدعوة.

وقد أضاف الغزالى - فى كتابه هذا - عشر مقررات جديدة، استكمل بها الأصول العشرين التى وضعها حسن البنا .. وإذا كانت المبادئ التى وضعها حسن البنا قد وضعها أساسا لمخاطبة الجماعات الدينية فى مصر على عهده، من أجل التأليف والتقريب بينها، فكانت مصاغة صياغة وسطية حكيمة. فإن المبادئ التى أضافها الغزالى إنما تختص بجوانب حياة المجتمع الإسلامى فى داخله وفى علاقاته بغيره من المجتمعات.

٣٧ - واقع العالم الإسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى:

كتيب صغير «يتناول قضية المؤمرات التى تدبر لهذا الدين، ولأتباعه، والجهود التى تبذل لصرف المسلمين عن دينهم وتراثهم وعقيدتهم حتى يزول ويتلاشى. ويتحدث عن واقع العالم الإسلامى وانهياره أمام هذه القوى والمؤامرات، ويشير بوجه خاص إلى قضايا الاستبداد السياسى والفساد الإدارى، وامتهان حرية الرأى، وحقوق الإنسان المهدورة فى واقعنا الإسلامى، والفرق الكبير بين تعاليم الإسلام وأحوال المسلمين»(١).

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى. مجلة إسلامية، المعرفة ص: ٢٤٢ .

٣٨ - مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية:

هذا الكتاب «يعرض لمجموعة مشكلات قديمة جديدة تعيق نهضة المسلمين اليوم، ذلك أن المدافعين عن الإسلام لا ينقصهم غالبا الحماس والإخلاص، وإنما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه، إنهم يظنون أن بإمكانهم إزالة علل المسلمين فى أيام معدودات، وما على الشباب إلا أن يقدم ويقاتل، ويحطم ما أمامه من عوائق، وسوف يتم له النصر!! وإن الاستعجال حمل متاعب كبيرة، وخسائر ثقيلة للدعوة الإسلامية، بل ربما زاد خصومها قوة وتمكينا، لذلك لا بد من بصيرة فاحصة متعمقة، تتدبر ثقافتنا وتنقى منابعها وتنقد مستوانا الحضارى الأخير، وتستكشف أسباب هبوطه، وتوقف التراجع الحضارى الذى بدأ من أوائل القرن الثالث عشر للهجرة.

ويعجب الغزالى كيف أن هناك أكثر من سبعين صناعة مدنية وعسكرية تتعلق بالنفط واستخراجه لا نعرف منها شيئا فهل يخدم هذا عقيدة التوحيد؟!»(١).

٣٩ - هموم داعية:

فى هذا الكتاب حدد الغزالى «ساحات المعارك الإسلامية القائمة بحق أو بباطل، وأماط اللثام عن الأعداء الظاهرين أو الْمُقَنَّعين، وقدم النصح للأصدقاء من الحمقى والمغفلين الذين يحسبون أنهم يقدمون للإسلام خدمات ويحققون له انتصارات.

والمتعجل فى النظر إلى الكتاب، ربما لا يرى خطا واحدا ينتظم فصوله، فهو بينما يعالج مشكلات فى الفكر الإسلامى، نراه ينتقل إلى الكلام عن التحديات الرئيسية المعاصرة، أو يصحح نظرات اجتماعية وراثية طغى فيها جانب التقليد على الحقيقة الإسلامية. والحقيقة أن الخط الذى ينتظمها ويشفع لذلك أن مضمون الكتاب «هموم داعية».

---

(١) من تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنة للكتاب، ص: ١٣ - ١٤، بتصرف.

فهو ينتقل بين ثنايا نفسه وتجربته فى العمل الإسلامى، إلى حيث يجد الثغرات ليبصر بها، أو إلى ساحات المعارك الفكرية والمعارك العسكرية، ليبين علاقة الثانية بالأولى، والإرث التاريخى للأحقاد التى تحكم هذه المعارك، وهى أحقاد مبعثها العقيدة والدين حتى ولو توهم بعض المغفلين أنها ليست كذلك»[١].

٤٠ - مائة سؤال عن الإسلام:

يقع هذا الكتاب فى جزئين، ويتضمن إجابات الشيخ الغزالى على مائة سؤال وجهها إليه الناشر. وهى أسئلة تدور موضوعاتها حول استفسارات المسلمين.

من أهم هذه الموضوعات: الإجماع فى الإسلام، المعالم الأولى للدولة الإسلامية، متى تقام الحدود؟ وهل هى صالحة لكل عصر؟ هل ينبغى فى عصر تفجير الذرة وغزو الفضاء أن نقدم الولاء للإنسانية ونؤخر الولاء للدين؟ ما حقيقة الملائكة والجن وما علاقتها بالإنسان؟ ما العلاقة بين الإسراء وبنى إسرائيل؟ هل توجد صحوة إسلامية معاصرة؟ وما أبعادها؟، ما موقف الإسلام من الحضارة المعاصرة؟ هل يمكن القول بأن للإسلام حضارة خاصة يدعو إليها؟ ما هى نظم الحكم فى الإسلام؟ ما موقف الإسلام من تحديد النسل؟ ما حكم النقاب فى الإسلام؟ ... إلخ»[٢].

٤١ - علل وأدوية:

هذا الكتاب عبارة عن «دراسات فى أمراض أمتنا ووسائل الاستشفاء منها، مع تصحيح لما وجه إلى التاريخ الإسلامى من أخطاء. ومن أهم عناوينه: الإنسان

---

(١) من تقديم الناشر للكتاب، ص: ب.

(٢) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى. مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٤٣، بتصرف.

فى القرآن، كيف غير الإسلام مسار العالم، أولو الألباب فى كتاب الله، وجهة نظر فى أقدار الرجال، عندما يكون الإلحاد أذكى، ضرورة هتك الأستار، شائعات فى ميدان العلم، المعالم الأولى فى عظمة محمد، رحلة من العلم إلى الإيمان، التعليم الأصلى، أسرارا وراء تخلفنا، وظيفتنا العالمية، الثقافة الإسلامية فى محنة، الأمانة فى نقل التراث»(١).

٤٢ - مستقبل الإسلام خارج أرضه .. كيف نفكر فيه؟

يتساءل المؤلف فى هذا الكتاب: «هل أدى المسلمون رسالتهم فى إبلاغ الإسلام ونفع الناس به؟ وما الأسلوب الذى اتبعوه فى البلاغ؟ أكان منصفا للحقيقة مستجمعا لأسباب النجاح؟

هل تقوم دعوتنا على سياسة مرسومة، وأجهزة منظمة، وجهود منسقة، ودراسة لأحوال الأمم التى ندعوها، أم أن الإسلام باق بصلاحيته الذاتية وحدها، وينتشر بخصائصه التى زوده الله بها، وكفاح أفراد قلائل من أصحاب الغيرة والإخلاص ..؟

وأمر آخر أفاض هذا الكتاب فيه: هل نحن نغرى الآخرين باعتناق الإسلام ونقدم من تراثنا العظيم ما تهوى إليه الأفئدة، أم أننا بسوء العرض حينا، وبسوء الفهم حينا آخر، نظلم الرسالة الخاتمة، وقد نصد عنها؟!» (٢).

٤٣ - الغزو الثقافى يمتد فى فراغنا :

«لاحظ المؤلف أن مشكلات الدعوة الإسلامية تتكرر فى مشرق العالم الإسلامى ومغربه، فأزمة الدعاة الواعين شديدة، وأهل الذكر الجامعون بين القراءة والفقه قلة نادرة، والمسلمون الحريصون يسيئون أحيانا إلى أنفسهم وأهليهم،

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ الغزالى. ضمن كتاب: العطاء الفكرى للغزالى، المرجع السابق، ص: ٢٥٢.

(٢) من تقديم الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى للكتاب، ص: ٥-٦ .

لأنهم يدركون الأمور على غير وجهها، أو تملكهم العاطفة المنفصلة عن التعقل، فتضر ولا تنفع.

والكتاب محاولة لاستجلاء الأسباب الكامنة وراء تخلف المسلمين وتراجعهم» [١].

٤٤ – سر تأخر العرب والمسلمين:

هذا الكتاب دراسة ناقدة لأسباب تأخر المسلمين، والعلل الكامنة وراء تدهورهم الحضارى وتقهقرهم إلى آخر ركب الأمم منذ قرون عديدة.

وأسباب تأخر المسلمين كما يراها الغزالى – فى هذا الكتاب – ستة:

١ – الاستبداد السياسى.

٢ – فساد التصور الاجتماعى بسيطرة التصورات الجاهلية على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية.

٣ – اشتغال الجهلة والمشعوذين بالإسلام والدعوة إليه، فى غياب العلماء والفقهاء.

٤ – فتنة الناس بالفلسفات والآراء الكلامية، وهذا منذ أن بدأت حركة الترجمة إلى العربية من الفارسية واليونانية والرومانية والهندية.

٥ – الغزو الثقافى بشقيه: الصليبى اليهودى، والشيوعى الإلحادى.

٦ – فقدان عقيدة الولاء للإسلام، حيث حلت محلها ولاءات جديدة دخيلة لا علاقة لها بالدين، بل كانت نقمة عليه ووبالا.

أما علاج التأخر الذى يعانى منه المسلمون، فيرى الغزالى أن هناك سبع مراحل متكاملة ومتداخلة لا بد من الإحاطة بها علما وعملا، وهى:

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ الغزالى. ضمن كتاب: العطاء الفكرى للغزالى، المرجع السابق ص: ٢٥٤.

١ - ضرورة غربلة تراثنا الإسلامى الضخم ومراجعته.

٢ - دراسة الحضارة الجديدة ومنجزاتها، للاستفادة من تجاربها فى دعم مقرراتنا الإسلامية.

٣ - تحصيل الحد الأدنى من ثقافة المسلم، باكتساب الصفات الثمانية الواجب توافرها فى المسلم، لأنها تمثل حقيقة الإيمان وتحدد علاقة المسلم بربه، وهى: الخشية، والرجاء، والصبر، والشكر، وتوفير الأسباب، وحب الله، والذكر، والتوبة.

٤ - تقديم الإسلام كاملا للناس.

٥ - إيجاد علماء من طراز رفيع على أيديهم تعرف الأمة دينها وتتخلص من جهلها وتخبطاتها وقحطها الثقافى وخوائها الروحى.

٦ - فقه العبادة، بالعودة بالأمة إلى مفهوم العبادة القرآنى.

٧ - الانخراط فى الوحدة الإسلامية، التى هى طريق طويل حقيقة، ولكنه ضرورة حياة [١].

٤٥ - الحق المر :

الكتاب عبارة عن تجميع للكلمات التى سطرها المؤلف تعليقا على ما يقع بالعالم الإسلامى أو ما يقع عليه، خلال عقدى الثمانينيات والتسعينيات. وكانت هذه الكلمات تنشر فى مجلة «المسلمون» خاصة. وقد صدر من هذا الكتاب ستة أجزاء عند ناشرين متفرقين.

«ومع أنها كلمات قصيرة، لكنها فواتح لمعان جمة عند أولى الغيرة على دينهم وأمتهم .. تغوص فى واقعنا الحى لتشد أزر المجاهدين فى سبيل الله، وتحق الحق وتبطل الباطل» [٢].

---

(١) انظر التفاصيل فى المقدمة التى كتبها الأستاذ أبو جرة سلطانى، للطبعة الجزائرية من الكتاب، ص: ٩-١٩.

(٢) مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٤٥ .

٤٦ - قصة حياة :

مذكرات يتحدث فيها الشيخ الغزالى عن نفسه وحياته، ويحكى فيها «كيف برز إلى الدنيا فى كبوة من تاريخ الإسلام، وفى أيام كئيبة كان الإنجليز فيها يحتلون مصر وأقطارا أخرى فيحاء من أرض الإسلام الجريح، وكيف كان القرن الذى ولد فيه من أسوأ القرون التى مرت بديننا الحنيف. ثم يتكلم المؤلف عن تعليمه الدينى والمدنى، وعن الاضطرابات السياسية التى عاصرها، حيث يتحدث عن تعطيل الدستور على يد محمد محمود باشا، ثم إلغاء الدستور على يد إسماعيل صدقى باشا عندما تولى الحكم، ثم الإتيان بدستور جديد»[١].

كما يتحدث المؤلف أيضا عن علاقته بحسن البنا وانخراطه فى جماعة الإخوان، ثم وظيفته فى وزارة الأوقاف وتعامله مع رؤسائه ومرؤوسيه. كما يتحدث أيضا عن علاقته بعبد الناصر والسادات.

وهذه المذكرات ترسم حياة الشيخ الغزالى حتى تاريخ وفاة السادات تقريبا. وهى تمثل صورة مشرقة لحياة المؤلف وكفاحه فى سبيل الإسلام والدعوة الإسلامية، وترسم بدقة عمل الأعداء فى تعويق الدعوة وإتعاب القائمين عليها.

٤٧ - الطريق من هنا :

فى هذا الكتاب، ينتقد الغزالى تخلف المسلمين، وينتقد كذلك أساليب المسلمين فى مواجهة هذا التخلف، وذلك من خلال نقد مناهج الدعوة الإسلامية المعاصرة التى يسعى بعضها للوصول إلى السلطة. ويناشد المؤلف «أولى الغيرة على الإسلام وأولى العزم من الدعاة أن يعيدوا النظر فى أساليب عرض الإسلام

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ الغزالى، ضمن كتاب : العطاء الفكرى للغزالى، المرجع السابق ص : ٢٥٣ .

والدفاع عنه، وأن يبذلوا وسعهم فى تغيير الشعوب والأفكار، سائرين فى الطريق نفسه الذى سار فيه المرسلون من قبل» [1].

وفى هذا الكتاب صور قليلة لمفارقات بين واقعنا وديننا فى الماضى والحاضر، يرجو لها الغزالى أن تجد حظها من التدبر والوعى.

٤٨ - جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج:

فى هذا الكتاب - كما فى سابقه - يقارن الغزالى بين ما كان عليه سلفنا الأول من علو ورفعة ومكانة سامية فى العالم، وبين ما نعيشه اليوم من هوان وذل وانهيار حضارى شامل.

ويبرز الغزالى أسباب هذه العلل التى نعيشها، ويرجعها إلى الخلل الذى لحق بالمفاهيم الإسلامية فحرفها عن معانيها الصحيحة إلى معان لا صلة لها بالدين، أو هى ربما كانت جزءا ضئيلا من المعانى الأصلية.

ويضرب مثلا بالجهاد، وكيف حصره المسلمون فى دائرة ضيقة هى دائرة قتال الكفار، فى حين أهملوا ميادينه الأخرى الكثيرة التى هى أكثر أهمية وأولى بالعناية، ومنها: ميدان الإعلام، وميدان المال والأعمال، وميدان العلم مدنيا وعسكريا وميدان السياحة والكشوف، وميدان المساعدات والخدمات الاجتماعية.

ويؤكد الغزالى أن ضعف المسلمين وعجزهم فى هذه الميادين، قابله من جهة أخرى قوة أعدائهم فيها وتمكنهم منها. مما جعل موقع المسلمين من أعدائهم هو موقع التابع، لا موقع المتبوع أو الند على أقل تقدير.

وإذا أضيف إلى هذا أن الأعداء متكتلون متحفزون عازمون على قهر المسلمين وإذلالهم والقضاء عليهم، فقد اكتملت صورة موقع المسلمين من أعدائهم، وتبين مصيرهم المحتوم الذى سيؤولون إليه إذا ما استمروا على ما هم عليه.

---

(١) من مقدمة المؤلف للكتاب، ص ٦ .

٤٩ - نماذج من التفسير الموضوعى للقرآن الكريم:

كتاب صغير نشره المركز الثقافى الإسلامى بالجزائر العاصمة، وهو يحتوى مجموعة المحاضرات التى ألقاها الشيخ فى قاعة ابن خلدون، ما بين سنوات ١٩٨٤ - ١٩٨٦م خلال وجوده بالجزائر.

هذه المحاضرات تصب فى دائرة التفسير الموضوعى ولا تحيد عنها، تمثل المحاضرات الثلاثة الأولى منها خلاصة الكتاب الذى نشره الشيخ بعد ذلك، وهو «المحاور الخمسة للقرآن الكريم»، ثم محاضرة بعنوان: «نظرات فى سورة الفتح»، ومحاضرتان أخريان، إحداهما: «متى يحمد التعصب ومتى يعاب؟»، والثانية: «الإسلام وأهل الكتاب بين آيات الوحى ووقائع التاريخ».

٥٠ - خطب الشيخ محمد الغزالى فى شؤون الدين والحياة:

الكتاب فى عدة أجزاء، وهو تجميع لعدد معتبر من خطب الشيخ الغزالى التى ألقاها فى مختلف المساجد التى خطب فيها الجمعة والعيدين، وقد جمعها ونسقها وخرج نصوصها الأستاذ قطب عبد الحميد قطب، وقد نشرت فى حياة الغزالى رحمه الله. تمتاز هذه الخطب بأمرين:

«أولهما: أن موضوعات الخطب متنوعة وعصرية، تتصل بقضايانا الحيوية، وتعالج مختلف المشكلات التى تحرك بها وجدان أستاذ مصلح ذى تجربة عميقة فى تناول قضايا المجتمع الإسلامى المعاصر.

وثانيهما: أن القارئ يعيش فى قراءة الكتاب شكلا من أشكال المسرح اللغوى، فالمنبر قائم فى كل عبارة من عباراته، والموقف المتوتر نابض بالحياة فى تدفق الحديث، وفى تتابع المشاهد، وفى تلاحق الجمل وسرعتها ... إن هذه الخطب هى خير ما يقرؤه الإنسان المسلم فى عصرنا، لأنها تلتصق بأحواله، وتعالج قضايا الحياة من حوله بمنطق إسلامى، وهى بعيدة تماما عن تعقيدات الفكر المؤلَّف، واللغة المنظومة» [١].

(١) من تقديم الدكتور عبد الصبور شاهين للجزء الأول من الخطب، ص: ٦ .

٥١ - محاضرات الشيخ محمد الغزالى فى شؤون الفرد والمجتمع:

هو أيضا تجميع لعدد محدود من محاضرات الشيخ الغزالى التى ألقاها فى مصر خاصة، وهى محاضرات متنوعة تمس مختلف مناحى الثقافة الإسلامية المعاصرة.

«وجميع هذه المحاضرات تتسم بالقوة والوضوح، والصراحة والواقعية، وتحدّث عن واقع العالم الإسلامى، وأزمة المسلمين الحقيقية، وتصارح بالداء والدواء، وتكشف عن الأصدقاء والأعداء..

والمحاضرات - إلى ذلك - تنطوى على أحداث وتجارب، وأحكام وحقائق. ووصايا واقتراحات، بسوقها الشيخ الغزالى بأسلوبه الفذ الذى يجمع بين التحليل الفكرى الهادئ الدقيق، والعرض الأدبى الحار الرشيق» [١].

٥٢ - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث:

ألف الشيخ هذا الكتاب بتكليف من المعهد العالمى للفكر الإسلامى بواشنطن، «إنصافا للسنة النبوية، وذودا عنها جراءة القاصرين وذوى العقول الكليلة.

وفى هذا الكتاب توجيه للذين يتناولون كتب الأحاديث النبوية، وهم يحسبون أنهم أحاطوا بالإسلام علما بعد قراءة عابرة أو عميقة. وفى الكتاب درس للذين عرفوا من الإسلام قشوره ونسوا جذوره.

ولقد ساهم هذا الكتاب فى إثارة النقاش حول مناهج فهم السنة النبوية، وكان له أثر عميق عند كثير من المسلمين والمسلمات» [٢].

كما أثار الكتاب - إلى جانب ذلك - ردود فعل واسعة من قبل من

---

(١) من مقدمة الأستاذ قطب عبد الحميد قطب للكتاب، ص: ١٥ .

(٢) تعريف موجز بكتب الشيخ الغزالى: ضمن كتاب: العطاء الفكرى للغزالى، المرجع السابق ص: ٢٥٦ .

اعتقدوا أنهم مقصودون به، حتى ألفوا فى الرد عليه أكثر من عشرة كتب كاملة.

٥٣ - المحاور الخمسة للقرآن الكريم:

الكتاب عرض موضوعى لآيات القرآن الكريم المتعلقة بالمحاور الكبرى الخمسة التى تدور عليها موضوعات القرآن كله، وهى: الله الواحد، الكون الدال على خالقه، القصص القرآنى، البعث والجزاء، والتربية والتشريع .. وقد جمع لكل واحد من هذه المقاصد ما يتعلق به من السور والآيات، ثم نسق بينها وفسرها، بما يسفر عن قسمات كل مقصد كما يصورها القرآن الكريم.

ولم يكتف الغزالى بهذه النظرات الموضوعية إلى المقاصد الكبرى للقرآن فحسب، بل ضمن الكتاب أيضا مقارنات بين نوعى التفسير: الموضعى والموضوعى، وذلك من خلال عرض نموذجين لتفسير سورة الواقعة، أحدهما من النوع الأول، والآخر من النوع الثانى [١].

والحق أن الغزالى، قبل أن ينشر عمله هذا فى صورة كتاب، كان قد ألقاه فى شكل محاضرات ثلاثة نظمها له المركز الثقافى الإسلامى بالجزائر العاصمة خلال شهرى: ديسمبر ١٩٨٤، ويناير ١٩٨٥م. وقد طبع المركز هذه المحاضرات الثلاث إلى جانب محاضرات أخرى للغزالى ألقاها بذات المركز وتصب كلها فى نفس الإطار، فى كتيب يحمل عنوان «نماذج من التفسير الموضوعى للقرآن الكريم» [٢].

وعلى عادته فى البحث والتحليل، فقد تناول الغزالى هذه البحوث القرآنية بأسلوبه المتميز الذى يجمع بين عرض الفكرة وتتبع الواقع الإسلامى بغية نقده

---

(١) انظر: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الهدى - عين مليلة (الجزائر)، ص: ١٦٦، ١٧٩.

(٢) انظر كتابنا: الشيخ محمد الغزالى رائد منهج التفسير الموضوعى فى العصر الحديث، ص: ١٠٥.

فى ضوء هدايات القرآن وآياته، مقدما فى نفس الوقت هذه الآيات كأدوية لعلاج هذا الواقع وسلبياته.

٥٤ - كيف نتعامل مع القرآن؟

الكتاب عبارة عن مدارسة جرت بين الشيخ محمد الغزالى والأستاذ عمر عبيد حسنة. وهى تدور حول مناهج فهم القرآن المجيد وقضايا تفسيره وتأويله وتصنيفه وتبويبه، وعلاقاته بعلوم المسلمين قديما وحديثا، وكيفية جعله المصدر الأول لثقافة المسلم المعاصر ومعرفته وعلمه وتوجيهه، مما يمكن العقل المسلم من العودة إلى التعامل السليم مع القرآن العظيم، ويعيد القرآن الكريم إلى مركز الدائرة فى ثقافة المسلم المعاصر ومعرفته وحضارته، ليستعيد العقل المسلم عافيته ويسترد القرآن المجيد دوره فى عطائه وإنارته.

وتتسم المدارسة بمداخل نقدية عديدة، تبعا لتعدد وتنوع الموضوعات التى تشملها، فى محاولات بذلها المتدارسان لاستخلاص وعى قرآنى بقواعد معرفية تقارب ضوابط المنهج الذى لا يأخذ بكل ما ورد ضمن الفكر السائد دون تمحيص ونقد وتحليل.

وتعمل المدارسة على استدعاء القرآن فى إطار واقعى متغير بوعى جديد، كما تكمن أهميتها فى محاولتها تصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بالتعامل مع القرآن فى الموضوعات الإسلامية كخطوة أولى يؤسس بموجبها الوعى المنهجى الإسلامى المعاصر[١].

٥٥ - صيحة تحذير من دعاة التنصير:

«ألف الغزالى هذا الكتاب بعد أن اطلع على كتاب التنصير الذى يمثل سجلا للممارسات والمحاورات والمقترحات والنتائج التى انتهى إليها أحد المؤتمرات

---

(١) انظر مقدمة الدكتور طه جابر العلوانى للكتاب.

التبشيرية فى أمريكا، وهو المؤتمر الذى تخصص فى قضية تنصير المسلمين فى العالم، وجمع لهذه الغاية ألف مليون دولار.

يؤكد الغزالى أن هذا المؤتمر مستنكر الأهداف والوسائل، ومن حق المسلمين فى المشارق والمغارب أن يتنادوا بأخذ الحذر والتأهب للدفاع.

والكتاب محاولة لمراجعة المواقف السابقة، وبيان أسباب الحروب الكثيرة التى اشتعلت بين الإسلام والنصرانية، والتى عند التحقيق ينكشف أننا لسنا المسؤولين عنها» (١).

ويدعو الغزالى فى هذا الكتاب «الجيوش المشتغلة بالتنصير أن تعمل فى ميدانها الحقيقى لو كانت تؤمن بالله وبالدين الحق .. إنه ميدان الحضارة الأوربية العلمانية بالدرجة الأولى .. والمسلمون آخر من يحتاجون إلى خدمات التنصير، لأنهم أول المؤمنين بالله وبرسالات الله وبعيسى عليه السلام» (٢).

٥٦ - أزمة الشورى فى المجتمعات العربية والإسلامية:

يتحدث الشيخ الغزالى فى الكتاب عن أهمية الشورى التى تعتبر من أهم الركائز التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى والقانون الدستورى الإسلامى. كما يتحدث أيضا عن افتقار العالم الإسلامى فى ممارسة الشورى، الأمر الذى جعله يقع فى ما وقع فيه من تخلف وهوان (٣).

ومن الجدير بالذكر أن الغزالى عاد فجمع بين هذا الكتاب وكتاب آخر سبق الحديث عنه وهو «واقع العالم الإسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى»، جمعهما معا فى كتاب واحد نُشر بعد ذلك بعنوان «الفساد السياسى فى المجتمعات العربية والإسلامية».

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ الغزالى. مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٤٧.
(٢) من مقدمة الدكتور عبد الحليم عويس للكتاب، ص: ١٢.
(٣) تعريف موجز بكتب الشيخ الغزالى. مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٤١.

٥٧ - قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة :

يقوم الغزالى فى هذا الكتاب بتصحيح المفاهيم الخاطئة التى يفهمها المسلمون وغيرهم عن المرأة، ويؤكد أن هذه مفاهيم ليست إسلامية ولا علاقة لها بالإسلام، بل إن الإسلام يعمل على تزييفها وإنقاذ الناس من الوقوع تحت سطوتها.

ويعتبر أن المرأة وقعت بين مظلمتين: مظلمة التقاليد الراكدة فى مجتمع المسلمين التى تجعل المرأة من سقط المتاع وتحرمها من أداء أى دور فى الحياة .. ومظلمة التقاليد الوافدة من الغرب، والتى تخرج بالمرأة عن طبيعتها وتحولها إلى أداة للمتعة والتمظهر والحرية المطلقة الزائفة التى تزرى بالمرأة ولا تعلو بها.

تدور مقالات هذا الكتاب على أربعة أبواب: لنفهم الإسلام أولا، صفحات مطوية، من البيت نبدأ، مفاهيم يجب أن تصحح.

يقول الغزالى واصفا كتابه هذا ومنهجه فيه:

« فى هذا الكتاب خواطر منثورة جمعت بين العلم والأدب والنقد والتاريخ والفتوى الغابرة والمعاصرة، لكنها جميعا تتصل بقضايا المرأة والأسرة والمجتمع الصغير.

وقد رأيت أن هذا الأسلوب أدنى إلى مزاج طالب الثقافة فى أمتنا، وأدنى كذلك إلى عرض الإسلام فى ثوب جديد » [١].

٥٨ - تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل :

هذا الكتاب عبارة عن غربلة شاملة للتراث العلمى الإسلامى، برؤية تنطلق من هدايات القرآن وتنتهى لتصب فى إطار خدمة هذه الهدايات والسعى للتطابق معها فى الواقع.

« والكتاب هو حديث حول العلوم النقلية الإسلامية، وطرائق تدريسها،

---

(١) من مقدمة الكتاب، ص: ٩ .

ووجوب النظر فى إعادة بناء برامجها، وإصلاح مختلف جوانب العملية التعليمية المتعلقة بها. يقع الكتاب فى عشرة فصول، عناوينها: إسلامية المعرفة أو المعرفة الإسلامية، أبعاد الوحى الأعلى، أغلفة تغطى الحقيقة العظمى، توضيح الصورة ومنع الغبش، حقائق فى التربية، لمحة عن الابتداع، إعادة كتابة التاريخ، على هامش التفسير، على هامش السنة، مستقبل العربية وآدابها»[1].

٥٩ - نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم:

هذا الكتاب يتضمن تفسيرا موضوعيا لكل السور القرآنية، وقد طبع أول مرة فى ثلاثة أجزاء صغيرة، ثم أعيدت طباعتها مجموعة فى مجلد واحد.

فى هذا الكتاب يتحدث الغزالى «عن كل سورة من السور باعتبارها وحدة تدور حول موضوع معين، وهو يحاول أن يرسم «صورة شمسية» لها، وأن يربط أوائل السورة بأواخرها، ويصل بين أطرافها وأوساطها، وأن يتعرف على الروابط الخفية التى تشدها كلها»[2].

ولعل أبرز ما يمكن أن نلاحظه على عمل الغزالى فى التفسير الموضوعى للسور القرآنية؛ حرصه البالغ على الإيجاز والاختصار ما أمكن، والسر فى ذلك أن الرجل إنما قصد إلى وضع الخطوات الأولى فى منهج التفسير الموضوعى للسور القرآنية، ولذلك رأى أن يسمى كتابه «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم».

وقد أكد فى مقدمة الجزء الأول منه، كما فى مقدمة الجزء الثانى أيضا، أنه يضع الخطوات الأولى فى هذا الطريق، ويترك لغيره ممن يأتون من بعده مهمة التفصيل والاستفاضة:

---

(١) تعريف موجز بكتب الشيخ محمد الغزالى، مجلة إسلامية المعرفة، ص: ٢٤٦ .

(٢) د/ يوسف القرضاوى: الشيخ الغزالى كما عرفته، ص: ١١٠ .

«الرائد يشغله عناء الكشف، عن إحسان الترتيب والتبويب. فليكن ذلك التفسير تمهيدا لمن يجيئون بعدى، يبنون عليه ويزيدون فيه!» (١).

لأجل ذلك وجدناه – وهو يفسر السورة – يكتفى باختيار مجموعة محددة من آياتها، يرى أنها كافية فى إبراز الملامح العامة لها:

«إننى أختار من الآيات ما يبرز ملامح الصورة، وأترك غيرها للقارئ يضمها إلى السياق المشابه، وذلك حتى لا يطول العرض ويتشتت، والإيجاز مقصود لدىَّ» (٢).

وقد سار الغزالى على هذا المنهج فى تفسيره لسور القرآن كلها، دون استثناء.

والذى يبدو أن السن التى كتب فيها الغزالى تفسيره هذا، كان لها تأثيرها عليه، مما حدا به إلى الانصراف إلى الإيجاز بدل الاستفاضة والإسهاب، فالرجل بدأ يكتب التفسير بعد أن تجاوز السبعين من عمره، بحيث أصبح ترقب الموت يلح عليه فى كل لحظة، لذلك حرص على أن يتم التفسير قبل حلول الأجل، بل لقد كان يسأل ربه عز وجل أن يمد فى أجله حتى ينتهى من كتابته. نلاحظ هذا واضحا فيما كتبه فى مقدمة الجزء الأول من التفسير، حيث يقول:

«استرسلت مستعينا بالله، معتمدا عليه، وكتبت هذه الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم، على أمل أن يأتى الأجل بعد أن أفرغ من الكتابة، والمستقبل بيد الله وحده» (٣).

وهو نفس المعنى الذى نجده فى مقدمة الجزء الثانى من التفسير:

---

(١) نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم، ج: ٢، ص: ٥.
(٢) المرجع نفسه ج١، ص: ٦.
(٣) نفس المرجع والصفحة.

« وأضرع إلى الله أن يعيننى قبل حلول الأجل على إتمام الأجزاء العشرة الأخيرة حتى أتم التفسير كله » [١].

وقد حقق الله عز وجل لعبده الخاشع الضارع أمنيته تلك، ومكنه من أسباب الحياة حتى أنهى تفسير الكتاب الكريم. وهو ما استدعى من العبد أن يتوجه لخالقه بالشكر العارم والحمد الوفير. وذلك ما كتبه فى مقدمة الجزء الأخير من التفسير:

« أثنى على الله بما هو أهله، إذ أعان على إكمال هذا الجزء الأخير من التفسير برغم كثرة الأسقام والأعباء، فله الحمد كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه ... أشكر ربى ما تراخت منيتى، وبعد أن ألقاه تبارك اسمه، أن جعلنى أهلا لتدبر كتابه، واجتذاب المؤمنين إليه » [٢].

فالاختصار فى منهج التفسير عند الغزالى، مبرر – إذن – بهذا السبب، ولم يكن نتيجة قصور فكرى أو علمى [٣].

٦٠ - كنوز من السنة:

طبع هذا الكتاب بعد وفاة الشيخ، وقد أعده وقدم له تلميذه وسكرتيره الخاص الأستاذ محمد خالد القعيد .. وهذا الكتاب عبارة عن أوراق وتأملات فى السنة النبوية وخواطر دونها – رحمه الله – فيما أطال فيه فكره وأمعن فيه نظره من أحاديث الرسول ﷺ. وذلك فى أسلوب جديد، إذ خرج فى دراسته هذه عن إطار من سبقه فى تفسير المفردات والإعراب ومواطن البلاغة والمستفاد لغويا وشرعيا، وحرص على ربط الحديث النبوى بمناحى الحياة كلها بأسلوبه

---

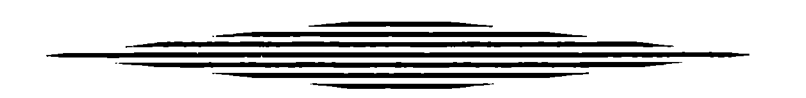
(١) المرجع نفسه ج٢، ص: ٥.

(٢) المرجع نفسه ج٣، ص: ٥.

(٣) انظر كتابنا: الشيخ محمد الغزالى رائد منهج التفسير الموضوعى فى العصر الحديث، ص: ١٤٩.

الرشيق وبلاغته المعهودة، مدعما ذلك بما يؤيد الحديث من القرآن الكريم والأثر الوارد عن صحابة رسول الله ﷺ .

وقد حرص الشيخ الغزالى فى هذا الكتاب – كعادته فى سائر كتبه – على تصحيح المفاهيم والمعتقدات المتوارثة من توجيه خاطئ أو إرشاد علمى تائه أو ضلال فى الفهم، كشرحه لحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»، وحديث: «رهبانية أمتى الجهاد»، وحديث عائشة رضى الله عنها: «كان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»، وغيرها [1].



---

(١) انظر مقدمة الأستاذ محمد خالد القعيد للكتاب، ط: دار نهضة مصر – القاهرة ١٩٩٨م.

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* ● * ● * ● *

رقم الإيداع : ٧٦٥٩ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 977-225-165-3

هذا الكتاب

- ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ صدق الله العظيم
- الشيخ محمد الغزالى غنى عن التعريف، فهو مدرسة فكرية يعرفها المثقف والعادى.
- وهذا الكتاب يضيف جديداً للقارئ المسلم المعاصر، فهو يعرض السيرة الذاتية والحياة الشخصية للشيخ، ويقف القارئ على هذه الشخصية الفذة التى دخلت إلى عالم الأنسانية بهدوء، وخرجت منها بهدوء أيضا.
- إن الشيخ تحمل شظف العيش وآلام الحياة منذ نعومة أظفاره، وهذا هو دأب وديدن العلماء الكبار، فمن المحن والمواقف الصعبة تولد الأمال الكبار.
- وتحقق للشيخ - رحمه الله - ما كان يصبو إليه من معشر طيب فى حياته الشخصية، وذلك لأرتباطه بالإمام الشهيد حسن البنا.
- ومن نجاح موفق فى ميدان الدعوة إلى الله فحسبه أنه قد أبلى بلاءً حسناً فى سبيل الدفاع عن قضايا العروبة والإسلام، مما يجده القارئ مسطوراً بين ثنايا هذا الكتاب.
- لا يتوقف عند هذا وحسب.. إنما يعرض لأبعاد شخصية الشيخ محمد الغزالى التى جمعت بين عقلانية الفكر، وطلاقة الروح، ويكفى الشيخ - رحمه الله - أنه كان شديد البكاء عند ذكره لله.. ومن شمائله حب الله ورسولـه الكريم وكانت تغلبه الدموع عند ما يتحدث عن التوحيد «لا إله إلا الله».
- ويعرض للخريطة الفكرية لمؤلفات الشيخ وتطوره الفكرى منذ شبابه الباكر حتى وافته المنية - رحمه الله - ، فمن أراد الدخول إلى عالم الشيخ محمد الغزالى الرحب يستطيع من خلال هذا الكتاب بسهولة ويسر التعرف على فكر ومنهج الغزالى الحقيقى.
- ويسر مكتبة وهبة أن تقوم بنشر هذا الكتاب حتى يعرف المسلمون وغيرهم أن «الشيخ محمد الغزالى.. غصن باسق فى شجرة الخلود»

والله الموفق وهو المستعان...

مكتبة وهبه